يطلب من

أبناء مولوي محمد بن غلام رسول السورتي

تجار الكتب - جاملي محله بمبئي نمرة ٣

MOLVI MOHAMMED BIN GULAMRASUL SURTI'S SONS

BOOK Sellers Printers & Publishers, Jamli Mohalla, BOMBAY. 3

مكتبتنا

هي أشهر مكتبة . يوجد فيها عموم الكتب العربية وبها مصاحف اسلامبولية ومصرية ودلايل الخيرات من جميع الأجناس والمقاسات . وكتب التفاسير والأحاديث النبوية والتوحيد . والعقائد . والفقه على المذاهب الأربعة . والمنطق والحكمة . والنحو . والبلاغة . والتصوف . والمواعظ والطبقات والكتب الأدبية . والدواوين الشعرية من أدب ومدائح نبويه . والتاريخ . والسير . والخطب المنبرية والصلوات . والكتب الروحانية . والطب وتفسير الرؤيا والقصص . والنوادر . الخ

فتوجه اليها لطلب ما يلزم لك تجده بأسعار متهاودة جدا وهي أيضا مستعدة لارسال أى طلب لكل الجهات بأسرع مايمكن والتجربة أحسن برهان؟ مكتبة

أبناء مولوي محمد بن غلام رسول السورتي

تجار الكتب جاملي محله بمبي . نمرة ٣

تاريخ وسيرة ومناقب أمير المؤمنين :

الفاروق عُمَر بن الخطّاب

ثانى الخلفاء الراشدين وأول حاكم ديمقراطى في الإسلام

حياته . مناقبه . خطبه

كلماته . خلافته . فتوح

الفرس والشام ومصر

تأليف

محمد رضا

بمكتبة الجامعة المصرية

ومؤلف كتابى محمد رسول الله — وأبو بكر الصديق

يليه فهارس بأسماء الرجال والقبائل والنساء

المطبعة المحمودية التجارية بالأزهر

ص.ب ٥٠٥ مصر

طبع بمعرفة

المطبعة المحمودية التجارية بالأزهر بمصر

و

المكتبة المحمودية التجارية بميدان الجامع الأزهر بمصر

سنة ١٣٥٥ هـ ١٩٣٦ م



إهداء الكتاب

الى جلالة مولانا الملك المعظم

(فاروق الأوّل)

✡

✡ ✡

مليك النيل يا خير الرجاء ويا من عهده عهد الجلاء

تفضّل سيّدى واقبل كتاباً عن الفاروق ينبي بالولاء

كان المؤلف قد تشرف بتقديم مؤلفه (محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) الى المغفور له ساكن الجنان جلالة مولانا الملك المعظم فؤاد الأول فتلقى بيد الشكر والامتنان الكتاب الآتي :ـ

« حضرة محمد افندى رضا بمكتبة الجامعة المصرية

« رفعت إلى مقام حضرة صاحب الجلالة مولاى

« الملك المعظم مؤلفكم محمد رسول الله صلى الله عليه

« وسلم فنال حسن القبول

« فأتشرف بابلاغ حضرتكم ذلك مع شكر

« جلالته السامى

و تقبلوا وافر الاحترام

في ٢٨ شوال سنه ١٣٥٣هـ — وكيل ديوان جلالة الملك

٢ فبراير سنه ١٩٣٥م — (مراد محسن)

خطاب

سمو الأمير الجليل عمر طوسون

حضرة الأستاذ الفاضل محمد افندى رضا

أهديتم الينا مؤلفكم القيم « محمد » فنزل من نفسنا منزلة خاصة جعلتنا نتصفح كثيرا من موضوعاته . وقد حملنا تقديرنا له على أن نبعث اليكم بخطابنا هذا مثنين على هذا الجهد المضنى الذى بذلتموه فى هذا السبيل وأخرجتم لنا هذه الثمرة الجنية فى أشرف موضوع كتب فيه الكاتبون ألا وهو سيرة نبينا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم .

وبعد فانا نهنيكم باضطلاعكم بهذا العمل العظيم وإخراجه على أكمل وجه وأحسنه . فان السيرة الشريفة كتب فيها ألوف من المؤلفين منذ مبعثه عليه صلوات الله وسلامه الى الآن . وموضوع كهذا فرغ منه المؤلفون وأفرغوا فيه جهودهم ليس من الهنات الهينات الكتابة فيه من جديد فضلا عن الاحسان فيه كل الاحسان .

أما حاجة الناس جميعا الى هذا الكتاب فهي فى الحقيقة حاجة ملحة لامفر منها ولا غني عنها . فالسيرة النبوية فيها من مواطن الاهتداء ومثل الاحتذاء وأسباب القدوة الحسنة وبواعث الهداية الى السنة المتبعة ومظاهر الكمال الانسانى ماليس فى غيرها من العظماء وتراجم الزعماء . ولا غرو فهي سيرة « محمد » وكفي بهذا الاسم الكريم شرفاً ونبلا

والسلام عليكم ورحمة الله ؟ (عمر طوسون)

٢٨ ـ ١٠ ـ ١٩٣٤

خطاب

جلالة الامام يحي ملك اليمن

« حضرة العالم المؤلف محمد افندى رضا بمكتبة الجامعة المصرية أحسن الله اليه فى آخرته ودنياه ، وأجزل له المثوبة فيما خطته يداه . والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

« إنا نبارك لكم في هذا الكتاب لما وفقتم اليه من التأليف . وأعملتم الفكر فيه من التهذيب والتصنيف . حيث أضفتم الى المؤلفات في السيرة النبوية فردا جليلا جمع بين دقة المغزى والتحرى . ونشكر لكم تلك التكرمة التى أوقفتنا على نسخة منه سرتنا رؤيتها . وجمت المحاسن بهجتها . فاقبلوا منا الشكران على الهدية ومن الله تعالى نستمد لكم ما تبغون من ثواب العمل الصالح والأجر الرابح والسلام عليكم »

فى ١٨ شعبان سنة ١٣٥٣ هـ

فهرس

كتاب الفاروق عمر بن الخطاب

صفحة

صفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى هدانا بفضله وكرمه إلى نعمة الاسلام ، وأنعم علينا بالتصديق برسالة محمد عليه الصلاة والسلام . خاتم الأنبياء والمرسلين ، وخير خلقه أجمعين ، الداعى إلى الوحدانية ، والناشر لواء الاخاء والانسانية ، الذى قضى على عقائد الشرك ومثالب الوثنية بقوة البرهان ، وقطع ألسنة المكابرين بالحجة وفصاحة اللسان ، وبدد جيوش المعاندين بقوة البأس والجنان ، فجمع الله له بذلك قوة العقل وصلابة القلب ، ووهب له نعمة البيان وقوة الايمان وجعل الخلفاء بعده خير من حافظ على الدين وجمع شمل المسلمين

أما بعد : فانى وفاء بوعدى وقياما بواجبي نحو ملتى وأمتى أقدم للقراء الكتاب الثالث وهو «عمر بن الخطاب» ثانى الخلفاء الراشدين بعد أن بدأت بسيرة محمد رسول الله وثنيت بأبى بكر الصديق

هذه الكتب وإن كانت معدودة ضمن كتب السير أو التراجم لكنها مع ذلك تعتبر من كتب التاريخ الاسلامى لأن الاسلام بدأ بتاريخ رسول الله ولأني لم أقتصر على تدوين السير بل تناولت

الأعمال التى تمت فى عهد أربابها من حروب وفتوح ونظم وإصلاحات ومعتقدات وأحكام وقواد وحكام

بايع المسلمون أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله لأنه أفضل المهاجرين ، وثانى اثنين إذ هما فى الغار وخليفة رسول الله على الصلاة ولما حضرت أبا بكر الوفاة اختار لهم عمر بن الخطاب قائلا :

« إذا لقيت الله ربى فسائلنى قلت استخلفت على أهلك خير أهلك »

وقال : « أترضون بمن استخلف عليكم فاني والله ما ألوت من جهد الرأى ولا وليت ذا قرابة وإني قد استخلفت عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا . فقالوا : سمعنا وأطعنا »

لم يكن أبو بكر مغرضاً فى اختيار عمر للخلافة بعده وحاشاه أن يكون مغرضاً فقد كان عارفا بأقدار الرجال مقدراً لهم واثقاً بأن عمر خير من يصلح للمسلمين بغض الطرف عن أى اعتبار آخر

وقد كان عمر رضى الله عنه على اتفاق تام مع أبي بكر فى خلافته غير أنه كان لا يرى إنفاذ جيش أسامة أولا لصغر سنه . ثانياً لأن المرتدين كانوا يهددون المدينة نخشى من زحفهم إذا خرج الجيش غازياً ثم اتضح له بعد ذلك أن أبابكر كان مصيباً فى بعث جيش أسامة كما كان يريد رسول الله فان العرب قالوا لولم يكن بهم قوة لما أرسلوا هذا الجيش فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون

وكان عمر رضى الله عنه يرى عزل خالد بن الوليد من القيادة

بسبب قتله مالك بن نويرة وزواجه بامرأته وخوفاً من افتتان المسلمين به لما أحرزه خالد من الانتصارات الباهرة التى جعلتهم ينقادون إليه . أما أبوبكر فكان شديد الاعجاب بخالد ولم يقبل كلام عمر فيه بل قال له « ارفع لسانك عن خالد فانى لا أشيم (أغمد) سيفا سله الله على الكافرين » إلا أن عمر عاد فقال لما مات خالد « لقد ثلم فى الاسلام ثلمة لا ترتق ولقد ندمت على ما كان منى إليه »

ومن المسائل التى خالف فيها عمر رأى أبي بكر توزيع العطاء كما سيرد ذكره فى كتابنا هذا فقد كان أبو بكر رضى الله عنه يرى التسوية فى العطاء ولا يرى التفضيل بالسابقة فى الدين فقال لأبى بكر : أتسوى بين من هاجر الهجرتين وصلى إلى القبلتين وبين من أسلم عام الفتح خوف السيف ؟ فقال له ابو بكر إنما عملوا لله وإنما اجورهم على الله وإنما الدنيـــا دار بلاغ الراكب فقال له عمر : لا اجعل من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كمن قاتل معه فلما وضع الديوان فضل بالسابقة

وقد أخذ عثمان بن عفان برأى أبى بكر بعده واخذ به ابو حنيفة وفقهاء العراق وهذا ما نراه لأن الاسلام يهدم ما قبله الا ترى ان رسول الله قال لخالد بن الوليد حين اسلم وسأله ان يدعو الله لخالد يغفر تلك المواطن التى شهدها عليه « الاسلام يَجُبُّ ما قبله »

تلك اختلافات يحدث مثلها عادة بين المفكرين ، والمصلحين فكل له رايه وكل له اجتهاده.

لا شك ولا خلاف فى أن عمر كان خير رجل يصلح للخلافة بعد أبى بكر وقد أدى إلى الاسلام خدمات جليلة ناطقة بفضله ورجاحة عقله فقد كان مثال الحاكم العادل والسياسى الماهر والمسلم المتمسك بدينه ومركزا للقيادة العامة لجيوش المسلمين فى الفرس والشام ومصر إذ كان هو فى الحقيقة المحرك لها المدبر للخطط، المختار للقواد، المرسل للجند، وكان شديدا فى الحق لا يحابي أحدا ولا يغمط حق أحد، حافظا لوقاره وهيبته وسطوته، مدافعاً عن الأعراض، قاطعاً لبذور الفساد، مطعما للفقراء، يطوف على الناس بالليل ليرى ويسمع بنفسه أحوال المسلمين حتى يغيث الملهوف ويعطى المحتاج وينصف المظلوم وحتى لاتخفى عليه خافية من أمر رعيتــه لأنه كما قال لمولاه أسلم المسئول عنهم فى الآخرة ويحمل المؤونة بنفسه إلى الجائعين ويطبخ لهم ثم لايتركهم حتى يأكلوا ويمرحوا وبعدئذ تطيب نفســه ويرجع، وهو الذى بلغت شفقته أن رتب للقطاء المرتبات لارضاعهم وإيوائهم وتربيتهم وكان فوق ذلك كله شديد الاهتمام بأحوال المسلمين فى البلاد النائية فكان يسأل قواده وهم أهل ثقته أن يصفوا له البلدان وميادين القتال ولا ينتظر مع ذلك ورود كتبهم لاستقاء أخبار الحروب بل كان يسأل كل من يلقى. فمن ذلك شدة اهتمامه بحرب الفرس فكان يسأل الركبان حتى يصبح إلى انتصاف النهار عن أهل القادسية ثم يرجع الى أهله ومنزله مما سنذكره بعـــد. ومن ذلك خروجه الى بيت

المقدس لعقد الصلح بنفسه . وكان إذا أصاب المسلمين جدب وضيق ضيّق على نفسه حتى يشعر الراعى بما تشعر به الرعية إذ لا يصح شرعا ولا إنسانية أن يتنعم الراعى وتشقى الرعية . وقد أقسم سنة الرمادة وهى سنة القحط الشديد أن لا يذوق سمناً ولا لبناً ولا لحماً حتى يحيا الناس وكان يقول « كيف يعنينى شأن الرعية إذا لم يصبنى ما أصابهم »

هذا وقد بذلت الجهد فى نشر سيرة « الفاروق » وأعماله والله أسأل أن يوفقنى ويهدينى إلى سواء السبيل وأن يجعل كتابى هذا درساً وعبرة إنه على كل شىء قدير وبالاجابة جدير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ؟

محمد رضا

حياة عمر بن الخطاب رضى الله عنه

٥٨١ م — ٦٤٤ م

عمر بن الخطاب ثانى الخلفاء الراشدين . هو ذلك الرجل العظيم الذى يعد من اقوى رجال التاريخ شكيمة واشدهم بأساً واسدهم رأياً وأبعدهم نظرا واعفهم نفساً واطهرهم ذمة وانقاهم ذيلا . فحياته جديرة بأن تدرس درساً وافيا دقيقا اذ كان مثال الشهامة واليقظه والعدل ، والانصاف ، والسهر على الرعية ، والزهد ، والتقشف والاستماتة فى إيصال الخير إلى كل فرد من افراد الرعية لا يحابى كبيراً او غنيا او قريبا ولا يستصغر شأن صغير او فقير . وكان ابو بكر رضى الله عنه يلحظ فيه الشدة والقوة لكنه كان يثق باخلاصه ويعلم ان سريرته خير من علانيته . فلما ولى الامارة كان ابا رءوفا بالمسلمين وأخا شفيقا ، وسياسياً ماهرا ، وقاضياً عادلا وما ابلغ ما قاله ابن مسعود فيه ـ « كان إسلام عمر فتحاً وكانت هجرته نصرا وكانت امارته رحمة »

وجدير بكل راع وكل رئيس أن يضع حياة عمر نصب عينيه ويتخذ سلوكه وخلقه وشدة اهتمامه بالناس نبراساً يستضىء به فى حكمه وسياسته . وكل من يتصفح التاريخ ليعترف أن عهد رسول الله والخلفاء الراشدين خير ما شاهد العالم من شهامة ومروءة وصدق وعدل وعفة. فكانت حكومتهم أرقى حكومة ساست رعيتها وأنصفتهم

وهذبتهم وقومت أخلاقهم

نريد ممن يطالع حياة عمر رضى الله عنه وخلافته ألا يمر على الحوادث وهو يتلوها مراً سريعاً دون ان يفكر فيها ، بل نريد ان يعتبر بالعبر ويتعظ بالمواعظ ويقتبس من تلك الأخلاق القوية العظيمة ويعمل بها ما استطاع حتى تعود للشرق سيرته الأولى من عظمة ومجد وتنتعش الهمم بعد أن فترت . وتسود الفضائل بعد ان طغت عليها الرذائل،وتنطهر النفوس بعد ان تلوثت بادران المطامع واغترت بزخارف الدنيا،واستحكمت الشهوات ففسدت الأخلاق وضاعت الثقة فلم يعد الكبير يشفق على الصغير، ولا الصغير يوقر الكبير، واصبحت الأنانية رائدا وحب المال مقدساً

لاثمرة من قراءة التاريخ كما تقرأ القصص ثم تطوى وتنسى ولا تبقى فى الذاكرة إلا اسماء ووقائع . فما لهذا نؤلف ونقضى العمر فى الدرس والبحث

إن الحياة ليست لعبا ولهوا وغروراً وخداعاً بل يجب ان تكون الحياة عملا وجدا وثمراطيبا وقدوة صالحة وفائدة للمجتمع الانسانى وعلاجا لآفاته . إن هؤلاء القادة الأبطال الذين وحدوا الله واهتدوا بهدى رسوله اناروا لنا الطريق وفتحوا الدنيا لا بقصد الفتح والتوسع وإشباع المطامع بل للهداية ونشر العلم وتأسيس المدنية الصحيحة الخالية من الشوائب ، وهم وإن كانت اجسامهم تحت الثرى فان اعمالهم وسيرهم الطاهرة لم تمت بل هى خالدة شاهدة

لهم بحسن السيرة ونقاء السريرة ،شاهدة بتغلب الفضائل على الرذائل
وانتصار الحق على الباطل وبأن حياة الرجال والأمم إنما هى باستماتة
الراعى والرعية فى سبيل المصلحة العامة وموتها بخور العزائم
والاهمال وتقديس الأنانية والتباغض والتشاحن والتحاسد .

إننا بتدوين حياة الخلفاء الراشدين لا نخدم التاريخ فحسب
فان التاريخ مجردا عن الاعتبار لا يستحق أى اهتمام وقد يعد من
العلوم الكمالية التى لا يقصد منها غير التسلية والتحدث والواقع
ان غاية التاريخ النظر فيمن مضى من الأمم الغابرة واقتباس حسناتها
والابتعاد عن مساويها ومخازيها والنظر فى وسائل الرقى والسعادة
واسباب الانحطاط والشقاوة — بل اننا بذلك نخدم الانسانية
ونكشف لها عن سر عظمة الأمم والأفراد وفائدة المجتمع

لذلك سألفت نظر القارىء إلى المواطن المهمة فى حياة عمر
رضى الله عنه حتى يقدرها حق قدرها ليستفيد منها فى حياته ويفيد
غيره من أهله وأحبابه وامته وإن كانت حياة عمر كلها دروسا وعبرا

(نسبه ومولده)

عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن
قُرط بن رِزاح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى العدوى
وكنيته أبو حفص

وامه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم
روى عن عمر انه قال ولدت بعد الفجار الأعظم بأربع سنين

وذلك قبل المبعث النبوى بثلاثين سنة

(أولاده وزوجاته)

كان لعمر من الولد عبد الله وعبد الرحمن الأكبر وحفصة وامهم زينب بنت مظعون [١] بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح . وزيد الأكبر لابقية ورقية وامهما أم كلثوم بنت على بن ابى طالب وامها فاطمة بنت رسول الله . وزيد الأصغر وعبيد الله قتلا يوم صفين مع معاوية وامهما ام كلثوم بنت جرول بن مالك وكان الاسلام فرق بين عمر وبين أم كلثوم بنت جرول وعاصم وامه جميلة بنت ثابت وعبد الرحمن الأوسط وهو ابو المجبر وامه لهية ام ولد . وعبد الرحمن الأصغر وامه ام ولد . وفاطمة وامها ام حكيم بنت الحارث بن هشام . وزينب وهى اصغر ولد عمر وامها فكيهة ام ولد ، وعياض بن عمر وامه عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل

غير النبى صلى الله عليه وسلم اسم ام عاصم بن عمر وكان اسمها عاصية . قال لا بل انت جميلة

(منزل عمر فى الجاهلية)

كان منزل عمر رضى الله عنه فى الجاهلية فى اصل الجبل الذى يقال له اليوم جبل عمر وكان اسم الجبل فى الجاهلية العاقر فنسب إلى عمر بعد ذلك وبه كانت منازل بنى عدى بن كعب

(١) تزوج عمر زينب فى الجاهلية

(منزلته فى الجاهلية)

كان عمر من اشراف قريش وإليه كانت السفارة وذلك أن قريشا كانوا اذا وقع بينهم حرب او بينهم وبين غيرهم بعثوه سفيرا وان نافرهم منافر او فاخرهم مفاخر رضوا به وبعثوه منافرا ومفاخراً

(صفته رضى الله عنه)

وكان عمر طويلا وكان لطوله كأنه راكب، جسيما، اصلع، شديد الحمرة، كثير السَبَلة [1] فى اطرافها صهوبة [2] وفى عارضيه خفة، اعسر [3] وكان يسرع فى مشيته

قيل ان سبب تغير لونه هو انه فى عام الرمادة وهى سنة المجاعة ترك اكل اللحم والسمن وأدمن اكل الزيت وقد كان احمر فشحب لونه

ومما روى عن فروسيته رضى الله عنه انه كان يأخذ اذنه اليسرى بيده اليمنى ويجمع جراميزه باليسرى (اى يرفع ما ينشر من ثيابه) ويثب على فرسه فكأنما خلق على ظهره. وكان يصفر لحيته ويرجل راسه بالحناء ويلبس الثياب المرقوعة وكان رجلا مهيباً

(إسلامه)

اسلم عمر فى السنة السادسة من النبوة وهو ابن ست وعشرين

---

(١) السبلة مقدم اللحية وما أسبل منها على الصدر (٢) حمرة أو شقرة (٣) الأعسر الذى يعمل بشماله

عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال : اسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة وثلاثون رجلا وامرأة ثم ان عمر اسلم فصاروا أربعين فنزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى (حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين)

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قال :«اللهم أعز الاسلام بأحب الرجلين إليك عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام» -يعنى أبا جهل-

ذكر أسامة بن زيد عن أبيه عن جده أسلم قال قال لنا عمر بن الخطاب : أتحبون أن أعلمكم كيف كان بدء إسلامى ؟ قلنا نعم . قال :

كنت من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فبينا أنا يوماً فى يوم حار شديد الحر بالهاجرة فى بعض طرق مكة إذ لقينى رجل من قريش فقال أين تذهب يا ابن الخطاب ؟ أنت تزعم انك هكذا وقد دخل عليك هذا الأمر فى بيتك . قلت وما ذاك ؟ قال أختك قد صبأت . فرجعت مغضباً وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الرجل والرجلين إذا أسلما عند الرجل به قوة فيكونان معه ويصيبان من طعامه وقد كان ضم إلى زوج أختى رجلين . فجئت حتى قرعت الباب فقيل من هذا ؟ قلت ابن الخطاب وكان القوم جلوساً يقرءون القرآن فى صحيفة معهم . فلما سمعوا صوتى تبادروا واختفوا وتركوا أو نسوا الصحيفة من أيديهم . فقامت المرأة ففتحت لى . فقلت ياعدوة نفسها قد بلغنى أنك صبوت (يريد

أسلمت) فأرفع شيئا فى يدى فأضربها به فسال الدم . فلما رات المرأة الدم بكت ثم قالت يا ابن الخطاب ما كنت فاعلا فافعل فقد أسلمت : فدخلت وأنا مغضب فجلست على السرير فنظرت فاذا بكتاب فى ناحية البيت ، فقلت ما هذا الكتاب ؟ أعطينيه : فقالت لا أعطيك . لست من أهله . أنت لا تغتسل من الجنابة ولا تطهر وهذا لا يمسه إلا المطهرون [١] . فلم أزل بها حتى أعطتنيه فاذا فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) فلما مررت بالرحمن الرحيم ذعرت ورميت بالصحيفة من يدى . ثم رجعت إلى نفسى فاذا فيها (سبح لله ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم [٢]) فكلما مررت باسم من أسماء الله عز وجل ، ذعرت ثم ترجع إلى نفسى حتى بلغت (آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) حتى بلغت إلى قوله (إن كنتم مؤمنين) فقلت أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . فخرج القوم يتبادرون بالتكبير استبشاراً بما سمعوه منى وحمدوا الله عز وجل . ثم قالوا يا ابن الخطاب أبشر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا يوم الاثنين فقال اللهم أعز الاسلام بأحد الرجلين إما عمرو بن هشام [٣] وإما عمر بن الخطاب وإنا نرجو أن تكون دعوة رسول الله لك فأبشر . فلما عرفوا منى الصدق قلت لهم أخبرونى بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا

---

(١) لا يمسه إلا المطهرون آية فى سورة الواقعة وهى مكية

(٢) سورة الحديد (٣) عمرو بن هشام هو ابو جهل

هو فى بيت أسفل الصفا وصفوه . فخرجت حتى قرعت الباب .قيل من هذا ؟ قلت ابن الخطاب . فما اجترأ أحد منهم أن يفتح الباب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افتحوا فانه إن يرد الله به خيراً يهده . ففتحوا لى وأخذ رجلان بعضدى حتى دنوت من النبى صلى الله عليه وسلم . فقال ارسلوه . فأرسلوني فجلست بين يديه . فأخذ بمجمع قميصى فجبذنى إليه ثم قال أسلم يا ابن الخطاب اللهم اهده . قلت أشهد ان لا إله إلا الله وانك رسول الله . فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بطرق مكة . وقد كان استخفى فكنت لا أشاء ان ارى من قد أسلم يضرب إلا رأيته . فلما رأيت ذلك قلت لا احب إلا أن يصيبنى ما يصيب المسلمين . فذهبت إلى خالى وكان شريفاً فيهم فقرعت الباب عليه . فقال من هذا ؟ فقلت ابن الخطاب . فخرج إلى فقلت له اشعرت اني قد صبوت ؟ قال فعلت ؟ فقلت نعم . قال لا تفعل . فقلت بلى قد فعلت . قال لا تفعل وأجاف الباب دونى (رده) وتركنى . قلت ما هذا بشىء . فخرجت حتى جئت رجلا من عظماء قريش فقرعت عليه الباب . فقال من هذا ؟ فقلت عمر بن الخطاب . فخرج إلى فقلت له أشعرت انى قد صبوت ؟ قال فعلت ؟ قلت نعم . قال لا تفعل . ثم قام فدخل وأجاف الباب . فلما رأيت ذلك انصرفت . فقال لى رجل تحب أن يعلم اسلامك ؟ قلت نعم . قال فاذا جلس الناس فى الحجر واجتمعوا أتيت فلانا ، رجلا لم يكن يكتم السر . فاصغ اليه وقل له فيما بينك وبينه أنى قد صبوت

فانه سوف يظهر عليك ويصيح ويعلنه . فاجتمع الناس فى الحجر ،
فجئت الرجل فدنوت منه فأصغيت اليه فيما بينى وبينه . فقلت أعلمت
انى صبوت ؟ فقال الا إن عمر بن الخطاب قد صبا . فما زال الناس
يضربونني واضربهم . فقال خالى ماهذا ؟ فقيل ابن الخطاب . فقام
على الحجر فاشار بكمه فقال الا إني قد اجرت ابن اختى فانكشف
الناس عنى . وكنت لا أشاء ان ارى احداً من المسلمين يضرب إلا
رأيته وانا لا اضرب . فقلت ماهذا بشيء حتى يصيبنى مثل ما يصيب
المسلمين . فامهلت حتى إذا جلس الناس فى الحجر وصلت إلى خالى
فقلت اسمع . فقال ما اسمع ؟ قلت جوارك عليك رد . فقال لا تفعل
يا ابن الخطاب . قلت بل هو ذاك . فقال ماشئت . فمازلت اضرب
واضرب حتى اعز الله الاسلام (١)

وعن ابن اسحاق ان الذى كلمه فى شأن اسلامه اخت عمر وزوجها
هو النحام وهو نعيم بن عبدالله بن اسيد وهو أخو بنى عدى بن كعب
قد اسلم قبل ذلك وفى هذه الرواية ان عمر كان متقلداً سيفه . كذلك
ذكر ابن اسحاق ان الذى اجار عمر هو « العاص بن وائل السهمى »
وإنما قال عمر انه خاله لأن حنتمة ام عمر هى بنت هاشم بن المغيرة وامها
الشفاء بنت عبد قيس بن عدى بن سعد بن سهم السهمية فلهذا جعله
خاله وأهل الأم كلهم أخوال . ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لسعد بن أبي وقاص هذا خالى لأنه زهرى وأم رسول الله

(١) أسد الغابة

صلى الله عليه وسلم زهرية . كذلك القول فى خاله الآخر الذى أغلق الباب فى وجهه انه أبو جهل . فعلى قول من يجعل أم عمر أخت أبى جهل فهو خال حقيقة وعلى قول من يجعلها ابنة عم أبى جهل يكون مثل هذا

وفى طبقات ابن سعد رواية أخرى عن اسلام عمر عن أنس ابن مالك وفيها يذكر أن الذى توارى عند دخول عمر بيت اخته هو خباب وفيها أنه لما ضربها قالت له وهى غضبى « ياعمر إن كان الحق فى غير دينك أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله » وأنه اغتسل قبل أن يقرأ الصفحة التى كانت معهم وقرأ (طه) حتى انتهى إلى قوله (إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى) وسورة طه مكية وأما سورة الحديد فهى مدنية وقد كان اسلام عمر بمكة لا بالمدينة كما لا يخفى فترجح أنه تلا سورة (طه)

أما رواية أنس بن مالك عن اسلام عمر فهى كما يأتى :

« خرج عمر متقلدا السيف فلقيه رجل من بنى زهرة . قال أين تعمد ياعمر ؟ فقال أريد أن أقتل محمداً . قال وكيف تأمن فى بنى هاشم وبنى زهرة وقد قتلت محمداً ؟ فقال عمر ما أراك إلا قد صبوت وتركت دينك الذى أنت عليه . قال أفلا أدلك على العجب ياعمر ؟ إن ختنك[1] وأختك قد صبوا وتركا دينك الذى أنت عليه فمشى عمر ذامراً[2] حتى أتاهما وعندهما رجل من المهاجرين يقال له

(١) صهرك وهو سعيد بن زيد (٢) متهدداً

خباب . فلما سمع خباب حس عمر توارى فى البيت فدخل عليهما فقال ما هذه الهينمة [١] التى سمعتها عندكم ؟ وكانوا يقرءون (طه) فقالا ما عدا حديثا تحدثناه بيننا . قال فلعلكما قد صبوتما؟ فقال له ختنه أرأيت ياعمر إن كان الحق فى غير دينك . فوثب عمر على ختنه فوطئه وطئاً شديداً . فجاءت اخته فدفعته عن زوجها فنفحها بيده نفحة فدمى وجهها . فقالت وهى غضبى . ياعمر إن كان الحق فى غير دينك أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فلما يئس عمر قال . اعطونى هذا الكتاب الذى عندكم فأقرأه . وكان عمر يقرأ الكتب . فقالت أخته إنك رجل نجس ولا يمسه إلا المطهرون . فقم واغتسل أو توضأ . فقام عمر فتوضأ ثم أخذ الكتاب فقرأ طه حتى انتهى إلى قوله (أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكرى) فقال عمر دلوني على محمد . فلما سمع خباب قول عمر خرج من البيت فقال أبشر ياعمر فانى أرجو أن تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ليلة الخميس . اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام . ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدار التى فى أصل الصفا . فانطلق عمر حتى أتى الدار . وعلى باب الدار حمزة وطلحة وأناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى حمزة وجل القوم من عمر . قال حمزة فهذا عمر فان يرد الله بعمر خيراً يسلم ويتبع النبى صلى الله عليه

(١) الصوت الخفى

وسلم وإن يرد غير ذلك يكن قتله علينا هينا . والنبي عليه السلام داخل يوحى اليه . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف . فقال أما أنت منتهيا يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزى والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة ؟ اللهم هذا عمر بن الخطاب . اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب . فقال عمر أشهد أنك رسول الله فأسلم وقال اخرج يارسول الله »

كان عمر بن الخطاب شديداً على المسلمين قبل إسلامه متعصبا لدينه وكان يعذب لبيبة جارية بنى مؤمل على إسلامها أشد العذاب بلا رحمة ولا شفقة ولا يتركها إلا إذا مل وكل فاشتراها أبو بكر الصديق فأعتقها وقد تعدى على ختنه وأخته لاسلامهما وكان يريد أن يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب إليه وأسلم ! لكن ما الذى حمله على الاسلام؟ هل أسلم خوفا من أحد؟ هل أسلم بالقوة؟ هل أسلم لغرض شخصى ؟ كلا . بل أسلم بعد أن قرأ القرآن الكريم فوقع فى قلبه وأثر فى نفسه وعلم أنه ليس كلام البشر بل كلام الله سبحانه وتعالى . إنه خضع لبلاغة القرآن وحكمه وروعته وهو ذلك العربى الصميم الذى ربي بين الشعراء والفصحاء وسمع شعرهم ووزن كلامهم وعرف الغث من السمين . لقد رق قلبه للقرآن على شدته وقسوته وتعصبه ولم يسعه إلا الاعتراف بأنه كلام الله سبحانه وتعالى . فان الرجل الشهم الشجاع إذا اقتنع بشىء أعلن فى الحال اعتقاده من غير تردد ومن غير أن يعاند ويكابر لأن المكابرة من

لؤم الطباع وخبث السريرة وهذا ينافى الشهامة والاخلاص فذهب إلى رسول الله مسرعا وأعلن إسلامه على رءوس الأشهاد لأنه رأى الحق فى غير دينه وسطعت له أنوار الحقيقة وتقبل الله سبحانه وتعالى دعوة رسول الله باسلامه فكان إسلامه فتحا كما قال ابن مسعود

كذلك أسلم الطفيل بن عمرو الدوسى وقد كان شاعراً لبيباً فاذا قدم مكة مشى إليه رجال من قريش وطلبوا اليه أن لا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يسمع منه لكن أبى الله إلا أن يسمعه قوله صلى الله عليه وسلم فسمع منه وهو يصلى عند الكعبة كلاما حسنا ثم اتبعه ودخل عليه فتلا رسول الله القرآن عليه . فقال « فو الله ما سمعت قولا قط أحسن منه ولا أمرا أعدل منه » فأسلم وكان سببا فى إسلام قومه . فهؤلاء أسلموا لأنهم حكموا عقولهم وفطنوا لحلاوة القرآن وإعجازه وعرفوا أنه ليس فى استطاعة إنسان أن يأتى بمثل هذا الكلام : أسلموا وهم يعلمون أنهم سيلاقون متاعب شديدة ولوما وتعنيفا واستياء عاما من قومهم لكنهم لم يبالوا بشىء من ذلك لأن الشجاع لا يخاف فى الحق لومة لائم ولا عتب عاتب

(ظهور الاسلام)

عن صهيب بن سنان قال : لما أسلم عمر ظهر الاسلام ودعا إليه علانية وجلسنا حول البيت حلقا وطفنا بالبيت وانتصفنا ممن غلظ علينا ورددنا عليه بعض ما يأتى به . وقال عبد الله بن مسعود : ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر . وقال محمد بن عبيد فى حديثه لقد رأيتنا

وما نستطيع أن نصلى بالبيت حتى أسلم عمر فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا نصلى

(تسميته بالفاروق)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه وهو الفاروق فرق الله به بين الحق والباطل . وعن أبى عمر ذكوان قال . «قلت لعائشة من سمى عمر الفاروق ؟ قالت النبى عليه السلام» إن لتسمية عمر بالفاروق علاقة بظهور الاسلام فان المسلمين قبل إسلامه كانوا يستخفون فى دار الأرقم وهى فى أصل الصفا ويؤدون شعائرهم الدينية فى منازلهم . فلما أسلم قال لرسول الله ألسنا على الحق إن متنا أو حيينا ؟ قال بلى والذى نفسى بيده إنكم لعلى الحق إن متم وإن حييتم . قال ففيم الاخفاء والذى بعثك بالحق لتخرجن . قال فأخرجناه فى صفين حمزة فى أحدهما وأنا فى الآخر حتى دخلنا المسجد فنظرت إلىَّ قريش وإلى حمزه فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها فسمانى رسول الله الفاروق وفرق بين الحق والباطل

كان رسول الله يسمى أصحابه بخير صفاتهم التى امتازوا بها فسمى أبو بكر صديقا وعتيقا وسمى عمر الفاروق وسمى خالد ابن الوليد سيف الله

(هجرته إلى المدينة)

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه جريئا مقداما صريحا لا يحب الاختفاء ولا يبالى بالأعداء . فأنت ترى انه لما أسلم بادر

إلى الظهور وقال لرسول الله ففيم الاختفاء؟ واخبر أقاربه المشركين باسلامه فجعلوا يغلقون الباب فى وجهه واذاع إسلامه لرجل قيل له انه لا يكتم السر فصاح ألا إن عمر بن الخطاب قد صبأ. فصار الناس يضربونه ويضربهم ورد جوار خاله ليدافع عن نفسه بنفسه ولكى يصيبه ما يصيب المسلمين من الايذاء. فهو لا يحب الاختفاء ولا الاحتماء بأحد. كذلك كانت هجرته فقد روى عن ابن العباس قال لى على بن ابى طالب ما علمت أن احداً من المهاجرين هاجر إلا مختفياً إلا عمر بن الخطاب فانه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى فى يده اسهما واختصر عنزته ومضى قبل الكعبة والملأ من قريش بفنائها فطاف بالبيت سبعا متمكناً ثم اتى المقام فصلى متمكناً ثم وقف على الحلق واحدة واحدة. وقال لهم شاهت الوجوه لا يرغم الله إلا هذه المعاطس. من اراد أن تثكله امه ويؤتم ولده ويرمل زوجته فليلقنى وراء هذا الوادى قال علىّ فما تبعه احد إلا قوم من المستضعفين علمهم وأرشدهم

هذه هى الرواية المأثورة عن على بن ابي طالب. وقد روى عمر ابن الخطاب نفسه ما كان من هجرته قال: فكنت قد اتعدت انا وعياش بن ابى ربيعة وهشام بن العاص بن وائل التناضب من أَضاءة بنى غفار[1] وكنا انما نخرج سرا فقلنا ايكم ما تخلف عن الموعد فلينطلق

---

(١) الأضاءة الماء المستنقع من سيل او غيره وغفار قبيلة من كنانة. موضع قريب من مكة فوق سَرِف قرب التناضب

من أصبح عند الاضاءة فخرجت انا وعياش بن ابى ربيعة واحتبس هشام بن العاص ففتن فيمن فتن وقدمت انا وعيَّاش فلما كنا بالعقيق عدلنا الى العصبة التى أتينا قُباء فنزلنا على رفاعة بن عبد المنذر فقدم عياش بن أبي ربيعه أخواه لأمه أبو جهل والحارث ابنا هشام بن المغيرة وأمهم أسماء ابنة مخرِّبة من بنى تميم والنبي صلى الله عليه وسلم بعد بمكة لم يخرج فأسرعا السير فنزلا معنا بقباء فقالا لعياش إن أمك قد نذرت ألا يظلها ظل ولا يمس رأسها دهن حتى تراك . فقلت لعياش وآن أن يردُّك إلا عن دينك فاحذر على دينك . قال عياش فان لى بمكة مالا لعلى آخذه فيكون لنا قوة وأبر قسم أمى معهما . فلما كانوا بضَجَنَان (١) نزل عن راحلته فنزلا معه فأوثقاه رباطاً حتى دخل به مكة وقالا كذا يا أهل مكة فافعلوا بسفهائكم ثم حبسوه اه

شهد عمر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وأحدا والخندق وبيعة الرضوان وخيبر والفتح وحنيناً وغيرها من المشاهد وهو ممن ثبت مع رسول الله فى غزوة أحد وأمره رسول الله فى بيعة الرضوان أن ينادى الناس إلى البيعة . ولم يكن عمر رضى الله عنه راضيا بصلح الحديبية فانه لما بعثت قريش سهيل بن عمرو لمفاوضة رسول الله فى الصلح وطالت المراجعة بينه وبين النبى عليه السلام والتأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر فأتى أبا بكر فقال يا أبا بكر أليس برسول الله؟ قال

(١) ضجنان بالتحريك جبل على بريد من مكة وهناك الغميم فى أسفله مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ

بلى. قال أو لسنا بالمسلمين؟ قال بلى. قال اوليسوا بالمشركين؟ قال بلى. قال فعلام نعطى الدنية فى ديننا ؟ قال ابو بكر إلزم غرزه (اى ركابه) فانى أشهد انه رسول الله. قال عمر وانا اشهد انه رسول الله ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال يارسول الله . ألست برسول الله ؟ قال بلى . قال أو لسنا بالمسلمين؟ قال بلى . قال أو ليسوا بالمشركين؟ قال بلى . قال فعلام نعطى الدنية فى ديننا ؟ قال أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعنى .فكان عمر يقول «مازلت أتصدق وأصوم وأصلى وأعتق من الذى صنعت يومئذ مخافة كلامى الذى تكلمت به حتى رجوت أن يكون خيراً » وقد ذكرنا مزايا هذا الصلح فى كتابنا « محمد رسول الله »ص ٣٢٣ فلتراجع

وأرسله رسول الله فى شعبان سنة سبع سرية ومعه ثلاثون رجلا إلى قبيلة بنى هوازن بجهة تُربة بقرب مكة فلما علموا بمجيئه هربوا فانصرف راجعا إلى المدينة وأعطاه رسول الله اللواء بخيبر . ولما أراد أبو سفيان الانصراف بعد غزوة أحد أشرف على الجبل ثم نادى بأعلى صوته : إن الحرب سجال ، يوم بيوم بدر أعل هبل أى أظهر دينك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب قم فأجبه .فقال الله أعلى وأجل لا سواه . قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار فلما أجاب عمر أبا سفيان ، قال أبو سفيان هلم إلىَّ يا عمر.فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائته فانظر ما يقول . فجاءه فقال له أبو سفيان أنشدك بالله يا عمر أقتلنا محمدا ؟ قال لا وإنه ليسمع كلامنا الآن .

فقال أبوسفيان أنت أصدق عندى من ابن قمئة وأبر . لقول ابن قمئة لهم قد قتلت محمدا

واستأذن عمر النبي صلى الله عليه وسلم فى العمرة فقال : يا أخى أشركنا فى صالح دعائك ولا تنسنا

(زواج ابنته حفصة برسول الله)

كانت حفصة بنت عمر تحت خنيس بن عبد الله بن حذافة السهمى وكان رسول الله أرسله إلى كسرى ولما مات خنيس وتأيمت حفصة ذكرها عمر لأبى بكر وعرضها عليه فلم يرد عليه أبو بكر كلمة فغضب عمر من ذلك فعرضها على عثمان حين ماتت رقية بنت رسول الله فقال عثمان ما أريد أن أتزوج اليوم فانطلق عمر إلى رسول الله فشكا إليه عثمان فقال رسول الله يتزوج حفصة من هو خير من عثمان ويتزوج عثمان من هو خير من حفصة ثم خطبها إلى عمر فتزوجها رسول الله بعد غزوة أحد سنة ثلاث وكان سنها عشرين سنة وتزوج عثمان أم كلثوم . وبذلك حل الاشكال بشكل لطيف يرضى الطرفين

(استخلاف عمر رضى الله عنه)

استقبل عمر الخلافة صبيحة موت أبي بكر فخطب الناس وصرح لهم بخطته ومبدئه وأخلاقه فمما قال :

« أما بعد فقد ابتليت بكم وابتليتم بى وخلفت فيكم بعد صاحبيّ فمن كان بحضرتنا باشرناه بأنفسنا . ومهما غاب عنا ولينا أهل القوة

والأمانة فمن يحسن نزده حسنا ومن يسئ نعاقبه ويغفر الله لنا ولكم »

فانظر وتدبر فى قوله . فمن يحسن نزده حسنا . فهذا هو الانصاف والتشجيع . أما الآن فالمحسن يغمط حقه ويغفل ذكره ولا يكافأ على إحسانه . لذلك فترت الهمم وفسدت الأخلاق

وقال « اللهم إنى شديد فلينى وإني ضعيف فقونى وإني بخيل فسخنى »

(عفته)

ومما يشهد بعفته قوله : « إنى أنزلت نفسى من مال الله منزلة مال اليتيم . إن استغنيت استعففت وإن افتقرت أكلت بالمعروف فان أيسرت قضيت »

وكان لا تحدثه نفسه أن يأخذ شيئا من بيت مال المسلمين إلا إذا أذنوا له مهما كان هذا الشيء طفيفا لا يستحق الاذن فمن ذلك أنه خرج يوما حتى أتى المنبر وقد كان اشتكى شكوى له فنعت له العسل وفى بيت المال عُكة (زق صغير) فقال « إن أذنتم لى فيها أخذتها وإلا فانها على حرام فأذنوا له فيها » فما قيمة هذه العكة ؟ إنها لا تساوى شيئا ومع ذلك يستأذن المسلمين فى أخذها . فهل يعتبر بذلك الحكام ؟

ولما رأت ابنته حفصة ما عليه من التقشف وشدة العيش كلمته فى ذلك إشفاقا عليه عسى أن يحسن طعامه ولباسه فقالت له : يا أبت إنه قد أوسع الله الرزق وفتح عليك الأرض وأكثر من الخير فلو طعمت طعاما ألين من طعامك ولبست لباسا ألين من لباسك . فقال

سأخاصمك إلى نفسك . أما تذكرين ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى من شدة العيش . فما زال يذكرها (لأنها كانت زوجة رسول الله) حتى أبكاها . ثم قال إني قد قلت لك إنى والله لئن استطعت لأشاركنهما فى عيشهما الشديد لعلى ألقى معهما عيشهما الرخى (يعنى رسول الله وأبا بكر)

وفى رواية أخرى أن عمر بن الخطاب أبى الا شدة وحصراً على نفسه فجاء الله بالسعة. فجاء المسلمون فدخلوا على حفصة فقالوا أبى عمر الا شدة على نفسه وحصرا وقد بسط الله فى الرزق فليبسط فى هذا الفىء فيما شاء منه وهو فى حل من جماعة المسلمين . فكأنما قاربتهم فى هواهم . فلما انصرفوا من عندها دخل عليها عمر فأخبرته بالذى قال القوم . فقال لها عمر : « ياحفصة بنت عمر نصحت قومك وغششت أباك . انما حق أهلى فى نفسى ومالى . فأما فى دينى وأمانتى فلا »

للمرء أن يستغرب شدة تقشف عمر وهو أمير المؤمنين فى زمن فتح فيه المسلمون أغنى بقاع الدنيا . العراق والشام وأغناهم الله من الغنائم التى غنموها وكانت ترسل إلى الخليفة الاخماس فيوزعها على الناس ولا يوسع على نفسه ويظل يعانى شدة العيش !!

إن الانسان ليستغرب ذلك لأننا فى زمن لانعرف فيه هذا التقشف ولم نشاهده حتى فى رجال الدين ، حفظة القرآن والحديث

وسيرة الرسول وخلفائه والوعاظ والمرشدين والمعلمين . ألا إنهم يأكلون الآن أطيب المآكل ويلبسون أفخر الثياب، ويسكنون الدور الواسعة والقصور الشاهقة ويملكون الضياع ولا يعرفون من التقشف إلا اسمه ويطمعون فى المزيد . فهل هؤلاء متبعون سنة رسول الله ؟ أو هل هم مقتفون أثر الخلفاء من بعده ؟

سأل عمر بن الخطاب الأحنف وكان قد وفد إليه مع جند البصرة عن ثمن ثوب له فذكر الأحنف ثمنا يسيرا ثمانية أو نحوها ونقص مما كان أخذه به وكان قد أخذه باثنى عشر فقال : «هلا بدون هذا ؟ ووضعت فضله موضعا تغنى به مسلما ! »

لقد أشفق المسلمون من حالة عمر وتوسلوا إلى حفصة ابنته أن ترجوه ليطعم طعاما ألين ويلبس لباسا ألين . وقالوا لها فليبسط فى هذا الفىء فيما شاء منه وهو فى حل من جماعة المسلمين . لكنه أبى إلا التمسك بسنة رسول الله ليكون قدوة حسنة للولاة والحكام والناس عموما فى دينهم ودنياهم ومثالا للعفة والنزاهة والاخلاص وهاك مثلا ظريفا لعفه رضى الله عنه . فقد كان يتجر وهو خليفة فجهز عيرا إلى الشام فبعث إلى رجل من أصحاب النبى عليه السلام يستقرضه أربعة آلاف درهم فقال الرجل لرسول عمر . قل له يأخذها من بيت المال ثم ليردها . فلما جاءه الرسول فأخبره بما قال . شق ذلك عليه ، فلقيه عمر فقال « أنت القائل ليأخذها من بيت المال فان مت قبل أن تجىء قلتم أخذها أمير المؤمنين . دعوها له وأوخَذُ بها يوم

القيامة . لا ولكن أردت أن آخذها من رجل حريص شحيح مثلك فان مت أخذها من مالى

فانظر أيها القارىء وتأمل كيف تكون المحافظة على السمعة والشرف فى الحياة وبعد الممات . وكيف يخشى الانسان عقاب الله تعالى

وروى عن عامر بن ربيعة قال . صحبت عمر بن الخطاب من المدينة إلى مكة فى الحج ثم رجعنا فما ضرب فسطاطاً ولا كان له بناء يستظل به إنما كان يلقى نطعاً [1] أو كساء على شجرة فيستظل تحته

ووفد على عمر رضى الله عنه الربيع بن زياد الحارثى فأعجبته هيئته ونحوه . فشكا عمر طعاماً غليظاً أكله فقال الربيع يا أمير المؤمنين إن أحق الناس بطعام لين ومركب لين وملبس لين لأنت فرفع عمر جريدة معه فضرب بها رأسه وقال أما والله ما أراك أردت بها الله وما أردت بها إلا مقاربتى . هل تدرى ما مثلى ومثل هؤلاء قال وما مثلك ومثلهم ؟ قال مثل قوم سافروا فدفعوا نفقاتهم إلى رجل منهم . فقالوا له أنفق علينا . فهل يحل له أن يستأثر منها بشىء ؟ قال لا يا أمير المؤمنين . قال فكذلك مثلى ومثلهم . هذا هو شعور عمر بالمسئولية . شعوره بالواجب عليه نحو الرعية . ثم إنه لا يخدع بقول أحد ولا يتحول عن خلقه الذى اطمأن عليه ويفهم التزلف وأساليب التقرب إلى الحكام والأمراء . ألا تراه أجاب الربيع فى الحال بقوله « والله ما أراك أردت بها الله وما أردت بها إلا مقاربتى » فعمر

---

(١) بساطاً من الأديم

كالجبل لا يتزعزع ولا يتحول عن الحق

ثم قال عمر للربيع: « إني لم أستعمل عليكم عمالى ليضربوا أبشاركم وليشتموا أعراضكم ويأخذوا أموالكم ولكنى أستعملهم ليعلموكم كتاب ربكم وسنة نبيكم. فمن ظلمه عامله بمظلمة فلا إذن له علىَّ ليرفعها إلىَّ حتى أقصه منه. فقال عمرو بن العاص يا أمير المؤمنين إن أدب أمير رجلا من رعيته أتقصه منه؟ فقال عمر ومالى لا أقصه منه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه »

حقيقة كان رسول الله يقص من نفسه فمن ذلك أنه فى موقعة بدر خرج من العريش لتعديل الصفوف فعدلهم بقدح فى يده (سهم لا نصل فيه ولا ريش) فمر عليه السلام بسواد بن غزية حليف النجار وهو خارج من الصف فطعنه صلى الله عليه وسلم فى بطنه بالقدح وقال « استو ياسواد » فقال: يارسول الله أوجعتنى وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني من نفسك (أى مكنى من القود أى القصاص) فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال: «استقد» فاعتنق سواد النبى صلى الله عليه وسلم وقبل بطنه. فقال ماحملك على هذا ياسواد؟ فقال يا رسول الله حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلدك. فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير

وكتب عمر إلى أمراء الأجناد: لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تحرموهم فتكفروهم ولا تجمروهم فتفتنوهم ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم

(تسميته بأمير المؤمنين)

لما توفى رسول الله واستخلف أبو بكر الصديق كان يقال له خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما توفى أبو بكر واستخلف عمر بن الخطاب قيل لعمر خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال المسلمون فمن جاء بعد عمر قيل له خليفة خليفة خليفة رسول الله عليه السلام فيطول هذا ولكن أجمعوا على اسم تدعون به الخليفة. يُدْع به من بعده الخلفاء. فقال بعض أصحاب رسول الله نحن المؤمنون وعمر أميرنا. فدعى عمر أمير المؤمنين فهو أول من سمى بذلك وإذا أردنا زيادة التدقيق والتحقيق قلنا إنه أول خليفة سمى « أمير المؤمنين » لأن هذه التسمية ليست بجديدة فان عبد الله ابن جحش الأسدى هو أول من سمى « أمير المؤمنين » فى السرية التى بعثه فيها رسول الله إلى نخلة

(طرف من أعماله)

هو أول من كتب التاريخ الهجرى فى شهر ربيع الأول سنة ست عشرة فكتبه من هجرة النبى صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة

وأول من جمع القرآن فى الصحف

وأول من جمع الناس لصلاة التراويح فجمعهم على أبى بن كعب

وأجمع المسلمون فى زمنه وبعده على استحبابها ورووا عن على رضى الله عنه أنه مر على المساجد فى رمضان وفيها القناديل تزهر فقال «نور الله على عمر قبره كما نور علينا مساجدنا» وجعل للناس بالمدينة قارئين قارئا يصلى بالرجال وقارئا يصلى بالنساء

وهو أول من ضرب فى الخمر ثمانين واشتد على أهل الريب والتهم وغرب ربيعة بن أميـــة بن خلف إلى خيبر وكان صاحب شراب فدخل أرض الروم وارتد

وأول من عس فى عمله بالمدينة وحمل الدِّرة وأدب بها وأول من فتح الفتوح وسيأتى ذكر ذلك مفصلا فى هذا الكتاب

وهو أول من نهى عن بيع أمهات الأولاد . . وكان الناس يأتون الشجرة التى بايع رسول الله تحتها بيعة الرضوان فيصلون عندها فبلغ ذلك عمر فأمر بها فقطعت مخافة أن تعبد وروى أنه قال عن الحجر الأسود « لولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك ولقد أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع »

وهو أول من مصر الأمصار . الكوفة والبصرة والجزيرة والشام ومصر والموصل أنزلها العرب وخط الكوفة والبصرة

وأول من استقضى القضاة فى الأمصار وأول من دوّن الدواوين وأول من حمل الطعام فى السفن من مصر حتى ورد ساحل البحر الأحمر ومنه إلى المدينة. واتخذ دار الدقيق فجعل فيها الدقيق والسويق والتمر والزبيب وما يحتاج إليه يعين به المنقطع به والضيف ينزل بعمر

وأخرج اليهود من جزيرة العرب إلى الشام وأخرج أهل نجران وأنزلهم ناحية الكوفة

وكان عمر يحج بالناس مدة خلافته فحج بهم عشر سنين ولاء وحج بأزواج النبي عليه السلام فى آخر حجة حجها بالناس سنة ٢٣ هجرية واعتمر فى خلافته ثلاث مرات

وأول من ألقى الحصا فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الناس إذا رفعوا رءوسهم من السجود نفضوا أيديهم فأمر عمر بالحصا فجيء به من العقيق فبسط فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم

(زيادته فى المسجد النبوى)

اشتغل أبو بكر بمحاربة أهل الردة والفتح وكانت خلافته قصيرة الأجل فلم يزد فى المسجد النبوى شيئاً فلما ولى عمر قال إنى أريد أن أزيد فى المسجد ولو لا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ينبغى أن يزاد فى المسجد مازدت فيه شيئاً وكانت زيادته فيه سنة ١٧ هـ وزاد فى هذه السنة فى المسجد الحرام فجعل عمر أساطين المسجد النبوى من لبن ونزع الخشب ومده فى القبلة وكان حد جدار عمر من القبلة على اول اساطين القبلة التى إليها المقصورة. واشترى عمر ماحول المسجد من الدور إلا دار العباس بن عبد المطلب وحجر أمهات المؤمنين وقال للعباس يا أبا الفضل إن المسجد قد ضاق بالمسلمين وقد ابتعت ما حوله من المنازل نوسع به على المسلمين

فى مسجدهم إلا دارك وحجر أمهات المؤمنين . فأما حجر امهات المؤمنين فلا سبيل إليها واما دارك فبعنيها بما شئت من بيت مال المسلمين اوسع بها مسجدهم . فقال العباس ما كنت.لا أفعل . فقال له عمر اختر مى إحدى ثلاث إما ان تبيعنيها بما شئت من بيت المال وإما ان اخطك حيث شئت من المدينة وابنيها لك من بيت مال المسلمين وإما ان تصدق بها على المسلمين فوسع فى مسجدهم . فقال لا . ولا واحدة منها . فقال عمر اجعل بينى وبينك من شئت . فقال ابي بن كعب . فانطلقا إلى ابى فقصا عليه القصة . ففال ابي إن شئتما حدثتكما بحديث . سمعت رسول الله صلى اللهعليه وسلم يقول : « إن الله اوحى إلى داود ان ابن لى بيتا أُذكر فيه فحط له هذهالحطة خطة بيت المقدس فاذا تربيعها بزاوية بيت رجل من بنى اسرائيل فسأله داود ان يبيعه إياها فأبى فحدث داود نفسه ان يأخذه منه فأوحى الله اليه ان ياداود امرتك ان تبنى لى بيتا اذكر فيه فأردت ان تدخل فى بيتى الغصب وليس من شانى الغصب وان عقوبتك ان لا تبنيه . فال يارب فمن ولدى . قال فمن ولدك . فاخذ عمر بمجامع ابى بن كعب فقال جئتك بشىء فجئتنى بما هو اشد منه لتخرجن مما قلت . فجاء يقوده حتى دخل المسجد فأوقفه على حلقة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر حديث بيت المقدس حين أمر الله داود ان يبنيه الا ذكره . فقال ابو ذكر سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال آخر أنا سمعته يعنى من رسول الله صلى

الله عليه وسلم . فأرسل أبياً . فأقبل أبيّ على عمر فقال يا عمر أتتهمني على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال عمر يا أبا المنذر ما اتهمتك عليه ولكن أردت أن يكون الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهراً . وقال عمر للعباس اذهب فلا أعرض لك فى دارك . فقال العباس أما إذ قلت ذلك فانى قد تصدقت بها على المسلمين . أوسع عليهم فى مسجدهم . فأما وأنت تخاصمنى فلا فخط له عمر داره بالزوراء وبناها من بيت مال المسلمين

واتخذ عمر مكانا إلى جانب المسجد يقال له البطيحاء ثم قال : من أراد أن يلغط أو ينشد شعراً أو يرفع صوتا فليخرج إلى هذه الرحبة وكانت البطيحاء فى جهة شرقى المسجد مما يلى مؤخره . وعن عمر بن قتادة ان عمر رضى الله عنه سمع ناسا من التجار يذكرون تجارتهم والدنيا فى المسجد فقال إنما بنيت هذه المساجد لذكر الله فاذا ذكرتم تجاراتكم ودنياكم فاخرجوا إلى البقيع . وكان عمر ينهى عن رفع الأصوات فى المسجد ويعاقب من رفع صوته بالضرب

(الزيادة فى المسجد الحرام)

لما زاد ظهور الاسلام وتكاثرت المسلمون فى زمن عمر بن الخطاب رأى أن يزيد فى المسجد الحرام . فأول زيادة زيدت فيه زيادته . وقد كان المسجد الحرام ليس عليه جدران تحيط به وإنما كانت دور قريش محدقة به من كل جانب غير أن بين الدور أبوابا يدخل منها الناس إلى المسجد الحرام . فلما كان زمن عمر بن الخطاب

رضى الله عنه وضاق المسجد بالناس ولزم توسيعه اشترى دوراً حول المسجد وهدمها وأدخلها فى المسجد وقد بقيت دور احتيج إلى إدخالها أيضا فى المسجد فأبى أصحابها بيعها . فقال لهم عمر انتم نزلتم بفناء الكعبة وبنيتم به دورا ولا تملكون فناء الكعبة وما نزلت الكعبة فى سوحكم وفنائكم . فقومت الدور ووضع ثمنها فى جوف الكعبة ثم هدمت وأدخلت فى المسجد ثم طلب أصحابها الثمن فسلم اليهم ذلك وأمر ببناء جدار قصير أحاط بالمسجد وجعل فيه أبواباً كما كانت بين الدور قبل أن تهدم . جعلها فى محازاة الأبواب السابقة وذكر الطبرى وابن الأثير أن زيادة عمر كانت سنة ١٧ ﻫ وقال قطب الدين النهروالى إنها كانت عقب السيل العظيم فى سنة ١٧ من الهجرة وتخريبه معالم الحرم الشريف ويقال لذلك السيل « سيل أم نهشل » لأن أم نهشل بنت عبيدة بن سعيد بن العاص ذهب بها السيل فماتت فيه واستخرجت بأسفل مكة وكان سيلا هائلا

فكتب بذلك إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وهو بالمدينة فأهاله ذلك وركب فزعا مروعا إلى مكة فدخلها بعمرة فى شهر رمضان . فلما وصل إلى مكة وقف على حجر المقام وهو مُلْصَق بالبيت الشريف فتهوَّل من ذلك . ثم قال أنشد الله عبدا عنده علم من هذا المقام . فقال المطلب بن أبى وَدَاعة السهمى رضى الله عنه أنا ياأمير المؤمنين عندى علم بذلك فقد كنت أخشى عليه مثل هذا الأمر فأخذت قدره من موضعه إلى باب الحجر ومن موضعه إلى

زمزم بمقاطوهى عندى فى البيت . فقال له عمر اجلس عندى وارسل اليها من يأتي بها . فجلس عنده وأرسل إليها فأتي بها . فقيس بها ووضع حجر المقام فى هذا المحل يعنى الذى هو فيه الآن . وأحكم ذلك واستمر إلى الآن وفيها عمل عمر الردم الذى بأعلى مكة صونا للمسجد بناه بالضفاير والصخر العظام وكبسه بالتراب فلم يعله سيل بعد ذلك

(لينه وشدته)

اجتمع عليّ وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد . وكان أجرأهم على عمر عبد الرحمن بن عوف . فقالوا . لو كلمت أمير المؤمنين للناس فانه يأتى الرجل طالب الحاجة فتمنعه هيبتك أن يكلمك فى حاجة حتى يرجع ولم يقض حاجته . فدخل عليه فكلمه . فقال : يا أمير المؤمنين لِن للناس فانه يقدم القادم عليك فتمنعه هيبتك أن يكلمك فى حاجته حتى يرجع ولم يكلمك . قال ياعبد الرحمن أنشدك الله . أعَلِيّ وعثمان وطلحة والزبير وسعد أمروك بهذا ؟ قال نعم . قال ياعبد الرحمن والله لقد لنتُ للناس حتى خشيتُ الله فى اللين ثم اشتددت حتى خشيت الله فى الشدة . فأين المخرج ؟ فقام عبد الرحمن يبكى يجر رداءه يقول بيده : « أفٍّ لهم بعدك . أف لهم بعدك »

وعن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أشد أمتى فى أمر الله عمر »

وقال الأحنف كنت مع عمر بن الخطاب فلقيه رجل فقال يا أمير المؤمنين انطلق معى فاعدني على فلان فانه قد ظلمنى. فرفع الدرة نخفق بها رأسه فقال تدعون أمير المؤمنين وهو معرض لكم حتى إذا شغل فى أمر من أمور المسلمين أتيتموه أعدنى. أعدنى. فانصرف الرجل وهو يتذمر. قال علىّ الرجل. فألقى اليه المخفقة وقال امتثل فقال لا والله ولكن أدعها لله ولك. قال ليس هكذا. إما أن تدعها لله إرادة ما عنده أو تدعها لى فأعلم ذلك. قال أدعها لله فانصرف ثم جاء عمر يمشى حتى دخل منزله ونحن معه فصلى ركعتين وجلس فقال. « يا ابن الخطاب. كنت وضيعا فرفعك الله. وكنت ضالا فهداك الله. وكنت ذليلا فأعزك الله ثم حملك على رقاب الناس فجاءك رجل يستعديك[1] فضربته. ما تقول لربك غدا إذا أتيته ؟» فجعل يعاتب نفسه فى ذلك معاتبة حتى ظننا أنه خير أهل الأرض

(عمر يرفض هدية لامرأته)

أهدى أبو موسى الأشعرى لامرأة عمر عاتكة طُنْفُسَةً قدرها ذراع وشبر فدخل عليها عمر فرآها فقال أنّى لك هذه ؟ فقالت أهداها لى أبو موسى الأشعرى فأخذها عمر فضرب بها رأسها حتى نغض رأسها ثم قال علىّ بأبي موسى الأشعرى وأتعبوه. فأتى به قد أتعب وهو يقول لاتَعْجَل علىّ يا أمير المؤمنين. فقال عمر مايحملك

---

(١) يطلب منك النصرة

على أن تهدى لنسائى ؟ ثم أخذها عمر فضرب بها فوق رأسه وقال خذها فلا حاجة لنا فيها

(تأثر عمر بذكر الله والقرآن)

كان عمر إذا غضب وذكر الله عنده أو قرأ عنده إنسان آية من القرآن سكن غضبه ووقف عما يريد وقد جاء بلال يريد أن يستأذن على عمر فقال أسلم خادمه إنه نائم . فقال يا أسلم كيف تجدون عمر ؟ فقال خير الناس إلا أنه إذا غضب فهو أمر عظيم . فقال بلال لو كنت عنده إذا غضب قرأت عليه القرآن حتى يذهب غضبه . وصاح عمر على رجل يوما وعلاه بالدرة فقال له أذكرك بالله. فطرح الدرة وقال ذكرتنى عظيما

(دعاؤه)

عن حفصة أنها سمعت أباها يقول : «اللهم ارزقنى قتلا فى سبيلك ووفاة فى بلد نبيك » وكان يقول فى دعائه فى عام الرمادة وهو عام القحط «اللهم لا تهلكنا بالسنين وارفع عنا البلاء» ويقول «اللهم لا تجعل هلاك أمة محمد على يدى» وقال فى أواخر أيامه «اللهم كبرت سنى وضعفت قوتى وانتشرت رعيتى فاقبضنى اليك غير مضيع ولا مفرط »

(إن الشيطان ليخاف من عمر)

كان عمر رضى الله عنه يغلب عليه الجد وكان شديداً والناس

يرهبونه حتى فى زمن رسول الله فمن ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج فى بعض مغازيه فلما انصرف جاءت جارية سوداء فقالت يارسول الله إنى كنت نذرت إن ردك الله سالما أن أضرب بين يديك بالدف . قال إن كنت نذرت فاضربي وإلا فلا . فجعلت تضرب فدخل أبو بكر وهى تضرب ثم دخل على وهى تضرب . ثم دخل عثمان وهى تضرب ثم دخل عمر فألقت الدف تحت إستها وقعدت عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الشيطان ليخاف منك ياعمر . إنى كنت جالسا وهى تضرب فدخل أبو بكر وهى تضرب . ثم دخل على وهى تضرب . ثم دخل عثمان وهى تضرب . ثم دخلت أنت ياعمر فألقت الدف»

(فضل عمر)

قال عبد الله بن مسعود فضل الناس عمر بن الخطاب بأربع بذكر الأسرى يوم بدر . أمر بقتلهم فأنزل الله تعالى (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) وبذكر الحجاب . أمر نساء النبى صلى الله عليه وسلم أن يحتجبن فقالت زينب إنك عذاب ياابن الخطاب والوحى ينزل فى بيوتنا فأنزل الله تعالى (وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب) وبدعوة النبى صلى الله عليه وسلم « أيد الاسلام بعمر » وبرأيه فى أبى بكر

(ستره العورات ودفاعه عن الشرف)

جاء فى المناقب عن الشعبي [١] قال أتى عمر بن الخطاب رجل فقال إن ابنة كنت وأدتها فى الجاهلية فاستخرجناها قبل أن تموت فأدركت معنا الاسلام فأسلمت ثم أصابها حد من حدود الله فأخذت الشفرة لتذبح نفسها وأدركناها وقد قطعت بعض أوداجها فداويناها حتى برأت ثم أقبلت بعد توبة حسنة وهى تخطب إلى قوم أفأخبرهم بالذى كان ؟ فقال عمر : أتعهد إلى ما ستره الله فتبديه . والله لئن أخبرت بشأنها أحدا من الناس لأجعلنك نكالا لأهل الأمصار . أنكحها نكاح العفيفة المسلمة

وفى المناقب عن الليث بن عبد الله بن صالح . قال أتي عمر بن الخطاب بفتى أمرد وجد قتيلا ملقى على وجهه فى الطريق فسأل عمر عن أمره واجتهد فلم يقف له على خبر ولم يعرف له قاتلا . فشق ذلك على عمر وقال اللهم أظفرنى بقاتله . حتى إذا كان رأس الحول أو قريبا من ذلك وجد صبى مولود ملقى موضع القتيل فأتي به عمر فقال ظفرت بدم القيل إن شاء الله . فدفع الصبى إلى امرأة وقال لها قومى بشأنه وخذى منا نفقته وانظرى من يأخذه منك فاذا وجدت امرأة تقبله وتضمه إلى صدرها فاعلمينى بمكانها . فلما شب الصبي جاءت جارية فقالت للمرأة إن سيدتى بعثتنى إليك تبعثى الصبي

[١] راجع أيضا كتاب أشهر مشاهير الاسلام - لرفيق بك العظم ص ٤٤٣ - ٤٤٤

لتراه وترده إليك. قالت نعم اذهبي به إليها وأنا معك. فذهبت بالصبي والمرأة معها حتى دخلت على سيدتها. فلما رأته أخذته وقبلته وضمته اليها فاذا هي بنت شيخ من الأنصار من أصحاب رسول الله فأخبرت عمر خبر المرأة. فاشتمل عمر على سيفه ثم أقبل إلى منزلها فوجد أباها متكئاً على باب داره. فقال يا أبا فلان. ما فعلت ابنتك فلانة؟ قال يا أمير المؤمنين جزاها الله خيراً هي من أعرف الناس بحق الله تعالى وحق أبيها مع حسن صلاتها وصيامها والقيام بدينها. فقال عمر قد أحببت أن أدخل إليها فأزيدها رغبة فى الخير وأحثها على ذلك. فقال جزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين. امكث مكانك حتى أرجع إليك. فاستأذن لعمر فلما دخل عمر أمر كل من كان عندها فخرج عنها وبقيت هي وعمر فى البيت ليس معها أحد فكشف عمر عن السيف وقال لتصدقيني وكان عمر لا يكذب. فقالت على رسلك ياأمير المؤمنين فوالله لأصدقن. إن عجوزا كانت تدخل على فاتخذتها أماً وكانت تقوم فى أمرى بما تقوم به الوالدة وكنت لها بمنزلة البنت فأمضيت بذلك حينا. ثم إنها قالت لى يابنية إنه قد عرض لى سفر ولى بنت أتخوف عليها من أن تضيع وقد أحببت أن أضمها إليك حتى أرجع من سفرى. فعمدت إلى ابن لها شاب أمرد فهيأته كهيئة الجارية وأتتني به لا أشك أنه جارية فكان يرى منى ما ترى الجارية من الجارية حتى اغتفلنى يوما وأنا نائمة فما شعرت حتى علانى وخالطنى فمددت يدى إلى شفرة كانت إلى جنبي فقتلته ثم أمرت به فألقى حيث

رأيت فاشتملت منه على هذا الصبي فلما وضعته ألقيته فى موضع أبيه . فهذا والله خبرهما على ما أعلمتك . فقال عمر صدقت بارك الله فيك ثم أوصاها ووعظها ودعا لها وخرج وقال لأبيها بارك الله فى ابنتك فنعم الابنة ابنتك وقد وعظتها وأمرتها . فقال الشيخ وصلك الله ياأمير المؤمنين وجزاك خيراً عن رعيتك

(طواف عمر على الناس ليلا)

طاف عمر ليلة فاذا هو بامرأة فى جوف دار لها وحولها صبيان يبكون وإذا قدر على النار قد ملأتها ماء فدنا عمر بن الخطاب من الباب فقال . ياأمة الله . مابال هؤلاء الصبية يبكون ؟ فقالت بكاؤهم من الجوع . قال فما هذه القدر التى على النار ؟ فقالت قد جعلت فيها ماء أعللهم بها حتى يناموا . أو همهم أن فيها شيئا من دقيق وسمن فجلس عمر فبكى ثم جاء إلى دار الصدقة فأخذ غرارة وجعل فيها شيئا من دقيق وسمن وشحم وتمر وثياب ودراهم حتى ملأ الغرارة ثم قال يا أسلم أحمل علىَّ . فقال يا أمير المؤمنين أنا أحمله عنك . فقال لا أم لك يا أسلم . أنا أحمله لأنى أنا المسئول عنهم فى الآخرة ، فحمله على عنقه حتى أتى به منزل المرأة وأخذ القدر فجعل فيها شيئا من دقيق وشيئا من شحم وتمر وجعل يحركه بيده وينفخ تحت القدر وكانت لحيته عظيمة والدخان يخرج من خلل لحيته حتى طبخ لهم ثم جعل يغرف بيده ويطعمهم حتى شبعوا وربض بحذائهم كأنه سبع،

ولم يزل كذلك حتى لعبوا وضحكوا ، ثم قال يا أسلم ، أتدرى لم ربضت بحذائهم ؟ قلت لا يا أمير المؤمنين ، قال رأيتهم يبكون فكرهت أن أذهب وأدعهم حتى أراهم يضحكون فلما ضحكوا طابت نفسى .

هذه قصة مشهورة عن طواف عمر ليعلم حال الناس فكان دائما يشعر بالمسئولية فانه قال لأسلم «أنا المسئول عنهم فى الآخرة» وكان هذا الشعور رائده فى كل أعماله وأقواله

وبينما هو يَعُسُّ ذات ليلة فاذا امرأة تقول:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها   أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج

فلما أصبح سأل عنه فاذا هو من بنى سليم فأرسل اليه فاذا هو من أحسن الناس شعراً وأصبحهم وجها فأمره عمر أن يَطُمَّ شعره ففعل فخرجت جبهته فازداد حسناً . فأمره أن يعتم فازداد حسناً . فقال عمر لا والذى نفسى بيده لاتجامعنى بأرض أنا بها . فأمر له بما يصلحه وسيره إلى البصرة

وخرج يعس ذات ليلة فاذا بنسوة يتحدثن فاذا هن يقلن أى أهل المدينة أصبح ؟ فقالت امرأة منهن أبو ذئب . فلما أصبح سأل عنه فاذا هو من بنى سليم . فلما نظر اليه عمر إذا هو أجمل الناس . فقال له عمر أنت والله ذئبهن مرتين أو ثلاثا . والذى نفسى بيده لاتجامعنى بأرض أنا بها . قال فان كنت لابد مسيرى فسيرنى حيث سيرت ابن عمى - يعنى نصر بن حجاج - فامر له بما يصلحه وسيره إلى البصرة

(تدوين الدواوين)

استشار عمر بن الخطاب المسلمين فى تدوين الدواوين . فقال له علي بن أبى طالب تقسم كل سنة ما اجتمع اليك من مال ولا تمسك منه شيئا . وقال عثمان بن عفان : أرى مالا كثيراً يسع الناس وإن لم يحصوا حتى تعرف من أخذ ممن لم يأخذ خشيت أن ينتشر الأمر . فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة : ياأمير المؤمنين قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانا وجندوا جنودا فدون ديوانا وجند جنوداً فأخذ بقوله فدعا عقيل بن أبى طالب ومخرمة بن نوفل وجبير ابن مطعم وكانوا من نساب قريش . فقال اكتبوا الناس على منازلهم فكتبوا فبدأوا ببنى هاشم ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه ثم عمر وقومه على الخلافة . فلما نظر إليه عمر قال وددت والله أنه هكذا ولكن ابدأوا بقرابة النبي صلى الله عليه وسلم الأقرب فالأقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله

وكان تدوين الدواوين فى المحرم سنة عشرين . بدأ ببنى هاشم فى الدعوة ثم الأقرب فالأقرب برسول الله . فكان القوم إذا استووا فى القرابة برسول الله ، قدم أهل السابقة حتى انتهى إلى الأنصار فقالوا بمن نبدأ ؟ فقال عمر ابدأوا برهط سعد بن معاذ الأشهلى ثم الأقرب فالاقرب بسعد بن معاذ . وفرض لأهل الديوان ، ففضل أهل السوابق والمشاهد فى الفرائض فبدأ بمن شهد بدرا من المهاجرين والأنصار ففرض لكل رجل منهم ٥٠٠٠ درهم فى كل سنة حليفهم

ومولاهم معهم بالسواء . وفرض لمن كان له اسلام كاسلام أهل بدر من مهاجرة الحبشة ومن شهد أحداً ٤٠٠٠ درهم لـكل رجل منهم وفرض لأبناء البدريين ٢٠٠٠ إلا حسنا وحسينا فانه ألحقهما بفريضة أبيهما لقرابتهما برسول الله صلى الله عليه وسلم ففرض لكل واحد منهما ٥٠٠٠ درهم وفرض للعباس بن عبد المطلب ٥٠٠٠ لقرابته برسول الله : وقد أجمعوا أنه لم يفضل أحداً على أهل بدر إلا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فانه فرض لكل امرأة منهن ١٢٠٠٠ درهم وفرض لمن هاجر قبل الفتح لكل رجل ٣٠٠٠ درهم وفرض لمسلمة الفتح لـكل رجل منهم ٢٠٠٠ وفرض لغلمان أحداث من أبناء المهاجرين والأنصار كفرائض مسلمة الفتح (٢٠٠٠) وفرض لعمر بن أبي سلمة ٤٠٠٠ درهم لمكانه من النبي صلى الله عليه وسلم فهو ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه سلمة زوج النبي عليه السلام . وفرض لأسامة بن زيد ٤٠٠٠ . ثم فرض للناس على منازلهم وقراءتهم القرآن وجهادهم . ثم جعل من بقي من الناس بابا واحداً فألحق من جاءهم من المسلمين بالمدينة ٢٥ ديناراً لـكل رجل وفرض للمحررين معهم . وفرض لأهل اليمن وقيس بالشام والعراق لكل رجل من ٢٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ وفرض لنساء مهاجرات ففرض لصفية بنت عبد المطلب ٦٠٠٠ درهم ولأسماء ابنة عميس ١٠٠٠ درهم ولأم كلثوم بنت عقبة ١٠٠٠ درهم ولأم عبد الله بن مسعود ١٠٠٠ درهم وكان إذا أتى باللقيط فرض له ١٠٠ درهم وفرض له رزقا يأخذه

وليه كل شهر مايصلحه ثم ينقله من سنة إلى سنة وكان يوصى بهم خيراً ويجعل رضاعهم ونفقتهم من بيت المال [١]

فأنت ترى أن عمر فكر فى اللقطاء وتربيتهم وجعل لهم من بيت المال إعانة شهرية تزيد كلما نما الطفل وكان يوصى بهم خيرا . وقد كان العرب فى الجاهلية يأدون البنات خشية الفقر أو العار . فانظر الفرق الشاسع بين وأد البنات بلا رحمة وشفقة وترتيب إعانة شهرية للقطاء لأنهم أبناء الأمة ويستحقون كل شفقة . وفى ذلك الوقت لم يكن العالم قد خطا أى خطوة فى سبيل العناية باللقطاء بل كانوا يموتون فى الطرقات من الجوع أو البرد ومن عاش منهم يعامل معاملة قاسية حتى أن أروبا لم تفكر فى انشاء ملاجىء لهم على نظام يكفل المحافظة عليهم الا فى بدء القرن الثانى عشر

(سبب التسمية بالديوان)

فى طبقات ابن سعد رواية عن حويرث بن نقيد خلاصتها أن عمر رضى الله عنه أخذ بقول للوليد بن هشام لما استشار أصحابه فى تدوين الدواوين إذ قال له: « ياأمير المؤمنين قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانا وجندوا جنودا . فدوّن ديوانا وجند جنوداً » غير أن كلمة ديوان أصلها فارسى على الأرجح وذلك أن كسرى اطلع ذات يوم على كتاب ديوانه فرآهم يحسبون مع أنفسهم فقال « ديوانه » أى (مجانين) فسمى موضعهم بهذا الاسم ثم حذفت الهاء عند كثرة

---

(١) طبقات ابن سعد

الاستعمال (١) تخفيفاً فقيل ديوان ثم نقل هذا الاسم الى كتاب هذه الأعمال المتضمن للقوانين والحسابات. وقد اختلفوا فى الذى أشار على عمر بتدوين الديوان فقيل إنه الوليد بن هشام كما فى طبقات ابن سعد وقيل خالد بن الوليد وقيل بل هو الهرمزان الذى أشار به لما رآه يبعث البعوث بغير ديوان وروى أن أبا هريرة قدم عليه بمال من البحرين فقال له عمر. ماذا جئت به؟ فقال خمسمائة ألف درهم فاستكثره عمر فقال له أتدرى ماتقول؟ قال نعم مائة ألف خمس مرات. فقال عمر أطيب هو؟ فقال لا أدرى. فصعد عمر المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال. أيها الناس قد جاءنا مال كثير فان شئتم كلنا لكم كيلا وإن شئتم عددنا لكم عدداً. فقام إليه رجل فقال يا أمير المؤمنين قد رأيت الأعاجم يدونون ديواناً لهم فدوّن أنت لنا ديوانا

وعلى كل حال لم يكن فى العرب ديوان فأحدثه عمر لما رأى كثرة الأموال التى ترد عليه وأمر ثلاثة من كتاب قريش وهم عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم فكتبوا ديوان العساكر الاسلامية على ترتيب الانساب مبتدئا من قرابة الرسول وما بعد الأقرب فالأقرب. هكذا كان ابتداء ديوان الجيش

(الصدقات والفيء والغنيمة)

كانت الصدقات ترد فى زمن رسول الله وأبى بكر فتوزع على

(١) راجع الأحكام السلطانية طبع المطبعة المحمودية بالأزهر

الفقراء . ومصرف الصدقات منصوص عليه ليس للأئمة اجتهاد فيه

والفيء والغنيمة مأخوذان من المشركين وهما يختلفان لأن مال الفيء مأخوذ عفواً في غير قتال ولا بإيجاف خيل ولا ركاب فهو كمال الهدنة والجزية وقد نص القرآن الكريم في خمس الفيء قال تعالى: (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل[1]) فيقسم الخمس على خمسة أسهم متساوية . سهم كان لرسول الله في حياته ينفق منه على نفسه وأزواجه ويصرفه في مصالحه ومصالح المسلمين والسهم الثاني لذوي القربى والثالث لليتامى من ذوي الحاجات . واليتم موت الأب مع الصغر ويستوي فيه حكم الغلام والجارية فإذا بلغا زال اسم اليتم عنهما . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يتم بعد الحلم » . والسهم الرابع للمساكين فهو من لا يجد ما يكفيه من أهل الفيء لأن مساكين الفيء يتميزون عن مساكين الصدقات لاختلاف مصرفهما . والسهم الخامس لابن السبيل وهم المسافرون من أهل الفيء لا يجدون ما ينفقون . هذا حكم الخمس في قسمه وأما أربعة أخماسه فلا يتعلق بموضوعنا

وأما الغنيمة فتشتمل على أربعة أقسام : أسرى، وسبي، وأرضين وأموال . وقد كان رسول الله يقسم الأموال المنقولة على رأيه

(رأي أبي بكر في توزيع العطاء)

كان أبو بكر رضي الله عنه يرى التسوية في العطاء ولا يرى

---

(١) سورة الحشر

التفضيل بالسابقة فى الدين وكذلك كان رأى عثمان بن عفان بعده وبه أخذ أبو حنيفة وفقهاء العراق

(رأى عمر)

قال عمر لأبى بكر : أتسوى بين من هاجر الهجرتين وصلى إلى القبلتين وبين من أسلم عام الفتح خوف السيف ؟ فقال له أبو بكر إنما عملوا لله وإنما أجورهم على الله وإنما الدنيا دار بلاغ الراكب فقال له عمر . لا أجعل من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كمن قاتل معه فلما وضع الديوان فضل بالسابقة . بقى أبو بكر مدة خلافته يسوى بين الناس ولم يأخذ برأى عمر ولم يقتنع به فلما ولى عمر الخلافة ووضع الديوان فضل بالسابقة كما مر ذكره . وقال لئن كثر المال لأفرضن لكل واحد منكم أربعة آلاف درهم ألفاً لفرسه وألفاً لسلاحه وألفاً لسفره وألفاً لخلفها فى أهله

(زينب زوج رسول الله توزع عطاءها)

لما خرج العطاء أرسل عمر إلى زينب بنت جحش زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذى يخصها فلما دخل عليها قالت غفر الله لعمر . غيرى من أخواتي كان أقوى على قسم هذا منى . فقالوا هذا كله لك . قالت سبحان الله واستترت منه بثوب . قالت صبوه واطرحوا عليه ثوباً ثم قالت لبرزة بنت رافع أدخلى يدك فاقبضى منه قبضة فاذهبي بها إلى بنى فلان من أهل رحمها وأيتامها فقسمته

حتى بقيت بقية تحت الثوب فقالت لها برزة غفر الله لك يا أم المؤمنين والله لقد كان لنا فى هذا حق . فقالت فلكم ما تحت الثوب . قلت فكشفنا الثوب فوجدنا خمسة وثمانين درهما ثم رفعت يدها إلى السماء فقالت : « اللهم لا يدركنى عطاء لعمر بعد عامى هذا » فماتت

(ما فرضه عمر للمولود)

ذكرنا أن عمر فرض للقيط ١٠٠ درهم وقد فرض أيضا للمولود ١٠٠ درهم فاذا ترعرع بلغ به ٢٠٠ درهم وكان لا يفرض لمولود شيئا حتى يفطم إلى أن سمع امرأة ذات ليلة وهى تكره ولدها على الفطام وهو يبكى فسألها عنه فقالت إن عمر لا يفرض لمولود حتى يفطم فانا أكرهه على الفطام حتى يفرض له . فقال : ياويل عمر كم احتقب من وزر وهو لا يعلم . ثم أمر مناديه فنادى ألا لا تعجلوا أولادكم بالفطام فانا نفرض لكل مولود فى الاسلام وكتب بذلك إلى الآفاق

روى عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥٣٩ حديثا اتفق البخارى ومسلم منها على ٢٦ وانفرد البخارى بأربعة وثلاثين ومسلم بواحد وعشرين

قام عمر فى خلافته أتم قيام وجاهد فى الله حق جهاده فجيش الجيوش وفتح البلدان ومصر الأمصار وأعز الاسلام ففتح الشام والعراق ومصر والجزيرة وديار بكر وأرمينية وأذربيجان وايران وبلاد الجبال وبلاد فارس وخورستان وسيأتى تفصيل ذلك كله فى خلافته

(مقتله)

بينما كان عمر رضى الله عنه قائما يصلى صلاة الصبح طعنه أبو لؤلؤة فيروز غلام المغيرة بن شعبة بسكين فى كتفه وخاصرته ست ضربات وغسله ابنه عبد الله وحمل على سرير رسول الله فى مسجد رسول الله وصلى عليه صهيب ونزل فى قبره ابنه عبد الله وعثمان بن عفان وسعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف

وقد طعن رضى الله عنه يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذى الحجة سنة ٢٣ هـ ودفن يوم الأحد هلال محرم سنة ٢٤ هـ فكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام وقيل ثمانية أيام وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح المشهور . ثبت ذلك فى الصحيح عن معاوية بن أبى سفيان وقاله الجمهور وسنذكر تفاصيل وفاته فى آخر كتابنا هذا انشاء الله تعالى

(عمال عمر على الامصار)

كان عامل عمر رضى الله عنه فى السنة التى قتل فيها وهى سنة ٢٣ هـ على مكة نافع بن عبد الحارث الخزاعى . وعلى الطائف سفيان ابن عبد الله الثقفى . وعلى صنعاء يعلى بن منية . وعلى الجند عبد الله ابن أبى ربيعة . وعلى الكوفة المغيرة بن شعبة . وعلى البصرة أبا موسى الأشعرى . وعلى مصر عمرو بن العاص . وعلى حمص عمير ابن سعد . وعلى دمشق معاوية بن أبى سفيان . وعلى البحرين وما

والاهما عثمان بن ابي العاص الثقفي
وقد أوصى أن تقر عماله سنة فأقرهم عثمان سنة

(قضاته)

ولى عمر رضى الله عنه على قضاء الكوفة شريح بن الحارث الكندى وولى للقضاء بمصر قيس بن أبي العاص السهمى وهو أول قاض قضى بها فى الاسلام وولى أبا الدرداء بالمدينة وولى أبا موسى الأشعرى قضاء البصرة

(وصية عمر لابنه عبد الله)

أوصى عمر بن الخطاب ابنه عبد الله عند الموت فقال :

« يابنى عليك بخصال الايمان . قال وما هن ياأبت ؟ قال : الصوم فى شدة أيام الصيف . وقتل الأعداء بالسيف . والصبر على المصيبة واساغ الوضوء فى اليوم الشاتى وتعجيل الصلاة فى يوم الغيم وترك ردعة الخبال» فقال وما ردعة الخبال ؟ قال شرب الخمر

هذه وصية عمر لابنه وهى وصية عجيبة مملوءة قوة لايقوم بها إلا الرجال الأشداء. أوصاه بها ليكون رجلاقوياً صابرا متديناًوفى آخرها أوصاه بترك شرب الخمر لأنه كان سبباً فى نزول آية تحريم الخمر وقد حد عمر ابنه عبد الرحمن واسمه أبو شحمة فى الخمر فمات

***

ونهى عمر اهله وأصحابه أن يبكوا عليه لقول رسول الله من يبك

عليه يعذب وقوله ان المعول عليه يعذب . وأوصى ان لا يغسلوه بمسك أو لا يغربوه مسكا.وغسل بالماء ثلاثاً وكفن فى ثلاثة أثواب . وأوصى الا يتبع بنار ولا تتبعه امرأة وكانت عادة الجاهلية أن تحمل النيران فى تشييع الجنازة وتتبعها النوائح وقد نهى الاسلام عن ذلك

كرامات عمر رضى الله عنه

ظهرت كرامات كثيرة لعمر رضى الله عنه فقد روى أنه بعث جيشاً وأمر عليه رجلا يدعى سارية بن الحصين .فبينما عمر يوم الجمعة يخطب جعل يصيح فى خطبته وهو على المنبر « ياسارية الجبل الجبل » قال على بن أبى طالب فكتبت تاريخ تلك الكلمة فقدم رسول مقدم الجيش ،فقال ياأمير المؤمنين غزونا يوم الجمعة فى وقت الخطبة فهزمونا فاذا بانسان يصيح ياسارية الجبل. الجبل . فاسندنا ظهورنا الى الجبل فهزم الله الكفار وظفرنا بالغنائم العظيمة ببركة ذلك الصوت

ولما فتح المسلمون مصرولم يزد النيل قالوا لعمرو بن العاص انهم يلقون فى النيل جارية فقال هذا لايكون فى الاسلام وكتب لعمر ابن الخطاب فكتب رسالة الى عمرو وأمره ان يلقيها فى النيل فلما ألقيت فيه زاد النيل وسيأتى ذكر ذلك فيما بعد

ووقعت زلزلة فى المدينة فضرب عمر الدرة على الأرض وقال اسكنى باذن الله فسكنت وما حدثت الزلزلة بالمدينة بعد ذلك

وشبت النار فى بعض دور المدينة فكتب عمر على خرقة (يا نار اسكنى باذن الله) فألقوها فى النار فانطفأت فى الحال[١]

تأبين عمر بن الخطاب

رثت عمر ابنة أبى حثمة فقالت :

«واعمراه. أقام الأود. وأبرأ العمد. أمات الفتن وأحيا السنن، خرج نقى الثوب. بريئاً من العيب»

وقالت عاتكة ابنة زيد بن عمرو زوجة عمر :

فجعنى فيروز لادر دره ... بأبيض تال للكتاب منيب
رءوف على الأدنى غليظ على العدى ... أخى ثقة فى النائبات مجيب
متى مايقل لايكذب القول فعله ... سريع الى الخيرات غير قطوب[٢]

وقالت أيضاً :

عين جودى بعبرة ونحيب ... لاتملى على الامام النجيب
فجعتنى المنون بالفارس المعلم ... يوم الهياج والتلبيب
عصمة الناس والمعين على الدهر ... وغيث المنتاب والمحروب
قل لأهل السراء والبؤس موتوا ... قد سقته المنون كأس شعوب

(١) تفسير الفخر الرازى ج ٤ ص ٢٩٩، ٣٠٠

(٢) ذكرت هذه الأبيات فى الطبرى لعاتكة وقد وجدناها فى ديوان حسان ابن ثابت فى رثاء عمر مع اختلاف فى عجز البيت الأول ففى الديوان «بأبيض يتلو المحكمات منيب»

ورثاه حسان بن ثابت فقال :

ثلاثة برزوا بفضلهم نصرهم ربهم إذا نشروا
فليس من مؤمن له بصر ينكر تفضيلهم إذا ذكروا
عاشوا بلا فرقة ثلاثتهم واجتمعوا فى الممات إذ قبروا

وقال عبد الله بن سلام :

« نعم أخو الاسلام كنت يا عمر جوادا بالحق ، بخيلا بالباطل ترضى حين الرضى ، وتغضب حين الغضب ، عفيف الطرف ، طيب الظرف . لم تكن مداحا ولا مغتابا

وقال عمر : ما على الأرض أحد ألقى الله بصحيفته أحب إلى من هذا المسجى بينكم

آراء المستشرقين فى عمر

نورد هنا آراء بعض المستشرقين فى عمر بن الخطاب فمما قاله الأستاذ موير فى كتابه (الخلافة) ما ترجمته :

« كانت البساطة والقيام بالواجب من أهم مبادىء عمر . واظهر ما اتصفت به إداراته عدم التحيز . والتعبد . وكان يقدر المسئولية حق قدرها » وقال « وكان شعوره بالعدل قويا ولم يحاب أحدا فى اختيار عماله . ومع أنه كان يحمل سوطه ويعاقب المذنب فى الحال ـ حتى قيل أن سوط عمر أشد من سيف غيره ـ إلا أنه كان رقيق القلب وكانت له أعمال سجلت له شفقته . من ذلك شفقته على الأرامل والأيتام »

وقالت عنه دائرة المعارف البريطانية :

« كان عمر حاكما عاقلا ، بعيد النظر وقد أدى للاسلام خدمة عظيمة »

وكتب الأستاذ واشنجتون ايرفنج فى كتابه (محمد وخلفاؤه) :

« إن حياة عمر من أولها إلى آخرها تدل على أنه كان رجلا ذا مواهب عقلية عظيمة وكان شديد التمسك بالاستقامة والعدالة وهو الذى وضع أساس الأمبراطورية الاسلامية ونفذ رغبات النبي وثبتها وآزر أبا بكر بنصائحه أثناء خلافته القصيرة . ووضع قواعد متينة للادارة الحازمة فى جميع البلاد التى فتحها المسلمون وإن اليد القوية التى وضعها على اعظم قواده المحبوبين لدى الجيش فى البلاد النائية وقت انتصاراتهم لأظهر دليل على كفاءته الخارقة للحكم وكان ببساطة أخلاقه واحتقاره للأبهة والترف مقتديا بالنبي وأبي بكر وقد سار على أثرهما فى كتبه للقواد »

بعض خطب عمر رضى الله عنه

— ١ —

أيها الناس إنى قد وليت عليكم ولولا رجاء أن اكون خيركم لكم واقواكم عليكم واشدكم استضلاعا بما ينوب من مهم امور كم ما وليت ذلك منكم ولكنى عمر مهما محزنا انتظار موافقة الحساب باخذ حقوقكم كيف آخذها ووضعها اين اضعها وبالسير فيكم كيف

أسير فربى المستعان . فان عمر اصبح لا يثق بقوة ولا حيلة إن لم يتداركه الله عز وجل برحمته وعونه وتاييده

وفى هذه الخطبة نرى عمر واثقا بقوته بتأييد الله تعالى له

— ٢ —

إن الله عز وجل قد ولاني امركم وقد علمت انفع ما بحضرتكم لكم وإني اسأل الله تعالى ان يعينني عليه وان يحرسنى عنده كما حرسنى عند غيره وان يلهمنى العدل فى قسمكم كالذى أمر به وإنى امرؤ مسلم وعبد ضعيف إلا ما أعان الله عز وجل ولن يغير الذى وليت من خلافتكم من خلق شيئا ان شاء الله . إنما العظمه لله عز وجل وليس للعباد منها شيء فلا يقولن أحد منكم إن عمر تغير منذ ولى . اعقل الحق من نفسي واتقدم وابين لكم امرى فايما رجل كانت له حاجة او ظلم مظلمة أو عتب علينا فى خلق فليؤذني فانما أنا رجل منكم فعليكم بتقوى الله فى سركم وعلانيتكم وحرماتكم وأعراضكم واعطوا الحق من أنفسكم ولا يحمل بعضكم بعضا على أن تحاكموا إلى فانه ليس بينى وبين أحد من الناس هوادة [1] وأنا حبيب إلىّ صلاحكم عزيز علىّ عتبكم وأنتم أناس عامتكم حضر فى بلاد الله واهل بلد لا زرع فيه ولا ضرع إلا ما جاء الله به إليه وإن الله عز وجل قد وعدكم كرامة كثيرة وانا مسئول عن امانتى وما انا فيه مطلع على ما بحضرتي بنفسى ان شاء الله لا اكله إلى احد ولا استطيع ما بعد منه إلا

(١) الهوادة اللين والرفق

بالأمناء واهل النصح منكم للعامة ولست اجعل اماتنى إلى احد سواهم إن شاء الله [١]

تبين هذه الخطبة اخلاق عمر رضى الله عنه وسياسته فى رعيته فهو لا يعرف المحاباة ويعدل بقدر الطاقة . وللوصول إلى العدل صرح بأنه يحقق بنفسه وانه مستعد لسماع كل شكوى ويصغى إلى نصيحة الأمناء

— ٣ —

ايها الناس ان بعض الطمع فقر . وإن بعض اليأس غنى وانكم تجمعون مالا تأكلون وتأملون مالا تدركون وانتم مؤجلون فى دار غرور. كنتم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تؤخذون بالوحى ، فمن اسر شيئا اخذ بسريرته ومن اعلم شيئا اخذ بعلانيته ، فأظهروا لنا احسن اخلاقكم والله اعلم بالسرائر فانه من اظهر لنا شيئا وزعم ان سريرته حسنة لم نصدقه ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسناً واعلموا ان بعض الشح شعبة من النفاق فانفقوا خيراً لأنفسكم (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) ايها الناس اطيبوا مثواكم واصلحوا اموركم واتقوا الله ربكم ولا تلبسوا نساكم القباطى فانه ان لم يشف فانه يصف ، ايها الناس انى لوددت ان انجو كفافا لالى ولا على وانى لارجو إن عمرت فيكم يسيراً اوكثيراً ان

---

(١) الطبرى

فاعمل بالحق فيكم ان شاء الله وان لا يبق احد من المسلمين وان كان فى بيته إلا اتاه حقه ونصيبه من مال الله ولا يعمل اليه نفسه ولم ينصب اليه يوما واصلحوا أموالكم التى رزقكم الله . ولقليل فى رفق خير من كثير فى عنف والقتل حتف من الحتوف يصيب البر والفاجر ، والشهيد من احتسب نفسه . وإذا أراد احدكم بعيرا فليعمد إلى الطويل العظيم فليضربه بعصاه فان وجده حديد الفؤاد فليشتره [١]

تكلم عمر رضى الله عنه فى هذه الخطبة فى عدة امور فقد اشار إلى ان الوحى قدانقطع بموت رسول الله فلا سبيل إلى معرفة الباطن والسرائر إلا بما يظهره الانسان ، وذم الشح ونهى عن تبرج النساء

— ٤ —

إن الله سبحانه وبحمده قد استوجب عليكم الشكر واتخذ عليكم الحجج فيما آتاكم من كرامة الآخرة والدنيا عن غير مسألة منكم له ولا رغبة منكم فيه إليكم . تبارك وتعالى ولم تكونوا شيئا لنفسه وعبادته وكان قادرا أن يجعلكم لأهون خلقه عليه فجعل لكم عامة خلقه ولم يجعلكم لشىء غيره وسخر لكم مافى السموات وما فى الأرض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنه وحملكم فى البر والبحر ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ثم جعل لكم سمعا وبصرا ومن نعم الله عليكم نعم عم بها بنى آدم ومنها نعم اختص بها اهل

(١) الطبرى

دينكم ثم صارت تلك النعم خواصها وعوامها فى دولتكم وزمانكم وطبقتكم وليس من تلك النعم نعمة وصلت إلى امرىء خاصة إلا لو قسم ما وصل إليه منها بين الناس كلهم اتعبهم شكرها وفدحهم حقها إلا بعون الله مع الايمان بالله ورسوله فانتم مستخلفون فى الأرض قاهرون لأهلها قد نصر الله دينكم فلم تصبح امة مخالفة لدينكم إلا أمتان امة مستعبدة للاسلام واهله يجزون لكم يستضعفون معائشهم وكدائحهم ورشح جباههم عليهم المؤونة ولكم المنفعة وامة تنتظر وقائع الله وسطواته فى كل يوم وليلة قد ملأ الله قلوبهم رعبا فليس لهم معقل يلجأون إليه ولا مهرب يتقون به قد دهمتهم جنود الله عز وجل ونزلت بساحتهم مع رفاغة العيش واستفاضة المال وتتابع البعوث وسد الثغور باذن الله مع العافية الجليلة العامة التى لم تكن هذه الأمة على احسن منها مذ كان الاسلام والله المحمود مع الفتوح العظام فى كل بلد فما عسى أن يبلغ مع هذا شكر الشاكرين وذكر الذاكرين واجتهاد المجتهدين مع هذه النعم التى لا يحصى عددها ولا يقدر قدرها ولا يستطاع اداء حقها إلا بعون الله ورحمته ولطفه فنسأل الله الذى لا إله إلا هو الذى ابلانا هذا ان يرزقنا العمل بطاعته والمسارعة إلى مرضاته واذكروا عباد الله بلاء الله عندكم واستتموا نعمة الله عليكم وفى مجالسكم مثنى وفرادى فان الله عز وجل قال لموسى اخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم واذكروا إذ انتم قليل مستضعفون فى الأرض

فلو كنتم إذ كنتم مستضعفين محرومين خير الدنيا على شعبة من الحق تؤمنون بها وتستريحون اليها مع المعرفة بالله ودينه وترجون بها الخير فيما بعد الموت لكان ذلك ولكنكم كنتم أشد الناس معيشه وأثبتهم بالله جهالة فلو كان هذا الذى استشلاكم به لم يكن معه حظ فى دنياكم غير أنه ثقة لكم فى آخرتكم التى اليها المعاد والمنقلب وأنتم من جهد المعيشة على ما كنتم عليه أحرياء أن تشحوا على نصيبكم منه وأن تظهروه على غيره قبله ما أنه قد جمع لكم فضيلة الدنيا وكرامة الآخرة ومن شاء أن يجمع له ذلك منكم فأذكركم الله الحائل بين قلوبكم إلا ما عرفتم حق الله فعملتم له وقسرتم أنفسكم على طاعته وجمعتم مع السرور بالنعم خوفا لها ولانتقالها ووجلا منها ومن تحويلها فانه لا شىء أسلب للنعمة من كفرانها وإن الشكر أمن للغير ونماء للنعمة واستيجاب للزيادة . هذا لله على من أمركم ونهيكم واجب »

يذكر عمر رضى الله عنه المسلمين بما فتح الله عليهم من الفتوح العظيمة وإخضاعهم الأمم على قوتها وشدة بأسها وكثرة عددها وغناها ولذلك يحثهم على شكر الله الذى نصرهم على عدوهم وأغناهم بعد الفقر وأعزهم بعد الذل . ولولا عناية الله وقدرته ما استطاعوا غزو هذه الأمم وإخضاعها

— ٥ —

أيها الرعية إن لنا عليكم حقا : النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير . إنه ليس من حلم أحب إلى الله ولا أعم نفعا من حلم إمام ورفقه . أيها الرعية إنه ليس من جهل أبغض إلى الله ولا أعم شراً من جهل إمام وخرقه . أيها الرعية إن من يأخذ بالعافية لمن بين ظهرانيه يؤته الله العافية من فوقه

— ٦ —

كتب عمر كتابا فى القضاء إلى شريح :

« أما بعد . إذا جاءك شيء فى كتاب الله فاقض به ولا يلفتنك عنه الرجال . فان جاءك أمر ليس فى كتاب الله فانظر سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقض بها فان جاءك أمر ليس فى كتاب الله ولم يكن فيه سنة من رسول الله فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ به فان جاءك ما ليس فى كتاب الله ولم يكن فيه سنة من رسول الله ولم يتكلم فيه أحد قبلك فاختر أى الأمرين شئت إن شئت أن تجتهد رأيك وتقدم فتقدم وإن شئت أن تأخر فتأخر ولا أرى التأخير إلا خيراً لك[1] »

— ٧ —

وكتب كتابا فى القضاء أيضا إلى أبى موسى الأشعرى :

« أما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم إذا أدلى

(١) كنز العمال وكتاب أشهر مشاهير الاسلام والكتاب الذى يليه من البيان والتبيين

إليك فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له آس بين النـاس فى مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا يخاف ضعيف من جورك والبينة على من ادعى واليمين على من أنـكر [١] والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا حرم حلالا وأحل حراما . ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس راجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن ترجع عنه . فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل الفهم الفهم عند ما يتلجلج فى صدرك مما لم يبلغك فى كتاب الله ولا سنة النبي صلى الله عليه وسلم . اعرف الأمثال والأشباه وقس الأمور عند ذلك ثم اعمد الى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق فيما ترى واجعل للمدعى حقاً غائبا أو بينة أمداً ينتهى اليه فان أحضر بينته أخذت له بحقه والا وجهت عليه القضاء فان ذلك أنفى للشك وأجلى للعمى وأبلغ فى العذر .المسلمون عدول . بعضهم على بعض الا مجلوداً فى حد أو مجربا عليه — شهادة زور أو ظنينا فى ولاء أو قرابة فان الله قد تولى منـكم السرائر ودرأ عنـكم بالشبهات .ثم اياك القلق والضجر والتأذى بالناس والتنكر للخصوم فى مواطن الحق التى يوجب الله بها الأجر ويحسن بها الذخر فانه من يخلص نيته فيما بينه وبين الله تبارك وتعالى ولو على نفسه يـكفه الله ما بينه وبين الناس ومن تزين للناس بما يعلم الله خلافه منه هتك الله ستره وأبدى فعله والسلام»

---

(١) قيل أن أول من قال «البينة على من ادعى واليمين على من أنكر» قس بن ساعدة الايادى

—٨—

وأوصى ابا موسى الأشعرى فى كتاب له:

« أما بعد فان للناس نفرة عند سلطانهم فأعوذ بالله أن تدركنى واياك عمياء مجهولة وضغائن محمولة وأهواء متبعة ودنيا مؤثرة فأقم الحدود ولو ساعة من نهار وإذا عرض لك أمران أحدهما لله، والآخر للدنيا فآثر نصيبك من الآخرة على نصيبك من الدنيا فان الدنيا تنفد والآخرة تبقى وكن من خشية الله على وجل وأخف الفساق واجعلهم يداً يداً ورجلا رجلا. واذا كانت بين القبائل ثائرة وتداعوا بآل فلان . فانما تلك نجوى الشيطان فاضربهم بالسيف حتى يفيئوا الى أمر الله وتكون دعواهم الى الله والى الامام .وقد بلغ أمير المؤمنين ان ضبة تدعو بآل ضبة وإنى والله ماأعلم أن ضبة ساق الله بها خيرا قط ولا منع بها من سوء قط . فاذا جاءك كتابي هذا فانهكهم عقوبة حتى يفرقوا ان لم يفقهوا والصق بغيلان بن خرشة من بينهم وعد مرضى المسلمين واشهد جنائزهم وافتح بابك وباشر أمرهم بنفسك فانما أنت امرؤ منهم غير ان الله جعلك اثقلهم حملا.وقد بلغ أمير المؤمنين انه فشا لك ولأهل بيتك هيئة فى لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها فاياك ياعبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة التى مرت بواد خصب فلم يكن لها همة الا السمن وإنما حتفها فى السمن . واعلم أن للعامل مردا الى الله فاذا زاغ العامل

.زاعت رعيته وإن اشق الناس من شقيت به رعيته والسلام (١) »

وأبو موسى الأشعرى استعمله عمر على البصرة بعد المغيرة ابن شعبة

حكم عمر وكلماته المأثورة

١ ـ أحبكم الينا قبل أن نخبركم ، أحسنكم صمتا . فاذا تكلم فأثبتكم منطقا فاذا اختبرنا فأحسنكم فعلا .

٢ ـ أشكو الى الله ضعف الأمين وخيانة القوى

٣ ـ أعقل الناس ، اعذرهم للناس

٤ ـ اقدعوا هذه النفوس عن شهواتها فانها طلاعة تنزع الى شر غاية . ان هذا الحق ثقيل مرىّ . وان الباطل خفيف وبيّ . وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة . ورب نظرة زرعت شهوة . وشهوة ساعة أورثت حزنا طويلا

٥ ـ ان كان الشغل مجهدة . فان الفراغ مفسدة

٦ ـ اياكم والبطنة فانها ثقل فى الحياة ، نتن فى الممات

٧ ـ اياكم والمعاذير فان كثيرا منها الكذب

٨ ـ أيما عامل لى ظلم أحدا فبلغتنى مظلمته فلم أغيرها فأنا ظلمته

٩ ـ تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تتعلمون منه ليتواضع لكم من تعلمونه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم

---

(١) مفتاح الافكار

١٠ - تعلموا المهنة فانه يوشك أحدكم أن يحتاج إلى مهنته

١١ - ثلاث من النوافر، جار مقامة إن رأى حسنة دفنها وإن رأى سيئة أذاعها . وامرأة إن دخلت اليها لسنتك . وإن غبت لم تأمنها . وسلطان لم يحمدك وإن أسأت قتلك

١٢ - ثلاث مهلكات . شح مطاع . وهوى متبع . وإعجاب المرء بنفسه

١٣ - حسب الرجل ماله، وكرمه دينه، ومروءته خلقه

١٤ - خالطوا الناس بالأخلاق ، وزايلوهم بالأعمال

١٥ - الدخول على الأغنياء فتنة للفقراء

١٦ - الرجال ثلاثة . رجل ترد اليه الأمور فيسددها برأيه ، ورجل يشاور فيما أشكل عليه وينزل حيث يأمره أهل الرأى، ورجل حائر بأمره لا يأتمر رشداً ولا يطيع مرشداً

١٧ - الرجال ثلاثة. والنساء ثلاثة . فامرأة عفيفة سلمة . هينة لينة ودود . ولود . تعين أهلها على الدهر ولا تعين على أهلها وقلما تجدها ، وأخرى وعاء للولد لا تزيد على ذلك شيئا . وأخرى غل (١) قَمِل يجعلها الله فى عنق من يشاء . والرجال. رجل عاقل إذا أقبلت الأمور واشتبهت تأمل فيها أمره ونزل عند رأيه وآخر ينزل به الأمر فلا يعرفه فيأتى ذوى الرأى فينزل عند رأيهم . وآخر حاير باير لا يأتمر رشدا ولا يطيع أمرا

---

(١) الغل بالضم طوق من حديد يجعل فى العنق والجمع أغلال

١٨ - لاتصغرن هممكم فانى لم أر أقعد عن المكرمات من صغر الهمم

١٩ - لاتنهكوا وجه الأرض فان شحمتها فى وجهها

٢٠ - لاشىء أسلب للنعمة من كفرانها وإن الشكر أمن للغير ونماء للنعمة واستيجاب للزياده

٢١ - لايقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى وقد علم ان السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة . وأن الله تعالى إنما يرزق الناس بعضهم من بعض وتلا قوله تعالى : (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون)

٢٢ - لايكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً

٢٣ - لقاء الاخوان ،جلاء الأحزان

٢٤ - لو أن الصبر والشكر بعيران ماباليت أيهما ركبت

٢٥ - لومات جمل ضياعا على شط الفرات لخشيت أن يسألنى الله عنه

٢٦ - ماالخمر صرفا باذهب لعقول الرجال من الطمع

٢٧ - المحسن على المسىء أمير

٢٨ - من دخل على الملوك ، خرج وهو ساخط على الله

٢٩ - من كتم سره كان الخيار بيده

٣٠ - من كثر ضحكه قلت هيبته

٣١ - الناس طالبان ، فطالب يطلب الدنيا فارفضوها فى نحره فانه

ربما أدرك الذى يطلبه منها فهلك بما أصاب منها . وطالب يطلب الآخرة . فاذا رأيتم طالبا يطلب الآخرة فنافسوه فيها

٣٢ - يامعشر القراء التمسوا الرزق ولا تكونوا عالة على الناس

٣٣ - نظر عمر بن الخطاب إلى رجل يحمل طفلا على عنقه . فقال ما هذا منك ؟ قال ابنى ياأمير المؤمنين . قال أما إنه إن عاش فتنك . وإن مات حزنك

٣٤ - وسأل رضى الله عنه رجلا أراد ان يستعين به على عمل عن اسمه واسم أبيه . فقال ظالم بن مسروق . فقال تظلم أنت ويسرق أبوك . فلم يستعن به فى شىء

٣٥ - أقبل رجل إلى عمر بن الخطاب فقال له عمر ما اسمك ؟ فقال شهاب ابن حرقة . قال ممن ؟ قال من أهل حرة النار قال وأين مسكنك ؟ قال بذات لظى . قال اذهب . إن أهلك قد احترقوا

٣٦ - وكتب إلى أبي موسى الأشعرى : مر ذوى القرابات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا

٣٧ - وقال دلونى على رجل استعمله . قالوا . كيف تريده ؟ قال : إذا كان فى القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم . وإذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم . قالوا مانعلمه إلا الربيع بن زياد الحارثي قال صدقتم هو لها

٣٧ - لا تتعلم العلم لثلاث ولا تتركه لثلاث . لا تتعلمه لتمارى به ولا لتباهى به ولترائى به ولا تتركه حياء من طلبه ولا

زهادة فيه ولا رضا بالجهل به

٣٩ - ان الناس لم يزالوا مستقيمين ما استقامت لهم أئمتهم وهداتهم

٤٠ - الرعية مؤدية الى الامام ماادى الامام إلى الله . فاذا رتع الامام رتعوا

٤١ - أحب الناس إلىّ من رفع إلىّ عيوبى

٤٢ - لا تظنن بكلمة خرجت من فى أخيك سوأ وانت تجد لها فى الخير محملا

٤٣ - وكتب عمر إلى قضاته « إن النساء يعطين رغبة ورهبة فأيما امرأة أعطت ثم أرادت أن ترجع فذلك لها »

٤٤ - وقام خطيبا فقال «أيها الناس لاتغالوا بصداق النساء فلو كانت مكرمة فى الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولا كم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم . ماأصدق امرأة من نسائه أكثر من اثنى عشر أوقية »فقامت اليه امرأة فقالت له ياأمير المؤمنين لم تمنعنا حقاً جعله الله لنا والله يقول (وآتيتم احداهن قنطاراً) فقال عمر كل أحد أعلم من عمر . ثم قال لأصحابه تسمعوننى أقول مثل هذا القول فلا تنكرونه علىّ حتى ترد علىّ امرأة ليست من أعلم النساء

***

لا أريد أن أترك حكم عمر رضى الله عنه وكلماته المأثورة تمر

امام نظر القارىء من غير أن أعلق عليها وأرشد إلى ما جاء فيها من عظة واعتبار ورأى سديد وحكمة بالغة يستفيد منها فى حياته ودينه نعم للقارىء محض الحرية فى استنباط الحكمة منها على قدر تجاربه فى الحياة ومعلوماته التى اكتسبها بطريق البحث والدرس ، لكن هذا لا يمنع المؤلف أن يبدى رأيه إذ قد يلاحظ مالا يلاحظه غيره لكثرة الاطلاع وطول التفكير فى الموضوع الذى هو بصدده على أن الاستئناس برأى الغير نافع على كل حال . ولا يخفى أن الكلمات التى اخترناها توقفنا على رأى عمر فى بعض المسائل الدينية والدنيوية وهو على ما نعلم من أعظم رجال الدنيا بشهادة رسول الله، والصحابة ورجال التاريخ من عرب ، وعجم

نلاحظ ونفهم من كلمات عمر ووصاياه أنه كان رجلا عملياً يبغض أن يكون الانسان خاليا من العمل ، عالة على غيره لأن الفراغ مفسدة وقد أمر المنقطعين إلى العبادة أن يعملوا ويحصلوا على أرزاقهم . قال [إن كان الشغل مجمدة فالفراغ مفسدة] . وقال [تعلموا المهنة فانه يوشك أحدكم أن يحتاج إلى مهنته] وقال . [لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة . وأن الله تعالى إنما يرزق الناس بعضهم من بعض] وقال يحث القراء على العمل [يامعشر القراء التمسوا الرزق ولا تكونوا عالة على الناس] فالاسلام دين عمل ونشاط وسعى وليس دين كسل وقعود وتوان وغفلة . قال تعالى

(هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور) سورة تبارك . وليس السعى لطلب الرزق ينافى الاعتقاد بالقضاء والقدر ويجب التماس الرزق من الوجوه التى أحلها الله واجتناب ما حرمه الله كالسرقة والربا والرشوة وبيع المحرمات وأكل أموال الناس بالباطل والظلم . وكان عمر يمقت الطمع لذلك قال [ما الخمر صرفا بأذهب لعقول الرجال من الطمع] .إن التماس الرزق مطلوب لكن الطمع ممقوت منهى عنه لما يترتب عليه من الرذائل وقال [ثلاث مهلكات : شح مطاع وهوى متبع وأعجاب المرء بنفسه] أما إعجاب المرء بنفسه فمن المهلكات حقاً إذ يمنعه من استشارة غيره والاستفادة بالنصح وإطاعة من هم أكبر منه سنا وعقلا وأكثر تجربة فيستبد برأيه ومن استبد برأيه هلك . وقد كان رسول الله يستشير أصحابه وهو أفضل الخلق قال الشاعر :

له حق وليس عليه حق ومهما قال فالحسن الجميل
وقد كان الرسول يرى حقوقا عليه لغيره وهو الرسول

وقد شاهدنا العجب متفشياً فى الشبان والغرور متسلطاً عليهم وذلك يجعلهم يندفعون فى تيارات قوية قاتلة فلا يبالون بما يعملون ولا يكترثون لما يقترفون ولا يهتدون إلى هفواتهم وسقطاتهم ولا يرون مواطن الزلل والخطأ ولا يشعرون بضرورة تكميل النفس بالفضائل والعقل بالعلوم ولا يحبون أن يرشدهم مرشد أو ينقدهم ناقد بصير لا يريد إلا الاصلاح

كان عمر رضى الله عنه مع عظم شانه ورجاحة عقله واشتهار عدله وفضله وتمسكه بكتاب الله وسنة رسوله متواضعاً يحب أن يعرف عيوبه إن كانت له عيوب حتى يصلحها ولا يتمادى فى الخطأ إذ قد يصيب أحداً بظلم وهو لا يدرى لذلك كان يقول [أحب الناس إلىّ من رفع إلىّ عيوبى]. ولما اعترضت عليه امرأة اعترف بالخطأ في الحال وقال [كل أحد أعلم من عمر] ولام أصحابه على سكوتهم قائلا [تسمعوننى أقول مثل هذا القول فلا تنكرونه على حتى ترد على امرأة ليست من أعلم النساء] أما الآن فلسان حال الرجل منا يقول عكس ما قال عمر أبغض الناس إلىّ من رفع إلىّ عيوبى. إننا لم نر أحداً منزها عن العيوب والمرء قد لا يرى عيوبه بنفسه فاذا أرشد اليها عالجها وأصلحها ما دام راغبا فى الخير والاصلاح غير معجب بنفسه على أن لا يكون الارشاد بصيغة الشتم والسخرية لأن النفوس تأبى ذلك. قال تعالى : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)

كان عمر حاكما ولكن لا ككل الحكام بل كان حاكما يرى الحكم ثقيلا ومسئوليته عظيمة فعليه أن ينظر فى أمر رعيته وينصفهم ولا يظلمهم شيئا ويتضح ذلك من قوله [أيما عامل لى ظلم أحداً فبلغتنى مظلمته فلم أغيرها فأنا ظلمته] فانظر كيف أنه كان يعتبر نفسه ظالما إذا لم يغير المظلمة وهذا درس لكل حاكم. والرعية كما قال عمر مؤدية إلى الامام ما ادى الامام إلى الله فاذا رتع الامام رتعوا. لأن

الناس إنما يقتدون بحكامهم ورؤسائهم فان أساء الحاكم أساء المحكومون وإن أحسن أحسنوا

خلافة عمر بن الخطاب

أول أعماله

ارسال الجيوش الى العراق

بقيادة أبي عبيد والمثنى

(١٣ - ١٤ هـ اغسطس - مارس سنة ٦٣٤ - ٦٣٥ م)

فى صبيحة الليلة التى توفى فيها أبو بكر الصديق صعد عمر المنبر وألقى على الناس خطبة فى المسجد فقال:

«انى قائل كلمات فامنوا عليهن. إنما مثل العربى مثل جمل آنف[١] اتبع قائده فلينظر قائده حيث يقود - وأما أنا فورب الكعبة لأحملنهم على الطريق»

كان أول أعمال عمر «الخليفة الجديد» بعد أن بايع الناس، تنفيذ وصية أبى بكر وهى المبادرة الى ارسال الجيوش الى العراق وكان المثنى قد قدم على أبي بكر فى حال مرضه ليفاوضه فى شأن الهجوم على بلاد فارس لما حدث من الاختلاف فيما بينهم إلا أن أبا بكر لم يستطع إجابة طلبه لمرضه فأوصى عمر بن الخطاب أن ينتدب

---

(١) جمل آنف وهو الذى عقره الخطام فلا يمتنع على قائده فى شىء للوجع فهو ذلول منقاد

الناس بعد توليه منصب الخلافة فندب عمر الناس مع المثنى لمحاربة الفرس فلم ينتدب له أحد لأن الفرس كانوا أثقل الوجوه على المسلمين واكرهها اليهم لشدة سلطانهم وشوكتهم وقهرهم الأمم فلما كان اليوم الرابع عاد فانتدب الناس فلما رأى المثنى تثاقلهم وإحجامهم تكلم فقال :

« أيها الناس لا يعظمن عليكم هذا الوجه فانا قد تبحبحنا ريح فارس وغلبناهم على خير شقى السواد [الشق الغربى الذى هو العراق العربى] وشاطرناهم ونلنا منهم واجترأنا عليهم ولنا إنشاء الله ما بعدها »

وقال عمر رضى الله عنه :

« إن الحجاز ليس لكم بدار إلا على النجعة (طلب الكلأ أى المرعى) ولا يقوى عليه أهله إلا بذلك . أين الطُرَّاء المهاجرون عن موعود الله . سيروا فى الأرض التى وعدكم الله فى الكتاب أن يورثكموها فانه قال « ليظهره على الدين كله » والله مظهر دينه ومعز ناصره ومول أهله مواريث الأمم . أين عباد الله الصالحين ؟ »

فكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود الثقفى وسعد بن عبيد وسليط بن قيس وتابع الناس فلما اجتمع ألف قيل لعمر أمر عليهم رجلا من السابقين من المهاجرين أو الأنصار . قال لا والله لاأفعل إنما رفعهم الله تعالى بسبقهم ومسارعتهم إلى العدو فاذا فعل فعلهم

قوم لا اؤمر إلا أولهم انتدابا فأمر أبا عبيد وأعطاه الراية . وهذا اول جيش سيره عمر

موقعة النمارق [١]

بعد ذلك عاد المثنى إلى الحيرة قبل أبى عبيد وكان قد تغيب عنها شهراً كان فى أثنائها البلاط الملكى الفارسى يعانى تقلبات شتى فاستولى أمير وأعقبته أميرة وسط سفك الدماء والثورة وأخيراً استدعت (بوران) وهى سيدة من الأسرة المالكة القائد المشهور « رستم » على جناح السرعة من خراسان وتوجته وجعلت اليه حماية البلاد وسلمته قيادة الجند ثم أرسل رستم جيشين من المدائن أحدهما تحت قيادة (جابان) ليعبر الفرات وليتقدم نحو الحيرة والآخر بقيادة (نرسى) ليحتل كسكر على أقرب جهة وجمع المثنى الجموع وهم قليل فغادروا الحيرة وتركوها للعدو وخرجوا إلى الصحراء . إلى الطريق المؤدية إلى المدينة . وهنالك انتظروا أبا عبيد الذى لم يحضر إلا بعد شهر ومعه القبائل الموالية الذين جمعهم فى طريقه . وبعد أن استراح بضعة أيام قاد الجيش وهاجم جابان (بالنمارق) وألجأه إلى الفرار

---

(١) موضع قرب الكوفة

موقعة الجسر

شعبان سنة ١٣ هـ (اكتوبر سنة ٦٣٤م)

ويقال لها قس الناطف ويقال المروحة[١] عبر أبو عبيد الفرات وفاجأ القائد نرسى واستولى على معسكره وغنم شيئا كثيرا من التمر الجيد المسمى بالنرسيان لا يأكله إلا الملك أو من اكرموه بشيء منها فوزعه على الجيش وأرسل الخمس لعمر وكتب اليه : «إن الله أطعمنا مطاعم كانت الأكاسرة يحمونها وأحببنا أن تروها ولتذكروا أنعام الله وأفضاله » وأتت القبائل المجاورة وقدمت الجزية برهاناً على ولائهم وأولموا لأبى عبيد وليمة فاخرة فأبى أن يحضرها إلا مع جيشه فجاء الجيش وأكلوا

تغيظ رستم من الهزيمة فأعد قوة أكبر من الأولى تحت قيادة القائد العظيم (بهمن) المعروف بذى الحاجب وإنما قيل له ذا الحاجب لأنه كان يعصب حاجبيه بعصابة يرفعها كبراً ومعه فيلة بالجلاجل فأقبل بهمن ومعه راية كسرى « درفش كابيان » وكانت من جلود النمر عرض ثمانية أذرع فى طول اثنى عشر ذراعا فنزل « بقس الناطف ». وأقبل أبو عبيد فنزل بالمروحة وعبر الفرات وعسكر جيشه فى الشاطىء الغربى وعسكر بهمن فى الشاطىء المقابل ولم تكن

---

(١) قس الناطف موضع قريب من الكوفة على شاطىء الفرات الشرقى والمروحة بشاطىء الفرات الغربى

ساحة القتال تبعد عن بابل كثيراً .فبعث بهمن الى أبي عبيد: إما أن تعبروا الينا وندعكم والعبور وإما أن تدعونا نعبر اليكم. فقال الناس لاتعبر يا أبا عبيد . ننهاك عن العبور فقال « لا يكونوا أجرأ على الموت منا» فعبروا اليهم على «جسر» وضاقت الأرض بأهلها واقتتلوا فلما رأت خيول العرب الفيلة رأت شيئاً منكراً لم تكن رأت مثله فلم تقدم عليها وإذا حملت الفرس على المسلمين بالفيلة والجلاجل فرقت خيولهم وأوقعت الارتباك فى صفوفهم ورموهم بالنشاب واشتد الأمر بالمسلمين فترجل أبو عبيد والناس ثم مشوا اليهم وصافحوهم بالسيف فنادى أبو عبيد احتوشوا الفيلة وقطعوا بطانها (حزامها) وأقلبوا عنها أهلها » ووثب هو على الفيل الأبيض فقطع بطانه ووقع الذين عليه وفعل القوم مثل ذلك بشجاعة فما تركوا فيلا إلا حطوا رحله وقتلوا أصحابه وأهوى الفيل لأبى عبيد فضربه بالسيف وخبطه الفيل بيده فوقع فوطئه الفيل وقام عليه .فلما بصر به الناس تحت الفيل خشعت أنفس بعضهم وقتل سبعة من ثقيف حمل كل واحد منهم اللواء بعد الآخر ثم أخذ اللواء المثنى فهرب منه الناس فلما رأى عبدالله بن مرثد الثقفى مالقى أبو عبيد وخلفاؤه وما يصنع الناس بادرهم الى الجسر وقطعه وقال :

«أيها الناس موتوا على ما مات عليه امراؤكم أو تظفروا» وحاز المشركون المسلمين إلى الجسر فتواثب بعضهم إلى الفرات فغرق من لم يصبر ووصل بعضهم إلى الشاطىء الآخر وحمى المثنى وفرسان من

المسلمين الناس وقال « أنا دونكم فاعبروا على هينتكم ولا تدهشوا ولا تغرقوا أنفسكم » وقاتل عروة بن زيد الخيل قتالا شديداً وأبو محجن الثقفي وقاتل أبو زيد الطائي حمية للعربية وكان نصرانيا قدم الحيرة لبعض أمره . ونادى المثنى « من عبر نجا » فعقد الجسر وعبر الناس . وكان آخر من قتل عند الجسر سليط بن قيس وجرح المثنى وأخبر عمر عمن سار فى البلاد استحياء من الهزيمة فاشتد عليه ذلك وقال « اللهم ان كل مسلم فى حل منى . أنا فيئة كل مسلم . يرحم الله أباعبيد لو كان انحاز الى لكنت له فيئة . وكان أول من قدم المدينة بخبر الناس عبد الله بن زيد بن الحصين الخطمى وكان معاذ القارى . من الذين فروا إلى المدينة فكان اذا قرأ هذه الآية . ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » بكى فيقول عمر « لا تبك يامعاذ أنا فئتك وإنما انحزت إلىّ

وكان عدد جيش المسلمين ٩٠٠٠ مات منهم ٤٠٠٠ بين قتيل وجريح وغريق وهرب ٢٠٠٠ وبقى مع المثنى ٣٠٠٠ وقتل من الفرس نحو ٦٠٠٠

وبعد الموقعة كان بهمن على وشك عبور النهر لمتابعة انتصاره غير انه بلغه خبر حدوث ثورة فى المدائن عاصمة الفرس مؤداها أن الفرس ثاروا برستم ونقضوا الذى بينهم وبينه وصاروا فريقين فعاد مسرعاً وهكذا كانت اضطرابات الفرس الداخلية سبباً فى جمع شمل المسلمين وانتصارهم

(أسباب هزيمة المسلمين)

سبب هزيمة المسلمين فى هذه الموقعة هو عبور جيش المسلمين إلى جهة الفرس مع أنهم حذروا أبا عبيد لكنه ظن أن فى العبور اليهم شجاعة. ويذكر القارىء أن خالد بن الوليد ثبت فى مكانه وأبى العبور فى موقعة الفراض ولم يعتبر ذلك جبناً . ومما زاد الطين بله أن عبد الله بن مرثد الثقفى قطع على المسلمين الجسر فحصروا وارتبكوا وغرق كثير منهم ولو لا شجاعة المثنى لبادوا عن آخرهم لكنه ويالللأسف أصيب وكانت إصابته سبباً فى وفاته كما سيأتى وقد خسر المسلمون بفقدة قائداً عظيما وقد قتل فى هذه المعركة أبو عبيد قائد الجيش تحت الفيل ولا يخفى أن قتل القائد العام له تأثيرسىء فى نفوس الجند ولا سيما فى حروب العرب فى تلك الأيام لوجوده فى المقدمة فكانوا يعتبرون انخذاله أو قتله انخذالا للجيش

أُلّيس الصغرى

ثم إن المثنى سار إلى أليس وعسكر هنالك وحافظ على فتوحه السابقة ولم يعلم جابان برجوع بهمن فوقع أسيراً فى أيدى المسلمين وقتل . وكانت حالة المسلمين غامضة غير أن من كان مثل المثنى لا يداخله اليأس فجند جيشا من القبائل التى حوله وتمكن من تثبيت مركزه

وفى الطبرى خرج جابان ومردا نشاه حتى أخذا بالطريق وهم
يرون أنهم سيرفضون ولا يشعرون بماجاء ذا الحاجب (بهمن) من
انقسام أهل فارس فلما ارفض أهل فارس وخرج بهمن فى آثارهم
وبلغ المثنى فعلة جابان ومردا نشاه استخلف على الناس عاصم بن
عمرو وخرج فى جريدة يريدهما فظنا انه هارب فاعترضاه فأخذهما
أسيرين وخرج أهل اليس على اصحابهما فأتوه بهم اسراء وعقد لهم بها
ذمة وقدمهما وقال انتما غررتما أميرنا وكذبتماه واستفززتماه فضرب
اعناقهما وضرب اعناق الأسرى ثم رجع إلى عسكره وهرب ابو
محجن من اليس ولم يرجع مع المثنى

موقعه البُوَيب [1] - يوم الاعشار

شهر رمضان سنة ١٣ هـ (نوفمبر سنة ٦٣٤)

استاء عمر بن الخطاب من انكسار المسلمين بالجسر وفرارهم
لكنه تلقى الخبر بهدوء ولم يؤنب الفارين ثم انه ندب الناس إلى
المثنى وكان فيمن ندب بجيلة وأمرهم إلى جرير بن عبد الله فلما
اجتمعوا أمرهم بالعراق إلا أنهم كانوا يرغبون المسير إلى الشام
لكثرة الخيرات والغنائم فوعد أن ينفلهم ربع الخمس فأجابوا وسيرهم
إلى المثنى وبعث عصمة بن عبد الله الضبي فيمن تبعه إلى المثنى. كذلك
أرسل كل من أتى من أهل الردة ثم أن المثنى بعث الرسل فيمن يليه

(١) البويب بلفظ التصغير نهر كان بالعراق

من العرب فتوافوا اليه فى جمع عظيم وكان فمين جاءه أنس بن هلال النمرى فى جمع عظيم من النمر وهم نصارى وقالوا نقاتل مع قومنا وبلغ رستم والفيرزان ذلك وأتتهم العيون به وبما ينتظرون من الامداد واجتمعا على ان يبعثا مهران الهمذانى فخرج فى الخيول وامراه بالحيرة. فسمع المثنى ذلك وهو بين القادسية وخَفان[1] وعلم بواسطة جاسوسه ان الأمور استتبت فى المدائن وان جيشا كبيراً ارسل لمحاربته فاستبطن فرات بادَقَلَى وكتب إلى جرير وعصمة وكل من اتاه ممداً ان موعدهم « البويب » على الفرع الغربي من الفرات فوافوه هنالك ومهران بازائه من وراء الفرات. فأرسل مهران إلى المثنى اما ان تعبر الينا وإما ان نعبر اليك فأبى المثنى العبور وكان عمر حذره من عبور النهر إلا بعد الانتصار فقال اعبروا الينا فعبر مهران فنزل على شاطىء الفرات وكان ذلك فى شهر رمضان فأمرهم بالافطار ليقووا على عدوهم فأفطروا

تقدم الفرس فى ثلاثة صفوف مع كل صف فيل ومشاتهم امام فيلهم ولهم زجل فقال المثنى «إن الذى تسمعون فشل فالزموا الصمت وطاف المثنى فى صفوفه يعهد اليهم وهو على فرسه «الشموس»، وإنما سمى بذلك للينه وكان لا يركبه إلا إذا قاتل فوقف على الرايات يحرضهم ويهزهم ويقول لكل «انى لأرجو ان لا يؤتى الناس من قبلكم اليوم والله مايسرنى اليوم لنفسى شىء الا وهو

(١) خفان بالتشديد موضع قرب الكوفة. قيل هو فوق القادسية

يسرني لعامتكم »فيجوبونه بمثل ذلك لأنه كان محبوبا لديهم وقال إني مكبر ثلاثا فهيئوا ثم احملوا فى الرابعة لكنه ما كاد يكبر حتى أعجلتهم الفرس وخالطوهم وركدت خيلهم وحربهم مليا فرأى المثنى خللا فى بنى عجل فجعل يمد لحيته لما يرى منهم وأرسل اليهم يقول « الأمير يقرأ عليكم السلام ويقول لا تفضحوا المسلمين اليوم »فقالوا نعم واعتدلوا فضحك فرحا . فلما طال القتال واشتد قال المثنى لأنس بن هلال النمرى «انك امرؤ عربى وإن لم تكن على ديننا فاذا حملت على مهران فاحمل معى » فحمل المثنى على مهران فازاله حتى دخل فى ميمنته ثم خالطوهم واجتمع القلبان وارتفع الغبار والجنبات تقتل لا يستطيعون أن يفرغوا لنصر أميرهم لا المسلمون ولا المشركون وأصيب مسعود أخو المثنى وتضعضع من معه فقال « يامعشر بكر ارفعوا رايتكم رفعكم الله ولا يهولنكم مصرعى » وكان المثنى قال لهم «اذا رأيتمونا أصبنا فلا تدعوا ما أنتم فيه . الزموا مصافكم واغنوا عمن يليكم » واشتبك قلب المسلمين مع قلب المشركين فى قتال عنيف . وقتل غلام نصرانى من تغلب (مهران) واستوى على فرسه وأفنى المثنى قلب المشركين فلما رأى مجنبات المسلمون ذلك قاتلوا مجنبات المشركين بشجاعة حتى هزموا الفرس وسبقهم المثنى إلى الجسر وأخذ طريق الأعاجم وأخذتهم خيول المسلمين حتى قتلوهم وجعلوهم جثثا فما كانت بين المسلمين والفرس وقعة أبقى رمة منها . بقيت عظام القتلى زمنا طويلا وكانوا يقدرون

القتلى مائة ألف . وسمى ذلك اليوم الأعشار أحصى مائة رجل قتل كل رجل منهم عشرة فكانوا يفتخرون بذلك وغيرهم قتل تسعة فسموا أصحاب التسعة . وندم المثنى على أخذه بالجسر «وقال عجزت عجزة وقى الله شرها بمسابقتى إياهم إلى الجسر حتى أخرجتهم فلا تعودوا أيها الناس إلى مثلها فانها كانت زلة فلا ينبغى إخراج من لا يقوى على امتناع » يريد أنه بحجزه الجسر سبب خسارة لرجاله ومات ناس من الجرحى منهم مسعود أخو المثنى وخالد بن هلال فصلى عليهم المثنى وقال «والله ليهون وجدى أن صبروا وشهدوا البويب ولم ينكلوا » وكانت غنائم المسلمين عظيمة فغنموا شيئاً كثيراً من الحبوب والدقيق والبقر والغنم فقسمها المثنى فيهم ونفل أهل البلاد وأعطى بجيلة ربع الخمس كما أمر أمير المؤمنين

بعد ذلك كتب القواد الذين قادوا الناس فى الطلب إلى المثنى وكتب عاصم وعصمة وجرير «إن الله عز وجل قد سلم وكفى ووجه لنا ما رأيت وليس دون القوم شىء فتأذن لنا فى الاقدام» فاذن لهم فاغاروا حتى بلغوا ساباط وتحصن أهل ساباط منهم واستباحوا القرى دونهم وتبعهم الناس ثم رجعوا الى المثنى

سوق الخنافس — وسوق بغداد

غزوة الأنبار الآخرة — وغزوة أليس الآخرة

ثم سار المثنى فى السواد وترك بالحيرة بشير بن الخصاصية ونزل أليس قرية من قرى الانبار وهذه الغزوة تدعى غزوة الانبار الآخرة وغزوة اليس الآخرة. وجاء المثنى رجلان أحدهما انبارى والآخر حيرى يدله كل واحد منهما على سوق. فأما الانبارى فدله على سوق الخنافس. وأما الحيرى فدله على سوق بغداد فقال المثنى أيتهما قبل صاحبتها، فقالا بينهما أيام. قال أيهما أعجل؟ قالا سواق الخنافس ويجتمع بها ربيعة وقضاعة يخفرونهم فاستعدلها المثنى حتى إذا ظن أنه موافيها يوم سوقها ركب نحوهم فاغار على الخنافس فانتهب السوق وما فيها. ثم رجع فأتي الانبار فتحصن أهلها منه فلما عرفوه نزلوا اليه وأتوه بالاعلاف والزاد وأخذ منهم الأدلاء على سوق بغداد وسار ليلا اليها وصبحهم فى أسواقهم فوضع السيف فيهم وأخذ ماشاء. وقال المثنى «لاتأخذوا إلا الذهب والفضة والخز من كل شيء» ثم عاد راجعاً حتى نزل بنهر السَّيْلَحِيْن بالأنبار ثم واصل زحفه حتى بلغ شمال تكريت وكتب إلى عمر بأخبار غزوته.

كلمة عن الشام

قبل أن نذكر غزو المسلمين للشام يجدر بنا أن نكتب كلمة عنها وعن بلادها وشهرتها وحاصلاتها وأقسامها وتاريخها حتى يكون القارىء على علم بالبلاد التى سيقرأ فتوحها :

قال ياقوت : حد الشام من الفرات إلى العريش المتاخم للديار المصرية . وأما عرضها فمن جبلى طىء من نحو القبلة إلى بحر الروم ولها من أمهات المدن مَنْبِج[1] وحلب وحماة وحمص ودمشق والبيت المقدس والمعرة وفى الساحل أنطاكية وطرابلس وعكا وصور وعسقلان وغير ذلك . وهى خمسة أجناد . جند قنسرين وجند دمشق وجند الأردن وجند فلسطين وجند حمص . ويعد فى الشام أيضاً الثغور وهى المصيصة وطرسوس وإذنة وانطاكية وجميع العواصم من مرعش والحدث وبفراس والبلقاء وغير ذلك

وقال ابن الأثير أرض الشام إقليم عظيم الخيرات واسع البركات ذو بساتين وجنات ومتنزهات وفواكه مختلفات والفاكهة رخيصة

---

(١) منبج هى مدينة كبيرة واسعة كثيرة الخيرات واسعة الأرزاق فى فضاء من الأرض كان عليها سور مبنى بالحجارة محكم بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ وبينها وبين حلب عشرة فراسخ ومنها البحترى وله بها أملاك وفى كتاب الفتوح أن أبا عبيدة بعد فتح حلب وأنطاكية قدم عياضا إلى منبج ثم لحقه وقد صالح أهلها مثل صلح أنطاكية فأنفذ ذلك

واللحوم كثيرة إلا أنه كثير الأمطار والثلوج وهو يشتمل على ٣٠ قلعة ليس فيها قلعة ممتنعة إلا قلعة الكرك . وإقليم الشام يشتمل على كور [1] مثل كورة فلسطين وعمواس ولد ونبيا وقيسارية ونابلس وسبطة وعسقلان وغزة وجبريل وفى جنوبه قمص التيه وكورة الشوبك والأردن والسابرة وعانة وقاصرة وصور . وأرض دمشق ومن كورها الغوطة والبقاع وبعلبك ولبنان والدل وبيروت والبثنية وجول وجولان وطاهر والحولة وطرابلس والبلقاء. وجيرين الغور وكفر طاب وعمان السراة . ومن مدن الشام المشهورة دمشق وفلسطين ونابلس وعسقلان وبيت المقدس وطبرية وحمص وحماة وبعلبك وحلب والعواصم والرصافة . وأما أرض السراة فهى من الشوبك إلى جهة الغرب ومنها إلى الحميمة

وقال القزوينى الشام هى الأرض المقدسة التى جعلها الله تعالى منزل الأنبياء ومهبط الوحى ومحل الأولياء . هواؤها طيب وماؤها عذب وأهلها أحسن الناس خلقا وخلقا وزياورؤية. ومن خواصها أن لاتخلو من الأولياء والابدال الذين يرحم الله تعالى ويعفو بدعائهم لا يزيدون على سبعين ولا ينقصون ولايسكنون إلا جبل اللكام . ومن خواصها الطاءات الثلاث الطعن والطاعة والطاعون اما الطعن فمشهور أن أجنادها شجعان وأما الطاعة فما يضرب به

---

(١) الكورة بالضم المدينة والصقع وقيل لكل مصر كورة وهى البقعة التى يجتمع فيها قرى ومحال والجمع كور

المثل حتى قيل إنما تمشى الأمر لمعاوية لأنه كان فى اطوع جند وكان علىّ فى أعصى جند وهم أهل العراق .وأما الطاعون فكثير الحدوث فيها (وقد انقضى أمره من مدة طويلة) . قال وبالشام من أنواع الفواكه ماهو فى غاية الحسن والطيب وتفاحها كان يحمل إلى العراق لأجل الخلفاء وكذلك الزبيب الركافى فانه فى غاية الصفاء

قال المسعودى أول من ملك الشام من اليمن فالغ بن هور ثم ملك بعده سومات وهو أيوب بن رزاح ثم غلبت الروم على ديارها ففرقوا فى البلاد وكانت قضاعة من مالك بن حمير أول من نزل للشام وانضافوا الى ملوك الروم فملكوها بعد أن دخلوا فى النصرانية على من حوى الشام من العرب . وكان أول من ملك من تنوخ النعمان ابن عمرو بن مالك ثم عمرو بن النعمان ثم الحوارى بن النعمان ولم يملك من تنوخ غير هؤلاء ثم وردت سليح الشام. فغلبت تنوخ وتنصر من ملكته من الروم على العرب الذين بالشام . وتفرقت قبائل العرب لما كان بمأرب من أمر السد وأتت غسان إلى الشام فغلبت على من بها من العرب فملكها الروم على العرب : فكان أول من ملك منهم الحارث بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن ماس بن غسان وآخرهم جبلة بن الايهم . ثم فتحها المسلمون

(هواء الشام)

إن إقليم الشام مختلف التربة كثير الجبال والسهول ولذلك

يختلف الهواء فيه بين الحرارة والبرودة والاعتدال فترى جبال لبنان وانطيلبنان ـ الجبل الشرقى ـ يكللها الثلج فترطب هواء جوارها وتحسنه بحيث يصبح جيداً يستشفى به. وتتفجر المياه العذبة من العيون اللبنانية باردة مثلوجة. ويقارب لبنان جبل طوروس فانه يبعث ببرودة ثلجة لشمالى سوريا. كل هذا بخلاف القطر الجنوبى حيث لا تصل برودة لبنان ولا ينزل الثلج الا نادراً وعلى قلة لا تكاد تذكر. أما الثغور البحرية فان الاعتدال ضارب أطنابه فى أكثرها لأن هواء البحر نهارا وهواء البر ليلا يرطبان حرارتها. ومع ذلك فان كثيرين من سكانها يبارحونها فى شهر الصيف إلى لبنان تمتعا بمائه العذب وهوائه الصحيح

(حاصلات الشام)

من الأشجار الصنوبر والبلوط والحور والازدرخت والميس والزيتون والنخيل والجميز والكرم والجوز والتوت واللوز والصفصاف والأرز والسرو والشربين والصرفاء والآس

ومن الفواكه التين والتفاح والمشمش والكمثرى والخوخ والاترج والدراقن والليمون بانواعها والرمان والصبير

ومن الحبوب الحنطة والشعير والعدس والماش والكرسنة والحمص والفول والذرة والسمسم الخ

ومن نتاجها أيضاً الخروع والسوس والجلنار والعناب والزعرور وقصب السكر وشجر الحناء والورد والياسمين والفل

والقرنفل والنرجس الخ

(الأنهار والبحيرات)

«نهر حلب» يخرج من الجبال الواقعة بجوار عين تاب ويجرى جنوبا حتى حلب ويقال له نهر قويق

« نهر العاصى» وهو يصدر من نبع اللبوة شمالى بعلبك ويجرى شمالا نحو انطاكية ثم ينحرف إلى الجنوب الغربي ويمر بين اللكام والاقرع ويصب فى البحر عند السويدية ويخرج من جبل اللكام ثلاثة أنهر هى . عفرين . ويغرا والنهر الأسود وتصب فى بحيرة انطاكية . ومن جبال النصيرية يخرج النهر الكبير ويصب بقرب اللاذقية ويليه جنوبا نهر الصنوبر ثم نهر الملك والأنهر المعروفة بالحسين والكبير وعكار والبارد وكلها تخرج من جبال النصيرية وتصب فى بحر الروم . ومن لبنان يخرج نهر أبى على من سفح جبل تحت الأرز عند بشرة ويجرى إلى الجنوب الغربى ويصب عند طرابلس بعد أن يضاف اليه نهران يقال لهما رشعين وجوعيت ويلى هذا نهر ابراهيم ومخرجه بقرب العاقورة ويصب إلى الجنوب من جبيل ويليه جنوبا « نهر الكلب » مخرجه من مغارة جعيتا ويصب فى البحر إلى جنوبى جونة كسروان

« ونهر بيروت » من نهرين أحدهما من قرب ترشيش وكفر سلوان والآخر من فالوغا ويصب قرب بيروت

« ونهر الدامور » يجتمع من نهر الغابون الخارج من قرب

بحمدون ومن نهر الصفا من جوار عين زحلتا وفى ماء نبع القاعة وعين دارة وكل هذه المياه تجتمع عند جسر القاضى وتذهب غربا إلى بحر الروم قرب معلقة الدامور

«ونهر الاولى» مخرجه من الباروك ويصب فى البحر قرب صيدا

« ونهر الليطانى » مخرجه بقرب بعلبك ويصب بجوار صور ويسمى هنالك نهر القاسمية ويليه « النهر المقطع » مخرجه من شرقى سهل بن عامر ويصب قرب حيفا وبعده النهر الأعوج يخرج من جوار لد ويصب قرب يافا

« ونهر بردى» مخرجه قرب الزبدانى ويضاف اليه ماء عين فيجة ويصب فى بحيرة المرج ويليه « النهر الأعوج » غير المذكور آنفا

« أما نهر الأردن» فمجتمع عدة مياه منها النهر الحاصباني وبانياس وتل القاضي وكلها تصب فى الحولة وتجرى منها إلى بحيرة طبرية ومن هذه يخرج نهر الأردن ويجرى متعرجا إلى بحيرة لوط ويضاف اليه « اليرموك » والزرقاء قبل الوصول اليها

أما البحيرات فهى المنسوبة لانطاكية وأفاميا وحمص والمرج وبركة ران والحولة وطبرية ولوط ويقال لهذا البحر الميت وفيها يغور الماء ولا يخرج منها ولذلك مر طعمه وثقل بحيث يعوم ما يغرق فيه [1]

بحيرية طبريه تحت سطح البحر على ١٣١٦ قدماً وفيها أسماك

(١) دائرة المعارف العربية للبستانى

كثيرة . أما بحيرة لوط فلا يعيش فيها حيوان فكأن نهر الاردن الذى يجرى من بحيرة طبرية وينتهى ببحيرة لوط هو فى أوله حياة وفى آخره موت وهذا لانظير له فى العالم[١]

تاريخ العرب بالشام

قبل الاسلام

يرجع تاريخ العرب بالشام إلى زمن بعيد يقدر بأكثر من ٢٥٠٠ سنة ويقال أن العرب دخلوا فلسطين قبل الاسلام بقرون ولما حاصر الاسكندر غزة كانت حاميتها عرباً وكان العرب وقتئذ يحتلون لبنان وكان الحارث حاكم دمشق عربيا لما دخلها بولس الرسول . وملوك النبطيين عرب من بقايا العمالقة وهم قوم من عاد . وقيل أول من دخل الشام من العرب سليح وهو من غسان فدانت بالنصرانية وملك عليها ملك رجلا منهم يقال له النعمان بن عمرو بن مالك . وبنو غسان أصلهم من اليمن والازد بنى كهلان وحكم ملوك غسان حوران والبلقاء والغوطة وحمص ودمشق وفى الشمال نزل التنوخيون قبل الاسلام بقرون ودخلوا فى دين النصرانية والسبب فى هجرة العرب إلى الشام الجدب والطاعون فقد أصاب الناس فى زمان داود طاعون جارف فخرج بهم إلى موضع بيت المقدس فدعا الله فى كشف الطاعون عنهم فاستجاب له ورفع

(١) خطط الشام للاستاذ كرد على جزء أول ص ٥٥

الطاعون فاتخذوا ذلك الموضع مسجدا وتوفى قبل أن يتم بناءه وأوصى إلى ابنه سليمان باتمامه . وبعد أن توفى داود أتم سليمان بناء المسجد ، بناه بالرخام وزخرفه بالذهب ورصعه بالجواهر

وهاجر اليمنيون بسبب سيل العرم على أهل مأرب . وأهل حماة قوم من اليمن وكذا أهل حمص وشيزر واللاذقية وجبلة همدان وانطرطوس

وكانت دمشق منازل ملوك غسان والأغلب على أهلها أهل اليمن وفى أطراف بعلبك قوم من اليمن وصيدا بها قوم من قريش ومن اليمن

وكانت اللغة العربية يتكلم بها قبل الفتح الاسلامى بزمن طويل لما ثبت من انتشار الغسانيين والتنوخيين والسبأيين عدا اللغات السامية واللاتينية واليونانية . ولم تلبث اللغة العربية سبعين عاما للفتح الاسلامى حتى انتشرت فى الشام

غزو الشام

سنة ١٣ - ١٤ ﻫ (٦٣٤ - ٦٣٥ م)

فتح دمشق

إن البلاد التى نزل بها المسلمون جهة شرق نهر الأردن ليست كغيرها من البلاد التى عرفوها من قبل ففى الجنوب مراعى البلقاء وفى شمالها مراعى جولان وبينهما تلال وأودية وحقول القمح

والشعير واشجار البلوط والزيتون والجميز وغابات الآس . فهي بلا ريب أرض جميلة . إنها أرض الأنهار والعيون التي تتفجر في الأودية . والتلال المكسوة بالخضرة والازهار وتغرد فيها الاطيار والبلاد آهلة بالسكان الذين نصفهم عرب ونصفهم سوريون

أما دمشق فهي من أقدم مدن العالم وكانت عاصمة الشام من قديم الزمان وهي على سهل تسقيه الجداول التي تنبع من الجبال المجاورة وتحوطها المراعي والغابات الجميلة وعدا ذلك هي مركز للتجارة بين الشرق والغرب وبها سور قديم يبلغ ارتفاعه ٢٠ قدماً وعرضه ١٥ قدما وعلى أبوابه بروج معدة للدفاع

قال ياقوت :دمشق هي البلدة المشهورة قصبة الشام وهي «جنة الأرض» بلا خلاف لحسن عمارة ونضارة بقعة وكثرة فاكهة ونزاهة رفعة وكثرة مياه ووجود مآرب .قيل سميت بذلك لأنهم دمشقوا في بنائها أي أسرعوا . وناقة دَمْشَق سريعة وناقة دمشقة اللحم خفيفه . وقال أهل السير سميت دمشق بدمشقان بن قاني بن لامك بن ارفخشد بن سام بن نوح . فهذا قول بن الكلبي وقال في موضع آخر ولد يقطان بن عابر سالف وهم السلف

قال الأصمعي : جنان الدنيا ثلاث غوطة دمشق ونهر بلخ ونهر الابلة . وفي الاخبار أن ابراهيم ولد في غوطه دمشق في قرية يقال لها برزة في جبل قاسيون ويقال أنها كانت مأوى الأنبياء ومصلاها والمغارة التي في جبل النيرب يقال أنها كانت مأوى عيسى ومسجد

ابراهيم احدهما فى الأشعريين والآخر فى برزة ويقال أن هوداً بنى الحائط القبلى من الجامع وبها قبور الصحابة ودورهم المشهورة بهم ما ليس فى غيرها من البلدان إلى الآن

ومن خصائص دمشق كثرة الأنهار وهى فى أرض مستوية تحيط بها من جميع جهاتها الجبال الشاهقة وبها مغاور كثيرة وكهوف وآثار الأنبياء والصالحين مما لا يوجد فى غيرها وبها فواكه كثيرة

***

لما انتصر المسلمون باليرموك استخلف أبو عبيدة على اليرموك بشير بن كعب بن أبي الحميرى وخرج أبو عبيدة حتى نزل بالصُّفَّر فأتاه الخبر بأن الروم اجتمعو بفحل من بلاد الأردن وأن المدد قد أتى أهل دمشق من حمص فلم يدر هل يبدأ بالفحل أو بدمشق فكتب إلى عمر وأقام بالصفر ينتظر الجواب

فلما جاء عمر فتح اليرموك أقر الأمراء على ما كان استعملهم عليه أبو بكر إلا ما كان من عمرو بن العاص وخالد بن الوليد فانه ضم خالد إلى أبى عبيدة وأمر عمراً بمعونة الناس حتى يصير الحرب إلى فلسطين ثم يتولى حربها وكتب إلى أبي عبيدة :

« أما بعد فابدؤا بدمشق فانهدوا لها فانها حصن الشام وبيت مملكتهم واشغلوا عنكم أهل فحل بخيل تكون بازائهم فى نحورهم وأهل فلسطين وأهل حمص فان فتحها الله قبل دمشق فذاك الذى نحب وإن تأخر فتحها حتى يفتح الله دمشق فلينزل بدمشق من

يمسك بها ودعوها وانطلق أنت وسائر الأمراء حتى تغيروا على فحل فان فتح الله عليكم فانصرف أنت وخالد إلى حمص ودع شرحبيل وعمراً وأخلهما بالأردن وفلسطين وأمير كل بلد وجند على الناس حتى يخرجوا من إمارته »

سرح أبو عبيدة إلى فحل عشرة قواد وهم :

(١)أبو الأعور السلمى (٢)عبد عمرو بن يزيد بن عامر الجرشى (٣) عامر بن حثمة (٤) عمرو بن كليب (٥) عمارة بن الصعق بن كعب (٦) صيفى بن علبة بن شامل (٧) عمرو بن الحبيب بن عمرو (٨) لبدة بن عامر بن خثعمة (٩) بشر بن عصمة (١٠) عمارة ابن مُخش

وولى عمارة بن مخش قائداً عليهم وعلى كل رجل خمسة قواد وكانت الرؤساء من الصحابة حتى لا يجدوا من يحتمل ذلك منهم

سار الجيش من الصفر حتى نزلوا قريباً من فحل فلما رأت الروم أن الجنود تريدهم بثقوا المياه حول فحل فوحلت الأرض واغتم المسلمون من ذلك فحبسوا على المسلمين بها ٨٠٠٠٠ فارس وكان أول محصور بالشام أهل فحل ثم أهل دمشق

وبعث أبو عبيدة ذا الكلاع حتى كان بين دمشق وحمص ردءا وبعث علقمة بن حكيم ومسروقا فكانا بين دمشق وفلسطين ففصل وفصل بأبى عبيدة من المرج وقدم خالد بن الوليد وعلى مجنبتيه عمرو وأبو عبيدة وعلى الخيل عياض وعلى الرجل (المشاة) شرحبيل

حصار دمشق

١٦ محرم سنه ١٤ ﻫ — ١٣ مارس سنة ٦٣٥ م

قدم جيش المسلمين على دمشق وعليها نسطاس بن نسطوس فحصروا أهل دمشق ونزلوا حواليها فكان أبو عبيدة على ناحية وعمرو على ناحية ويزيد على ناحية . وهرقل يومئذ بحمص ومدينة حمص بينه وبينهم فحاصروا أهل دمشق نحوامن سبعين ليلة حصارا شديداً[1] بالزحوف والترامى والمجانيق وهم معصمون بالمدينة يرجون الغياث وهرقل منهم قريب وقد استمدوه وذو الكلاع بين المسلمين وبين حمص على رأس ليلة من دمشق كأنه يريد حمص وجاءت خيول هرقل مغيثة لأهل دمشق فأشجتهـا الخيول التى مع ذى الكلاع وشغلتها عن الناس فاجتمعوا ونزلوا بازائه وأهل دمشق على حالهم فلمـا أيقن أهل دمشق أن الأمداد لاتصل إليهم فشلوا ووهنوا وازداد المسلمون طمعا فيهم وقد كانوا يرون أنهـا كالغارات قبل ذلك إذا هجم البرد قفل الناس . فسقط النجم والقوم مقيمون فعند ذلك انقطع رجاؤهم وندموا على دخول دمشق

وولد للبطريق الذى على أهل دمشق مولود فأكل القوم وشربوا وغفلوا عن مواقفهم ولا يشعر بذلك أحد من المسلمين إلا ما كان من خالد فانه كان لا ينام ولا ينيم ولا يخفى عليه من أمورهم شىء

---

(١) قال ابن إسحاق حاصروها ستة أشهر

عيونه ذاكية وهو معنى بما يليه قد اتخذ حبالا كهيئة الأسلالم فلما أمسى من ذلك اليوم نهد ومن معه من جنده الذين قدم بهم عليهم وتقدمهم هو والقعقاع بن عمر ومذعور بن عدى وأمثالهمن أصحابه فى أول يومه وقالوا إذا سمعتم تكبيرنا على السور فارقوا إلينا وانهدوا للباب فلما انتهى إلى الباب الذى يليه هو وأصحابه المتقدمون رموا بالحبال الشرف وعلى ظهورهم القرب التى قطعوا بها خندقهم. فلما ثبت لهم حبلان تسلق فيهما القعقاع ومذعور ثم لم يدعا أحبولة إلا أثبتاها وكان المكان الذى اقتحموا منه أحصن مكان يحيط بدمشق أكثره ماء وأشده مدخلا وتوافوا لذلك فلم يبق ممن دخل معه أحد إلا رقى أو دنا من الباب حتى إذا استووا على السور حدر عامة أصحابه وانحدر معهم وخاف من يحمى ذلك المكان لمن يرتقى وأمرهم بالتكبير فكبر الذين على رأس السور فنهد المسلمون إلى الباب ومال إلى الحبال بشر كثير فوثبوا فيها وانتهى خالد إلى أول من يليه فأنامهم وانحدر إلى الباب فقتل البوابين وثار أهل المدينة وفزع سائر الناس فأخذوا مواقفهم ولا يدرون ما الشأن وتشاغل أهل كل ناحية بما يليهم وقطع خالد بن الوليد ومن معه أغلاق الباب بالسيوف وفتحوا للمسلمين فأقبلوا عليهم من داخل حتى ما بقى مما يلى باب خالد مقاتل إلا أنيم

ولما شد خالد على من يليه وبلغ منهم الذى أراد عنوة اجتمع من أفلت إلى أهل الأبواب التى تلى غيره. وقد كان المسلمون دعوهم

إلى المشاطرة فأبوا وأبعدوا فلم يفجأهم إلا وهم يبوحون لهم بالصلح فأجابوهم وقبلوا منهم وفتحوا لهم الأبواب وقالوا ادخلوا وامنعونا من أهل ذلك الباب . فدخل أهل كل باب بصلح مما يليهم ودخل خالد مما يليه عنوة . فالتقى خالد والقواد فى وسطها هذا استعراضاً وانتهاباً ، وهذا صلحا وتسكينا . فأجروا ناحية خالد مجرى الصلح فصار صلحاً .

هذا ما جاء فى الطبرى بناء على رواية سيف وهو لا يشفى الغليل عن فتح دمشق بعد حصار طويل دام سبعين يوما (أو ستة شهور كما قال ابن اسحاق) . أما ابن الأثير فقد لخص هذه الرواية التى ليس فيها إلا تسلق الحصن بالحبال وفتح الأبواب ثم طلب الصلح وذكر البلاذرى فى سبب فتح دمشق غير ما تقدم من رواية الطبرى أن فتحها كان بممالئة الأسقف الذى كان أعطاه خالد عهداً وأمانا على دمشق حين مروره عليها فى أول مجيئه إلى الشام وذلك بأن أرسل إليه الأسقف بعض أصحابه وأعلمه بأن القوم فى عيد لهم وان الباب الشرقى ردم وليس عليه أحد من الحرس وأن خالداً لما دخل المدينة كان أبو عبيدة دخلها من باب آخر عنوة فالتقيا فى دخولها بكنيسة المقسلاط وهو موضع النحاسين بدمشق . ورواية البلاذرى هذه ليست على أساس صحيح فلم تفتح دمشق بالدسيسة والممالأة ولم يدخل أبو عبيدة عنوة بل دخلها صلحاً

أما جيبون مؤلف كتاب سقوط الدولة الرومانية فانه كتب عن

فتح دمشق تفصيلات وافية وليس فيها ما الآة الأسقف وهذه التفصيلات مطابقة لما كتبه الواقدى فى كتاب فتوح الشام وإليك ملخصها :

تشاور أهل دمشق فى الصلح . فلما اختلفوا أشار إليهم بطريق من الروم بالتحدث إلى توما بهذا الشأن « توماس » وكان من أشراف الروم وفى فتوح الشام أنه صهر الملك « هرقل » . فأبى توما إلا الحرب ومما قاله لهم إنكم أكثر منهم ومدينتنا حصينة ولكم مثل هذا العدد والسلاح . وأما القوم فهم حفاة عراة . ووعدهم بصرف العرب عنهم وقتل أميرهم فوعدوه أن يقاتلوا حتى يهلكوا وانصرفوا إلى الحصن

وكان ضرار بن الأزور معه ٢٠٠٠ فارس يطوف بهم حول العسكر وحول المدينة وكلما اتى بابا من الأبواب وقف عنده وحرض أهله على القتال

وأقبل توما من الباب الذى يدعى باسمه (باب توما) وكان عابداً راهبا شجاعا فخرج ذلك اليوم من قصره والصليب الأعظم على رأسه وعلا به فوق البرج وأوقف البطارقة حوله وحملوا الانجيل ونصبوه بالقرب من الصليب ودعا الله أن ينصرهم على القوم الظالمين هذا ما رواه شرحبيل بن حسنة الذى كان يقاتل على باب توما . وقاتل توما قتالا شديداً وهشم الناس بالحجارة ورمى النشاب رميا متداركا فجرح رجالا وكان ممن جرح إبان بن سعيد بن العاص أصابته نشابة فمات

(زوجة إبان تحارب مع المسلمين)

كانت زوجة إبان بنت عمه وكانت قريبة العهد من العرس ولم يكن الخضاب ذهب من يدها ولا العطر من رأسها وكانت من المترجلات من أهل الشجاعة والبراعة . فلماسمعت بموت بعلها أتته تتعثر فى أذيالها إلى أن وقعت عليه فلمانظرته صبرت واحتسبت ولم يسمع منها غير قولها :

« هنئت بما أعطيت ومضيت إلى جوار ربك الذى جمع بيننا ثم فرق ولأجهدن حتى ألحق بك . فانى المتشوقة إليك . حرام على أن يمسنى بعدك أحد وإنى قد حبست نفسى فى سبيل الله عسى أن ألحق بك وأرجو أن يكون ذلك عاجلا »

ثم حفر له ودفن مكانه فقبره معروف وصلى عليه خالد بن الوليد . فلما غيب فى التراب لم تقف على قبره دون أن أتت إلى سلاحه ولحقت الجيش من غير أن تعلم خالدا بذلك . وقالت على أى باب قتل بعلى فقيل لها على باب توما . فسارت إلى أصحاب شرحبيل بن حسنة فاختلطت بهم وقاتلت مع الناس قتالا لم ير مثله وكانت أرمى الناس بالنبل وكان قد جعل لها قوس وكنانة فرمت حامل الصليب على باب توما فأصابته فى ذراعه وسقط الصليب من يده فأخذه المسلمون وكان مرصعا بالجواهر فعظم ذلك على توما فحزم وسطه وأخذ سيفه ودعا الجند بأن يتبعوه وانحدر مسرعا

وأمر بفتح الباب وانحدروا فى أثره وخرجوا كالجراد المنتشر ورموا المسلمين بالنشاب والحجارة فتقهقر المسلمون إلى أن أمنوا ضرب النشاب وحثهم شرحبيل على القتال والجهاد فى سبيل الله ولما سمع أهل دمشق بخروج توما وسقوط الصليب من يد حامله جعلوا يهرعون إلى أن تزايد أمرهم وهجم توما على شرحبيل لأخذ الصليب منه وبينما هو مقبل عليه رمته زوجة إبان بنبلة فأصابت عينه اليمنى فتقهقر إلى ورائه صارخا وهمت أن ترميه بأخرى فتبادرت إليها الرجال وتبادر إليها قوم من المسلمين يحامون عنها فلما أمنت من شر الأعداء أخذت بالنبل ثم إنها رمت علجا من الروم فأصابت صدره فسقط هاويا إلى الأرض ثم حمل الناس على الروم إلى أن أوصلوهم إلى الباب فحماهم قوم من أعلى الباب بالحجارة والنشاب فتراجع الناس إلى مواضعهم وقد قتلوا من الروم مقتلة عظيمة

(ملحوظه): اذن خرج الروم من هذا الباب باب توما وحاربوا المسلمين وجهاً لوجه وكان على هذه الجهة شرحبيل بن حسنة ولم نجد فى الطبرى ولا ابن الأثير ذكراً لهذه الموقعة مع أن المسلمين قتلوا من الروم مقتلة عظيمة وحملوهم على الارتداد وأخذوا أسلابهم وأموالهم وصليبهم

دخل توما إلى المدينة وأغلقوا الأبواب وحاولوا قلع النبلة من عين توما فلم تطلع .فنشروها وبقى النصل فى عينه ثم صار إلى أعلى السور وهو معصوب العين وصار يحرض الناس لكى يزيل عن قلوبهم الرعب

وبعث شرحبيل بن حسنة إلى خالد بن الوليد يخبره بما صنع مع القوم وطلب منه رجالا فقال خالد للرسول « عد إلى شرحبيل وقل له كن حافظا ماأمرتك به فكل فرقة مشغولة عنك ولم تؤت من قبلهم وأنا بالقرب منك وهذا ضرار بن الأزور يطوف حول المدينة وكل وقت عندك » فرجع الرسول فاخبره بذلك فصبر وقاتل بقية يومه ووصل الخبر إلى أبي عبيدة بما نزل بشرحبيل بن حسنة من توما وبما غنم فسر بذلك

(هجوم الروم ليلا)

ولما كان الصباح بعث توما إلى أكابر دمشق وأبطالهم فحضهم على القتال وقال أنه عزم على الهجوم ليلا لمفاجأة المسلمين وفرق القوم على الباب الشرقى فرقة وعلى باب الجابية فرقة وعلى كل باب جماعة ودعا بفرقة أخرى إلى باب الفراديس إلى عمرو بن العاص وخرج توما من بابه آخذا الأبطال معه ورتب على الباب ناقوسا وقال لهم « اذا سمعتم الناقوس فهى العلامة التى بيننا فافتحوا الأبواب واخرجوا مسرعين إلى أعدائكم ولا تجد رجالا نياما الا وتضعون السيف فيهم فان فعلتم ذلك فرقتم جمعهم فى هذه الليلة ودعا برجل وقال له خذ ناقوسا واعل به على الباب فاذا رأيتنا قد فتحنا الباب فاضرب الناقوس ضربة خفيفة يسمعها قومنا وسار بقطعة من جيشه عليهم الدروع وبأيديهم السيوف وتوما فى أوائلهم وبيده صفيحة

هندية وألقى على رأسه بيضة كسروية (خوذة) كان هرقل قد اهداها له وكانت لا تعمل فيهـا السيوف القواطع حتى وصل إلى البـاب ثم أمر بضرب الناقوس ضربة خفيفة ففتح الباب وتبادر الرجال إلى المسلمين وهم فى غفلة عما دبر القوم لهم إلا أنهم فى يقظة فلما سمعوا الصوت أيقظ بعضهم بعضا وتواثبت الرجال من أماكنهم كالأسد الضارية فتقاتل القوم فى جنح الظلام وسمع خالد بن الوليد فقام ذاهل العقل بما سمع من الزعقات فصاح« واغوثاه وأسلاماه كيد قومى ورب الـكعبة . اللهم انظر لهم بعينك التى لا تنام وانصرهم يا أرحم الراحمين»

سار خالد ومن معه وهم ٤٠٠ فارس من أصحابه وهو بغير درع قد لبس ثوب كتان من عمل الشام مكشوف الرأس فسار معهم إلى ان وصلوا الباب الشرقى واذا بالفرقة التى هناك قد هاجمت أصحاب رافع بن عميرة الطائى فحمل خالد بن الوليد على الروم ونادى برفيع صوته «ابشروا يا معاشر المسلمين أتاكم الغوث من رب العالمين أنا الفارس الصنديد .أنا خالد بن الوليد »وحمل فى أوساط الناس بمن معه فجندل أبطالا وقتل رجالا وهو مع ذلك مشتعل القلب على أبى عبيدة والمسلمين الذين على الأبواب وهو يسمع أصواتهم وزعقاتهم وكان الروم من أعلى الاسوار يرمون بالسهام وخشى خالد على شرحبيل بن حسنة مما وصل اليه من توما لأنه ملازم الباب ولقى شرحبيل من توما امراً عظيما لم يلقه أحد مثله ولما

سمع شرحبيل صوت توما قصد جهته فعطف عليه توما عطفة الأسد وما زالوا فى قتال إلى ان تولى من الليل شطره وكانت زوجة إبان مع شرحبيل فى تلك الليلة ورمت بنبالها فكانت لاتقع نبلة من نبالها إلا فى رجل منهم الى أن قتلت من الروم مقتلة عظيمة بالنبال ولاح لها رجل من الروم فرمته بنبلة فبقيت النبلة معلقة فى نحره فصرخ بالروم فهاجموها واخذوها اسيرة ومات الذى رمته وانكسر سيف شر حبيل وهو يضرب توما لأنه تلقاها بدرقته. وهجمت كوكبة على الروم فانقذت زوجة ابان من الأثر ورجع توما هاربا الى المدينة

اما أبو عبيدة فانه قاتل الروم من جهته قتالا شديداً وقتل ضرار ابن الأزور فى هذه الليلة نحو ١٥٠ رجلا وقتل من الروم فى هذه الليلة ألوف وكان الروم قد نصحوا توما بالصلح فجاءوه وقالوا له قد قتل منا أكثر الناس وهذا أمير لايطاق يعنى خالد بن الوليد فصالح فهو أصلح لك ولنا فكتب توما إلى هرقل كتابا وبعث به قبل الصباح وفى الصباح بعث خالد لكل أمير أن يزحف من من مكانه فركب أبو عبيدة ووقع القتال وأشتد الأمر على أهل دمشق

(المفاوضة فى الصلح)

بعث أهل دمشق إلى خالد أن أمهلنا فابى خالد إلا القتال ولم يزل كذلك إلى أن ضاق بهم الحصار وهم ينتظرون أمر الملك وذهب مائة رجل من كبرائهم وعلمائهم حتى وصلوا إلى خيمة

أبى عبيدة فرحب بهم

واجلسوهم وتكلموا فى أمر الصلح وقالوا إنا نريد منكم أن تتركوا كنائسنا ولا تنقضوا علينا منها كنيسة فقال لهم أبو عبيدة « جميع الكنائس لايؤمر بهدمها »

و كان فى دمشق كنائس واحدة تسمى كنيسة مريم وكنيسة حنا و كنيسة سوق الليل و كنيسة انذار فكتب لهم أبو عبيدة كتاب الصلح والأمان

(دخول أبو عبيدة دمشق) شهر رجب سنة ١٤ ﻫ

ولما تسلموا الكتاب من أبى عبيدة قالوا له قم معنا إلى البلد فقام معهم وركب معه جماعه من الصحابة جملتهم ٣٥ صحابيا[١] و ٦٥ من أخلاط الناس فلما ركبوا وتقدموا نحو الباب قال أبو عبيدة « أريد منكم رهائن حتى ندخل معكم » فأتوه برهائن

ولما دخل أبو عبيدة دمشق بأصحابه صارت القسوس والرهبان بين يديه على مسرح الشعر وقد رفعوا الانجيل والمباخر ودخل أبو عبيدة من باب الجابية ولم يعلم خالد بن الوليد بذلك لأنه شد عليهم بالقتال

أما خالد فانه دخل من الباب الشرقى بعد أن قاتل وسار إلى أن وصل إلى كنيسة مريم والتقى الجمعان عند الكنيسة : جيش خالد

(١) ذكر الواقدى فى «فتوح الشام» أسماء الصحابة الذين دخلوا دمشق مع أبي عبيدة الجزء الأول صـ ٤٤ المطبعة اليمنية بمصر سنة ١٣٠٩

وجيش أبى عبيدة وما من احد من أصحاب ابى عبيدة جرد سيفه فلما نظر خالد اليهم ورأى أن لا أحد منهم جرد سيفه بهت وجعل ينظر إليهم متعجبا فنظر إليه أبو عبيدة وعرف فى وجهه الانكار. فقال: «يا أبا سليمان قد فتح الله على يدى المدينة صلحا وكفى الله المؤمنين القتال» فقال خالد «وما الصلح؟ لا أصلح الله بالهم وأنى لهم الصلح. وقد فتحتها بالسيف. وقد خضبت سيوف المسلمين من دمائهم وأخذت الأولاد عبيدا ونهبت الأموال» فقال أبو عبيدة «أيها الأمير اعلم أنى مادخلتها إلا بالصلح» وأخيراً رضى خالد بصلح أبى عبيدة وجمع توما وهربيس (كان هربيس هو المأمور على نصف البلد ولاه توما حين رجع الأمر اليه) قومهما للخروج من المدينة وكان الملك له خزانة ديباج فى دمشق فيها زهاء من ثلاثمائة حمل ديباج وحلل مذهبة فعزم على إخراجها وأمر توما فضربت له خيمة من القز ظاهر دمشق

وأقبلت الروم تخرج الامتعة والأموال والاحمال حتى أخرجوا شيئا عظيما فعز ذلك على خالد ورفع يديه إلى السماء وقال: (اللهم اجعله لنا ملكا وملكنا إياه واجعل هذه الامتعة قوتا للمسلمين آمين إنك سميع الدعاء) وأعطاهم أبو عبيدة الأمان ثلاثة أيام وقد خرج مع القوم خلق كثير من أهل دمشق بأولادهم وكرهوا أن يكون فى جوار المسلمين. وجاء فى الواقدى أن خالد تبع الروم وقتل توما؛

وحكى تفاصيل ذلك - غير أن الواقدى يزعم أن أبا عبيدة تسلم كتاب عمر بعزل خالد بن الوليد وتوليته على المسلمين وهو بدمشق فقرأه سرا ولم يخبر أحداً بموت أبى بكر الصديق ولم يخبر خالدا حتى رجع من السرية وهى السرية التى ذهب فيها متتبعا أثر من خرج من دمشق - مع أن خالد بلغه خبر عزله وهو باليرموك كما تقدم ذكره فى هذه الموقعة

وكان فتح دمشق بعد وفاة أبى بكر الصديق

وكان عدد جيش المسلمين الذين حاصروا دمشق كما يأتى :

٩٠٠٠ فارس مع عمرو بن العاص

١٥٠٠ قدم بهم خالد من العراق

٣٧٠٠٠ جيش أبي عبيدة

٤٧٥٠٠ المجموع

كان صلح دمشق الدينار والعقار . الدينار عن كل رأس فاقتسموا الأسلاب فكان أسلاب خالد فيها كأصحاب سائر القوات وجرى على الديار ومن بقى فى الصلح جريب من كل جريب أرض [١] ووقف ما كان للملوك ومن صوب معهم فيئا وبعثوا بالبشارة إلى عمر . ولما فتحت دمشق لحق كثير من أهلها بهرقل وهو بأنطاكية فكثرت فضول منازلها فنزلها المسلمون

(١) الجريب مكيال وهو أربعة أقفزة والجريب من الأرض مبذر الجريب الذى هو المكيال

غزوة فحل

لما فتحت دمشق سار أبو عبيدة إلى فحل واستخلف عليها يزيد ابن أبى سفيان وبعث خالداً على المقدمة وعلى النـاس شرحبيل بن حسنة إذ كانت اليه ولاية الحرب فى الأردن . وكان على المجنبتين أبو عبيدة وعمرو بن العاص وعلى الخيل ضرار بن الأزور وعلى المشاة عياض بن غنم وكان أهل فحل قصدوا بيسـان وبينهم وبين المسلمين تلك المياه من الأوحال . وكانت العرب تسمى تلك الغزوة «ذات الردغة» «وبيسان[1]» فهاجم الروم المسلمين تحت قيادة سقلار ابن مخراق فاقتتلوا قتالا شديداً ليلا ونهارا وأظلم الليل فانهزموا وهم حيارى وأصيب قائدهم وظفر المسلمون وكان مقتلهم فى الرداغ (الطين والوحل) فأصيب من الروم ٨٠٠٠٠ لم يفلت منهم إلا الشريد واقتسموا ما أفاء الله عليهم وانصرف أبو عبيدة وخالد إلى حمص ومضى بذى الـكلاع الحميرى الذى كان مرابطاً بين جنود المسلمين وحمص ليمنع المدد عن العدو

وكانت فحل فى ذى القعدة سنه ١٣ هـ على ستة أشهر من خلافة عمر

---

(١) بيسان مدينة بالأردن بالغور الشامى ويقال هى لسان الأرض وهى بين حوارن وفلسطين وبها عين الفلوس.

(كتاب أهل دمشق لأبي عبيدة)

كتب أهل دمشق لأبي عبيدة كتابا هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب لأبي عبيدة بن الجراح ممن أقام بدمشق وأرضها وأرض الشام من الأعاجم . إنك حين قدمت بلادنا سألناك الأمان على أنفسنا وأهل ملتنا . وإنا اشترطنا لك أن لا تحدث في مدينة دمشق ولا فيما حولها كنيسة ولا ديرا ولا قلاية ولا صومعة راهب . ولا نجدد ما خرب من كنائسنا ولا شيئاً منها مما كان فى خطط المسلمين . ولا نمنع كنائسنا من المسلمين أن ينزلوها فى الليل والنهار وأن نوسع أبوابها للمارة وأبناء السبيل ولا نؤوى فيها ولا في منازلنا جاسوسا ولا نكتم على من غش المسلمين وعلى أن لا نضرب بنواقيسنا إلا ضربا خفيا فى جوف كنائسنا ولا نظهر الصليب عليها ولا نرفع أصواتنا وقراءتنا فى كنائسنا ولا نخرج صليبنا ولا كتابنا ولا نخرج باعوثا ولا شعانين ولا نرفع أصواتنا بموتانا ولا نظهر النيران معهم فى أسواق المسلمين ولا نجاورهم بالخنازير ولا نبيع الخمر ولا نظهر شركا فى نادى المسلمين ولا نرغب مسلما فى ديننا ولا ندعو اليه أحدا وعلى أن لا نتخذ شيئا من الرقيق الذى جرت عليه سهام المسلمين ولا نمنع احدا من قرابتنا إن أرادوا الدخول فى الاسلام وأن نلزم ديننا حيث كنا ولا نتشبه بالمسلمين فى لبس قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا فى مراكبهم ولا نتكلم بكلامهم ولا نتسمى بأسمائهم وأن

نجز مقادم رءوسنا ونفرق نواصينا ونشد الزنانير على أوساطنا وان لا ننقش فى خواتيمنا بالعربية ولا نركب السروج ولا نتخذ شيئا من السلاح ولا نجعله فى بيوتنا ولا نتقلد السيوف وأن نوقر المسلمين فى مجالسهم ونرشدهم الطريق إذا أرادوها ولا نطلع عليهم فى منازلهم ولا نعلم أولادنا القرآن ولا نشارك أحداً من المسلمين إلا أن يكون للمسلم أمر التجارة وأن نضيف كل مسلم عابر سبيل من أسط ما نجد ونطعمه فيها ثلاثة أيام وعلينا أن لا نشتم مسلما ومن ضرب مسلما فقد خلع عهده. ضمنا ذلك على أنفسنا وذرارينا وأرواحنا ومساكننا وإن نحن غيرنا أو خالفنا عما اشترطنا لك وقبلنا الأمان عليه فلازمة لنا. وقد حل لك منا ما حل من أهل المعاندة والشقاق. على ذلك أعطينا الأمان لأنفسنا وأهل ملتنا فأقرونا فى بلادكم التى ورثكم الله إياها. شهد الله على ما شرطنا لكم على أنفسنا وكفى به شهيدا [١]

وكتب عمر بن الخطاب على النصارى كتابا بهذا المعنى وهذه الأحكام عسكرية لا أوامر دينية كما قال الاستاذ كرد على

(١) راجع الجزء الأول من كتاب خطط الشام تأليف الأستاذ كرد على (ص) ١١٩ - ١٢٠

تولية يزدجرد عرش فارس

موقعة القادسية (١)

سنة ١٤ هـ - ٦٣٥ م

تركنا المثنى بعد موقعة البويب العظيمة فى العراق وقد حدثت فى المدائن أمور هامة فان أشراف الفرس استاءوا من ضعف رستم والملكة وخشوا أن يؤدى ضعفهما إلى سقوط المملكة وهددوا رستم والفيرزان بالقتل فطلب رستم والفيرزان إلى الملكة بوران إبنة كسرى أن تكتب إلى نساء كسرى وسراريه ونساء آل كسرى وسراريهم بالحضور فلما حضرن سئلن عن ذكر من أبناء كسرى لاختياره ملكا عليهم فلم يوجد عند واحدة منهن أحد وقال بعضهن لم يبق إلا غلام يدعى (يزدجرد) من ولد شهريار بن كسرى وأمه من أهل بادوريا (٢) فارسلوا اليها وطلبوه منها وكان ممن نجا من سيف عمه شيرى حين جمعهن وقتل الذكور وأرسلته أمه إلى أخواله. فلما سألوها عنه دلتهم عليه فولوه عليهم وكان عمره إذ

---

(١) القادسية بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخا وبينها وبين العذيب أربعة أميال واختلف فى سبب تسميتها فقيل سميت بالقادسية بقادس هراة وروى ابن عيينة قال مر ابراهيم بالقادسية فرأى زهرتها ووجد هناك عجوزاً فغسلت رأسه فقال قدست من أرض فسميت القادسية

(٢) بالجانب الغربى من بغداد

ذاك أحد وعشرين عاماً فاجتمع حوله الاشراف وقدموا له الطاعة وهو آخر ملوك العجم وذكر جيبون أن عمره كان ١٥ عاماً ولا بد أنه كان أكبر من ذلك

ولما تسنم يزدجرد سرير الملك ولبس تاج السلطنة وحضرته الأمراء والأكابر والأعيان والأماثل قال: «أنا الولد الطاهر الذى ورثت هذا الملك كابراً عن كابر. وساجذب بأعضاد الأصاغر وأزيد فى مراتب الأكابر. واتجنب فيكم العتو والطغيان ولا أوثر إلا العدل والاحسان فانه لايبقى للملوك سوى ذكر جميل هو للانسان عمر ثان وما أحسن حلية العدل والدين على نحور السلاطين ورأيي فيكم أن أفرغ وسعى فى قلع شافه الشر وأقصر جهدى على أحياء معالم الحق [1]».

ثم أن يزدجرد جمع عساكره وجعلهم تحت قيادة رستم لمحاربة المسلمين فاحتلوا الجزيرة وحصنوا المدن إلى الحيرة فلما رأى المثنى قلة جيشه انسحب إلى ذى قار [2] وراء الفرات ونزل الطف [3] فى عسكر واحد وقد كان من المستحيل على المسلمين الاحتفاظ بأرض الجزيرة لقرب المدائن منها لذلك كان من المهم أن يستولى عليها المسلمون مهما كلفهم ذلك فكتب المثنى إلى عمر يطلب منه المدد لأن العدو يهددهم

---

(١) راجع الجزء الثاني من كتاب الشاهنامه للفردوسى ترجمة الدكتور عبد الوهاب عزام ص ٢٦٤ (٢) ذو قار ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط (٣) الطف أرض من ضاحية الكوفة فى طريق البرية فيها كان مقتل الحسين

·(التجنيد)

لما وصل كتاب المثنى إلى عمر اهتم بالأمر وقال: «والله لاضربن ملوك العجم بملوك العرب». وكان أول ما عمل به عمر حين بلغه أن فارس قد ملكوا يزدجرد أن كتب إلى عمال العرب على الكور والقبائل وذلك فى ذى الحجة سنة ١٣ مخرجه إلى الحج وحج سنواته كلها وهذه أسماء عماله:

(١) عَتَّاب بن أسيد على مكة
(٢) عثمان بن أبي العاص على الطائف
(٣) يعلى بن منية على اليمين
(٤) حذيفة بن مِحْصَن على عمان واليمامة
(٥) العلاء بن الحَضرمى على البحرين
(٦) أبو عبيدة بن الجراح على الشام
(٧) المثنى بن حارثة على العراق
(٨) سعد بن أبى وقاص على صدقات هوازن

وهذا ما كتبه عمر إلى عماله - «لا تدعوا أحداً له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأى إلا إنتخبتموه ثم وجهتموه إلى العجل العجل.» فمضت الرسل إلى من أرسلهم اليهم مخرجه إلى الحج ووفاه أوائل هذا الضرب من القبائل التى طرقها على مكة والمدينة. فاما من كان من أهل المدينة على النصف ما بينه وبين العراق فوافاه بالمدينة مرجعه من الحج. وأما من كان أسفل من ذلك فانضموا إلى المثنى فأما

من وافى عمر فانهم أخبروه عمن وراءهم بالحث

تأهب عمر

للمسير إلي العراق بنفسه

لما اجتمع الناس إلى عمر خرج من المدينة حتى نزل على ماء يدعى صراراً[١] فعسكر به ولا يدرى الناس مايريد أيسير أم يقيم وكانوا إذا أرادوا أن يسألوه عن شيء رموه بعثمان أو بعبد الرحمن ابن عوف وكان عثمان يدعى فى إمارة عمر رديفاً (والرديف بلسان العرب الذى بعد الرجل والعرب تقول ذلك للرجل الذى يرجونه بعد رئيسهم) وكانوا إذا لم يقدر هذان على علم شيء مما يريدون ثلثوا بالعباس . فقال عثمان لعمر ما بلغك ما الذى تريد . فنادى الصلاة جامعة فاجتمع الناس اليه فأخبرهم الخبر ثم نظر ما يقول الناس فكانت الآراء كما يلى :

(١) رأى العامة

كان رأى عامة الناس أن يسيروا إلى محاربة الفرس ويسير الخليفة معهم فوافقهم عمر على رأيهم . وقال لهم «استعدوا وأعدوا فاني سائر إلا أن يجيء رأى هو أمثل من ذلك » وهذا يبين أن عمر لم يكن يستبد برأيه وإنه كان يلتمس خير الآراء

---

(١) صرار ماء قرب المدينة محتفر جاهلى على سمت العراق

(٢) رأى الخاصة

كان رأى وجوه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلام العرب ومنهم على وطلحة والزبير وعبد الرحمن على خلاف رأى العامة وذلك أنهم أجمعوا على أن يبعث عمر رجلا من الصحابة بالجنود فان كان الذى يشتهى فهو الفتح والا أعاد رجلا وندب جنداً آخر ففى ذلك غيظ العدو . وهذا هو الرأى الصواب لأن الخليفة إذا قاد الجيش بنفسه فاما أن ينتصر وإما أن ينهزم أو يقتل فى ساحة الوغى وعندئذ تكون الهزيمه شديدة الوقع على المسلمين والخسارة جسيمة والعاقبة وخيمة وهذا ماراه المسلمون عند ماخرج أبو بكر الصديق رحمه الله إلى ذى القصة ليحارب بنفسه فانهم قالوا له وقتئذ ننشدك الله ياخليفة رسول الله أن تعرض نفسك فانك إن تصب لم يكن للناس نظام ومقامك أشد على العدو فابعث رجلا فان أصيب أمرت آخر .وقد يعترض على ذلك بأن رسول الله كان يقود الجند بنفسه .لكن رسول الله كان ينزل عليه الوحى ويبشره بالنصر وكان الله يمده بالملائكة ومع ذلك فانه لما شاع أنه قتل فى موقعة أحد اضطرب الجيش وفر من فر إلى المدينة

(اختيار سعد بن أبى وقاص [١])

كان سعد بن أبى وقاص على صدقات هوازن نجد وكان عمر

---

(١) سعد بن مالك وهو سعد بن أبى وقاص أسلم بعد ستة وكان عمره لما أسلم سبع عشرة سنة . روى عنه قال أسلمت قبل ان تفرض الصلاة وهو

كتب اليه بانتخاب ذوى الرأى والنجدة والسلاح كما كتب لغيره فجاءه كتاب سعد وهو يستشير الناس فيمن يبعثه ـ يقول فيه لعمر «قد انتخبت لك ألف فارس كلهم له نجدة ورأى وصاحب حيطة يحوط حريم قومه ويمنع ذمارهم اليهم انتهت أحسابهم ورأيهم فشأنك بهم» فوافق كتابه مشورتهم فقالوا قدوجدته . قال فمن ؟ قالوا الأسد عاريا .قال من ؟ قالوا سعد فانتهى إلى قولهم فأرسل اليه فقدم عليه فأمره على حرب العراق

(وصية عمر لسعد بن أبى وقاص)

قال عمر رضى الله عنه يوصى سعدا :

«ياسعد . سعدبنى وهيب لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله عزوجل لايمحو السىء بالسىء ولكنه يمحوا السىء بالحسن . فان الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته .

أحد المبشرين بالجنة شهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله وأبلى يوم أحد بلاء عظيما وهو أول من أراق دما فى سبيل الله وأول من رمى بسهم فى الاسلام . وعن جابر قال أقبل سعد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هذا خالي فليرنى أمرؤ خاله» وإنما قال هذا لأن سعداً زهرى وأم رسول الله زهرية وهو ابن عمها يجتمعان فى عبد مناف وأهل الأم أخوال وكان مجاب الدعوة وكان الناس يعلمون ذلك منه ويخافون دعاءه . ورمى سعد يوم أحد ألف سهم . وتوفى سعد سنه ٥٥هـ وكان آدم قصيراً أفطس وتوفى بالعقيق على سبعة أميال من المدينة وكان آخر المهاجرين موتاً

فالناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء . الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة فانظر الأمر الذى رأيت النبي صلى الله عليه وسلم عليه منذ بعث إلى أن فارقنا فالزمه فانه الأمر . هذه عظتى إياك . إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين »

ولما أراد أن يسرحه دعاه وقال له :

« إني قد وليتك حرب العراق فاحفظ وصيتى فانك تقدم على أمر شديد كربه لا يخلص منه إلا الحق . فعود نفسك ومن معك الخير واستفتح به . واعلم أن لكل عادة عتادا فعتاد الخير الصبر . فالصبر الصبر على ما أصابك أو نابك يجتمع لك خشية الله . واعلم أن خشية الله تجتمع فى أمرين ، فى طاعته واجتناب معصيته . وإنما طاعة من أطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة . وعصاه من عصاه بحب الدنيا وبغض الآخرة . وللقلوب حقائق ينشئها الله إنشاء منها السر ومنها العلانية . فأما العلانية فان يكون حامده وذامه فى الحق سواء . وأما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه وبمحبة الناس فلا تزهد فى التحبب فان النبيين قد سألوا محبتهم . وإن الله إذا أحب عبدا حببه وإذا أبغض عبدا بغضه . فاعتبر منزلتك عند الله تعالى بمنزلتك عند الناس ممن يشرع معك فى أمرك »

كان سن سعد بن أبى وقاص حين سار إلى العراق أربعين سنة وقد سار معه إلى العراق من المدينة ٤٠٠٠ مقاتل وكان عمر كلما

وفد عليه جيش سيره للانضمام إلى سعد ومن الذين انضموا إليه طليحة الذى كان تنبأ ثم أسلم وعمرو بن معدى كرب والأشعث وعلى ذلك وجد سعد نفسه قائد جيش كبير يبلغ نحو ٣٥٠٠٠ وهو أعظم جيش وجه لقتال الفرس وإليك بيان الجيش مع ذكر القبائل :

(١) ٤٠٠٠ الجيش الذى خرج مع سعد من المدينة منهم:

٣٠٠٠ يمانى

١٠٠٠ من سائر الناس

(٢) ١١٠٠٠ الجيش الذى انضم إلى سعد بعد خروجه من المدينة وهم كما يأتى :

٢٠٠٠ يمانى

٢٠٠٠ نجدى

٣٠٠٠ تميمى

١٠٠٠ ربّى

٣٠٠٠ من بنى أسد ليكونوا بين سعد والمثنى

(٣) ٢٠٠٠٠ جيوش المثنى منهم :

٦٠٠٠ من بكر وائل

٢٠٠٠ من سائر ربيعة

٤٠٠٠ انتخبوا بعد أن ترك خالد المثنى

٤٠٠٠	ممن بقى يوم الجسر
٢٠٠٠	من أهل اليمن من بجيلة
٢٠٠٠	من قضاعة وطىء
٣٥٠٠٠	المجموع

(ملحوظة) : كان أهل اليمن ينزعون إلى الشام وكانت مضر تنزع إلى العراق وكانت ربيعة أجرأ على أهل فارس وكان المسلمون يسمونهم ربيعة الأسد إلى ربيعة الفرس وكانت العرب فى جاهليتها تسمى فارس الأسد والروم الأسد

وفاة المثنى

شهر صفر ١٤هـ إبريل سنة ٦٣٥م

قبل أن يصل سعد إلى العراق مات المثنى من الجرح الذى أصابه بموقعة الجسر

وقد كان المثنى من أعظم أبطال الاسلام فهو الذى اهتم بفتح الفرس وحرض المسلمين على حربهم وهون عليهم أمرهم وكان يفاوض أبا بكر وعمر ويحثهما على إرسال المدد ويجند ما استطاع من القبائل العربية المجاورة حتى حاربت معه القبائل المسيحية دفاعا عن العربية . وكان فارسا مقداما مدربا ذكيا حاضر البديهة خبيراً بخطط العراق ومواقع البلاد منتهزاً للفرص صبورا ولم يداخله اليأس فى موقعة من المواقع حتى بعد رحيل خالد بن الوليد إلى الشام

وأخذه نصف الجيش منه وبعد فرار المسلمين من حوله إلى المدينة ولقد أظهر إخلاصا نادراً وتضحية عجيبة ونكرانا للذات . فلم يخالف أمر رسول الله ولا أمر أبى بكر ولا عمر بل كان مطيعا لهم منفذا لأوامرهم بدقة فى جميع حروبه وتصرفاته ولم يطمع فى الغنائم . كذلك كان مطيعا لخالد بن الوليد فحارب معه جنبا إلى جنب كأصدق صديق له من غير أن يبدو منه اعتراض عليه ولم تقدم فى حقه أى شكوى إلى الخليفة ولم تغره الدنيا فكان عفيفا كما كان شجاعا كذلك لم يحسد أحدا ولم يعترض على تولية غيره من القواد كأبى عبيد بل يشد أزرهم ويجمع لهم ويحث القبائل المجاورة على قتال الفرس ولم يرتكب المظالم التى يرتكبها القواد عادة وكان خطيبا فصيحا مؤثرا وإذا أخطأ مرة فى خطة من خططه اعترف فى الحال بخطئه وحذر القوم من الوقوع فى مثلها وكان فوق ذلك صالحا . ولولا شجاعته وثباته لفنى المسلمون عن آخرهم فى موقعة الجسر . ولا شك مطلقا فى أن المثنى يعد من أعظم قواد الدنيا وان العالم الاسلامى يعترف بجهاده وحسن بلائه فى سبيل الله وجهوده المتواصلة فى قتال العدو . فقد كانت حياته وقفا على الجهاد . فرحم الله المثنى واسكنه فسيح جناته

وصية المثنى إلى سعد بن ابى وقاص

كان المثنى قد استخلف على الناس بشير بن الخصاصية وهو يومئذ بزرود[1] وكان المعنى بعد موت أخيه المثنى قدسار إلى قابوس ابن قابوس بن المنذر بالقادسيه لقتاله لأن الفرس كانوا قد بعثوا قابوس ليستنفر بنى بكر .ثم رجع المعنى إلى سعد بوصية المثنى وكان قد أوصى بها وأمره أن يعجلها على سعد بزرود فلم يفرغ لذلك إذ شغله قابوس فلقيه بشراف وكانت وصية المثنى لسعد أن لا يقاتل عدوه وعدوهم (يعنى المسلمين من أهل فارس) إذا استجمع أمرهم وملأهم فى عقر دارهم وأن يقاتلوهم على حدود أرضهم على أدنى حجر من أرض العرب وأن يقاتلوهم بعقر دارهم فان يظهر الله المسلمين فلهم ما وراءهم وإن كانت الأخرى رجعوا إلى فيئة ثم يكونوا أعلم بسبيلهم وأجرأ على أرضهم إلى أن يرد الله الكرة عليهم

فلما انتهى إلى سعد رأى المثنى ووصيته ترحم عليه وأمّر المعنى على عمله وأوصى بأهل بيته خيراً ، وخطب سلمى زوجة المثنى وتزوجها

---

(١) زرود أى بلوع والزرود البلع ولعلها سميت بذلك لابتلاعها المياه التى تمطرها السحائب لأنها رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة

ترتيب جيوش المسلمين

لما نزل سعد بشراف كتب إلى عمر بمنزله ومنازل الناس فيما بين غضى إلى الجبانة فكتب اليه عمر:

« إذا جاءك كتابى هذا فعشر الناس وعرف عليهم وأمّر على أجنادهم وعبهم ومر رؤساء المسلمين فليشهدوا وقدرهم ثم وجههم إلى أصحابهم وواعدهم القادسية واضمم اليك المغيرة بن شعبة[1] فى خيله واكتب إلى بالذى يستقر اليه أمرهم »

فبعث سعد إلى المغيرة فانضم اليه وإلى رؤساء القبائل فاتوه فقدر الناس وعبأهم بشراف وأمر أمراء الاجناد وعرّف العرفاء فعرّف على كل عشرة رجلا وأمر على الرايات رجلا من أهل السابقة وأمر على الأعشار رجالا لهم وسائل فى الاسلام وولى الحروب رجالا فجعل على المقدمة زهرة بن عبد الله واستعمل على الميمنة عبد الله بن المعتم وعلى الميسرة شرحبيل بن السمط وعلى الساقة عاصم بن عمرو التميمى وعلى الطلائع سواد بن مالك التميمى وعلى المجردة سلمان بن ربيعة الباهلى وعلى الرجل (المشاة) حمّال بن مالك الأسدى وعلى الركبان عبد الله بن ذى السهمين الخثعمى

(١) المغيرة بن شعبة الصحابى أسلم عام الخندق وكان موصوفا بالدهاء والحلم. شهد الحديبية مع رسول الله وله فى صلحها كلام معروف مع عروة ابن مسعود. توفى بالكوفة سنة ٥٠ هـ وهو أول من وضع ديوان البصرة

وجعل خليفته خالد بن عُرْفُطة : فكان أمراء التعبئة يلون الأمير ويليهم أمراء الأعشار ثم أصحاب الرايات ويلى أصحاب الرايات والقواد رءوس القبائل . وجعل على قضاء الناس عبد الرحمن بن ربيعة الباهلى واليه قسمة الفىء . وجعل داعيتهم ورائدهم سلمان الفارسى

وكان معه ٩٩ ممن شهد موقعة بدر وثلاثمائة وبضعة عشر ممن كانت له صحبة فيما بين بيعة الرضوان إلى مافوق ذلك و ٣٠٠ ممن شهد الفتح و ٧٠٠ من أبناء الصحابة فكان مجموع عدد الصحابة نحو ١٤٠٠

(مراسلات عمر بن الخطاب وسعد بن أبى وقاص)

ذكرنا وصية المثنى إلى سعد وكان سعد عازماً على تنفيذها لما للمثنى من الخبرة والدراية فأتاه كتاب من عمر بن الخطاب بمثل رأى المثنى وهذا نصه :

« أما بعد فسر من شراف نحو فارس بمن معك من المسلمين وتوكل على الله واستعن به على أمرك كله واعلم فيما لديك أنك تقدم على أمة عددهم كثير وعدتهم فاضلة وبأسهم شديد وعلى بلد منيع وإن كان سهلا كؤود البحوره وفيوضه ودآدئه إلا أن توافقوا غيضاً من فيض . وإذا لقيتم أو أحداً منهم فابدأوهم الشد والضرب وإياكم والمناظرة لجموعهم ولا يخدعنكم فانهم خدعة مكرة أمرهم غير أمركم إلا أن تجادوهم وإذا انتهيت إلى القادسية . والقادسية باب فارس فى

الجاهلية وهى اجمع تلك الأبواب لمادتهم ولما يريدونه من تلك الآصُل [١] وهو منزل رغيب خصيب حصين دونه قناطر وأنهار ممتنعة فكون مسالحك [٢] على أنقابها [٣] ويكون الناس بين الحجر والمدر [٤] على حافات الحجر وحافات المدر والجراع [٥] بينهما ثم الزم مكانك فلا تبرحه فانهم إذا أحسوك أنغضتهم [٦] ورموك بجمعهم الذى يأتى على خيلهم ورجلهم وحدهم وجدهم. فان أنتم صبرتم لعدوكم واحتسبتم لقتاله ونويتم الأمانة رجوت أن تنصروا عليهم ثم لا يجتمع لكم مثلهم أبدا إلا أن يجتمعوا وليس معهم قلوبهم وإن تكن الأخرى كان الحجر فى أدباركم فانصرفتم من أدنى مدرة من أرضهم إلى أدنى حجر من أرضكم ثم كنتم عليها أجرأ وبها أعلم وكانوا عنها أجبن وبها أجهل حتى يأتى الله بالفتح عليهم ويرد لكم الكرة »

وكتب إليه أيضا باليوم الذى يرحل فيه من شراف : « فاذا كان يوم كذا وكذا فارتحل بالناس حتى تنزل فيما بين عذيب الهجانات وعذيب القوادس [٧] وشرق بالناس وغرب بهم »

---

(١) جمع اصل (٢) المسلحة قوم ذوو سلاح والمسلحة أيضاً كالثغر وفى الحديث كان أدنى مسالح فارس إلى العرب العذيب

(٣) أنقاب جمع نقب وهو الطريق وقيل الطريق الضيق فى الجبل

(٤) المدر التراب المتلبد (٥) الجراع جمع الجرعة وهى الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل وقيل هى الرملة السهلة المستوية

(٦) حركتهم (٧) العذيب تصغير عذب وهو الماء الطيب بينه

ثم قدم عليه جواب كتاب عمر :

«أما بعد فتعاهد قلبك وحادث جندك بالموعظة والنية والحسبة ومن غفل فليحدثهما . والصبر الصبر . فان المعونه تأتى من الله على قدر النية والأجر على قدر الحسبة . والحذر الحذر على من أنت عليه وما أنت بسبيله واسألوا الله العافية وأكثروا من قول لاحول ولا قوة إلا بالله واكتب إلىَّ أين بلغك جمعهم ومن رأسهم الذى يلى مصادمتكم فانه قد منعنى من بعض ما أردت الكتاب به قلة علمى بما هجمتم عليه والذى استقر عليه أمر عدوكم . فصف لنا منازل المسلمين والبلد الذى بينكم وبين المدائن صفة كأنى أنظر إليها واجعلنى من امركم على الجلية . وخف الله وارجه ولا تدل بشىء واعلم ان الله قد وعدكم . وتوكل لهذا الأمر بما لا خلف له . فاحذر ان تصرفه عنك ويستبدل بكم غيركم »

فكتب إليه سعد بصفة البلد: «ان القادسية بين الخندق والعتيق وإن ما عن يسار القادسية بحر اخضر فى جوف لاح الى الحيرة بين طريقين . فأما احدهما فعلى الظهر وأما الآخر فعلى شاطىء نهر يدعى الحضوض يطلع بمن سلكه على مابين الخورنق والحيرة وان ما عن يمين القادسية الى الولجة فيض من فيوض مياههم وان جميع من صالح المسلمين من اهل السواد قبلى ألُبٌّ [1] لأهل فارس قد

وبين القادسية أربعة أميال وكتاب عمر يدل على أن هناك عذيبين

(١) الألب ، الجمع

خفوا لهم واستعدوا لنا . وان الذى اعدوا لمصادمتنا « رستم » فى امثال له منهم . فهم يحاولون انغاضنا واقحامنا ونحن نحاول انغاضهم وابرازهم وامر الله بعد ماض وقضاؤه مسلم الى ما قدر لنا وعلينا فنسأل الله خير القضاء وخير القدر فى عافية »

فكتب اليه عمر :

« قد جاءنى كتابك وفهمته فأقم بمكانك حتى ينغض الله لك عدوك واعلم أن لها ما بعدها . فان منحك الله ادبارهم ، فلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليهم المدائن فانه خرابها إن شاء الله »

وجعل عمر يدعو لسعد خاصة ويدعون له معه وللمسلمين عامة

(ميدان القتال)

سار سعد متمهلا نحو العذيب محاذيا حدود الصحراء وهناك ترك النساء والأطفال بحماية فرقة من الفرسان وتقدم نحو القادسية فى سهل متسع يرويه الفرات ويحده من الغرب خندق سابور (وقد كان هذا الخندق في تلك الأيام غديرا) ووراءه تمتد الصحراء وهذا السهل يخترقه طريق من بلاد العرب وهناك يعبر النهر بجسر من القوارب إلى الحيرة ومن ثم الطريق إلى المدائن . هذا هو وصف ميدان القتال الذى عما قريب يبت فيه أمر الفرس . وقد سار سعد على الشاطىء الغربى وجعل مركز القيادة القديس وهى قلعة صغيرة على الغدير بعد الجسر بقليل وهناك عسكر وانتظر بفروغ صبر حركات العدو

(يزدجرد يعجل بالقتال)

كان رستم يريد الانتظار كسعد لولا رغبة الملك فى التعجيل بالقتال لأن العرب كانوا يعبرون النهر إلى الجزيرة ويوالون الاغارات ويهاجمون حصون الاشراف وقدانقضى الربيع وأتى فصل الصيف واستاق المسلمون النعم من المراعى تأديباً للقبائل الموالية للفرس ولتقديم الغذاء للجيش .فلما استغاث أهل البلادلم يعد الملك يستمع لرأى رستم بالانتظار وعول على التقدم فى الحال . وفى هذه الأثناء وكان سعد يراسل عمر بن الخطاب ويوافقه على كل شىء ويصف له القادسية

أقام سعد شهراً ينتظر حركات العدو فلما طال به الانتظار كتب إلى عمر :

« لم يوجه القوم الينا أحداً ولم يسندوا حرباً إلى أحد علمناه ومتى ما يبلغنا ذلك نكتب به واستنصر الله فانا بمنحاة دنيا عريضة دونها بأس شديد قد تقدم الينا فى الدعاء اليهم فقال ستدعون الى قوم أولى بأس شديد »

ثم لما علم سعد ان الملك ولى رستم حربه كتب بذلك الى عمر فكتب اليه عمر : « لا يكربنك ما يأتيك عنهم ولا ما يأتوك به واستعن بالله وتوكل عليه وابعث عليه رجالا من اهل المنظرة والرأى والجلد يدعونه فان الله جاعل دعاءهم توهينا لهم وفَلَجًا عليهم واكتب الىَّ فى كل يوم »

وفد المسلمين إلي يزدجرد يدعونه إلي الاسلام)

لما وصل جواب عمر الى سعد يأمره بارسال وفد الى الملك
رسل سعد نفرا منهم النعمان بن مقرّن وبُسْر بن ابى رُهم وحَمَلة بن
حُوَيّة وحنظلة بن الربيع وفرات بن حيان وعدى بن سهيل وعُطارد
ن حاجب والمغيرة بن زُرارة بن النباش الأسدى والأشعث بن
يس والحرث بن حسان وعاصم بن عمرو وعمرو بن معدى كرب
المغيرة بن شعبة والمعنى بن حارثة الى يزدجرد دعاة فخرجوا من
عسكر فقدموا على يزدجرد وتركوا رستم واستأذنوا على يزدجرد
فحبسوا واحضر وزراءه ورستم معهم واستشارهم فيما يصنع ويقوله
لهم واجمع الناس ينظرون اليهم وتحتهم خيول كلها صهال وعليهم
لبرود وبأيديهم السياط . فاذن لهم وأحضر الترجمان وقال له سلهم
ما جاء بكم وما دعاكم الى غزونا والولوع ببلادنا أمن اجل اننا تشاغلنا
عنكم اجترأتم علينا ؟ فقال النعمان بن مقرن لأصحابه « ان شئتم
تكلمت عنكم [1] ومن شاء آثرته » فقالوا بل تكلم فقال :

« ان الله رحمنا فأرسل الينا رسولا يأمرنا بالخير وينهانا عن
لشرور ووعدنا على اجابته خير الدنيا والآخرة فلم يدع قبيلة الا
وقاربه منها فرقة وتباعد عنه بها فرقة . ثم امر أن ينبذ الى من خالفه
من العرب فبدأناهم فدخلوا معه على وجهين مكره عليه فاغتبط،
وطائع اتاه فازداد فعرفنا جميعا فضل ما جاء به على الذى كنا عليه من

(١) النعمان بن مقرن كان معه لواء مزينة يوم الفتح

العداوة والضيق ثم أمرنا ان نبدأ بمن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الانصاف فنحن ندعوكم إلى ديننا وهو دين حسّن الحسن وقبح القبيح كله. فان أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه الجزاء فان أبيتم فالمناجزة. فان أجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وأقمنا عليه على أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم وإن اتقيتمونا بالجزاء (الجزية) قبلنا ومنعناكم وإلا قاتلناكم »

فتكلم يزدجرد فقال:

« إنى لا أعلم من الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عدداً ولا أسوأ ذات بين منكم. قد كنا نوكل بكم قرى الضواحى فيكفونا أمركم. لا تغزوكم فارس ولا تطمعون أن تقوموا لهم فان كان غرر لحقكم فلا يغرنكم منا وإن كان الجهد دعاكم فرضنا لكم قوتا إلى خصبكم وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكا يرفق بكم » فاسكت القوم

فقام المغيرة بن زرارة فقال:

«أيها الملك إن هؤلاء رءوس العرب ووجوههم وهم أشراف يستحيون من الأشراف وإنما يكرم الأشراف الأشراف. ويعظم حقوق الأشراف الأشراف ويفخم الأشراف الأشراف وليس كل ما أرسلوا به جمعوه لك ولا كل ما تكلمت به أجابوك عليه وقد أحسنوا ولا يحسن بمثلهم إلا ذلك فجاوبنى لا كون الذى أبلغك ويشهدون على ذلك إنك قد وصفتنا صفة لم تكن بها عالما. فأما

ماذكرت من سوء الحال فما كان أسوأ حالا منا.وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع . كنانأكل الخنافس والجعلان [١] والعقارب والحيات فنرى ذلك طعامنا . وأما المنازل فانما هي ظهر الأرض ولانلبس إلاما غزلنامن أوبار الابل وأشعار الغنم .ديننا أن يقتل بعضنا بعضا ويغير بعضنا على بعض وإن كان أحدنا ليدفن ابنته وهي حية كراهية أن تأكل من طعامنا . فكانت حالنا قبل اليوم على ماذكرت لك . فبعث الله الينا رجلا معروفا نعرف نسبه ونعرف وجهه ومولده . فأرضه خير أرضنا .وحسبه خير أحسابنا وبيته أعظم بيوتنا و قبيلته خير قبيلتنا وهو بنفسه كان خيرنا في الحال التي كنا فيها أصدقنا وأحلمنا فدعانا إلى أمر فلم يجبه أحد أول من ترب كان له وكان الخليفة من بعده . فقال وقلنا وصدق وكذبنا وزاد ونقصنا فلم يقل شيئا إلا كان فقذف الله في قلوبنا التصديق له واتباعه فصار فيما بيننا وبين رب العالمين .فما قال لنا فهو قول الله وما أمرنا فهو أمر الله. فقال لنا إن ربكم يقول إني أنا الله وحدي لاشريك لي. كنت إذ لم يكن شيء وكل شيء هالك إلا وجهي وأنا خلقت كل شيء وإليّ يصير كل شيء وإن رحمتي أدركتكم فبعثت اليكم هذا الرجل لأدلكم على السبيل التي أنجيكم بعد الموت من عذابي ولأحلكم داري دار السلام فنشهد عليه أنه جاء بالحق من عند الحق . وقال من تابعكم على هذا فله ما لكم وعليه ما عليكم . ومن أبى فاعرضوا عليه الجزية ثم امنعوه مما

(١) الجِعلان جمع جُعَل وهو الحرباء.

تمنعون منه أنفسكم ومن أبى فقاتلوه فأنا الحكم بينكم فمن قُتل منكم أدخلته جنتى ومن بقى أعقبته النصر على من ناوأه فاختر إن شئت الجزية عن يد وأنت صاغر وإن شئت فالسيف أو تسلم فتنجى نفسك»

فقال : أتستقبلنى بمثل هذا ! ؟ فقال :

« مااستقبلت الا من كلمنى ولو كلمنى غيرك لم أستقبلك به» فقال «لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم لاشىء لكم عندى» ثم أستدعى بوقر من تراب[1] فقال« إحملوه على أشرف هؤلاء ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن . ارجعوا إلى صاحبكم فاعلموه انى مرسل اليه رستم حتى يدفنه ويدفنكم معه فى خندق القادسية ثم أورده بلادكم حتى أشغلكم بأنفسكم بأشد مما نالكم من سابور» فقام عاصم بن عمرو ليأخذ التراب وقال أنا أشرفهم أنا سيدهؤلاء فحمله على عنقه وخرج إلى راحلته فركبها وأخذ التراب وقال لسعد أبشر فوالله لقد اعطانا الله اقاليد ملكهم

(مسير جيش رستم)

رمضان سنة ١٤ﻫ اكتوبر سنة ٦٣٥ م

لم يعد رستم ينتظر بعد ذلك فجمع جيشا يبلغ ١٢٠٠٠٠ ومعهم الفيلة ومع ذلك سار متمهلا ثم عبر الفرات بالقرب من بابل

(١) الوقر بالكسر حمل البغل أو الحمار ويستعمل فى البعير

وتقدم نحو الحيرة إلى أن صار بمرأى من جيش المسلمين وعسكر على الشاطىء المقابل واستعمل رستم على ميمنته الهرمزان وعلى ميسرته مهران بن بهرام الرازى وعلى ساقته البيرزان ودعا رستم اهل الحيرة فقال «ياأعداء الله فرحتم بدخول العرب علينا بلادنا وكنتم عيوناً لهم علينا وقويتموهم بالأموال» فاتقوه بابن بُقَيْلة وقالوا له كن انت الذى تكلمه فتقدم فقال:

«اما انت وقولك انا فرحنا بمجيئهم .فماذا فعلوا ؟ وبأى ذلك من امورهم نفرح؟ انهم ليزعمون أنا عبيد لهم وماهم على ديننا وانهم ليشهدون علينا انا من اهل النار واما قولك انا كنا عيونا لهم فما الذى يحوجهم الى ان نكون عيونا لهم وقد هرب اصحابكم منهم وخلوا لهم القرى فليس يمنعهم أحد من وجه أرادوه إن شاءوا أخذوا يمينا أو شمالا وأما قولك إنا قويناهم بالأموال فانا صانعناهم بالأموال عن أنفسنا إذ لم تمنعونا مخافة ان نُسْبي وأن نحرب وتقتل مقاتلتنا وقد عجز منهم من لقيهم منكم فكنا نحن أعجز ولعمرى لأنتم أحب الينا منهم وأحسن عندنا بلاء فامنعونا منهم نكن لكم أعواناً فانما نحن بمنزلة علوج السواد عبيد من غلب» فقال رستم صدقكم الرجل

(سعد يمنع جيشه من القتال)

إضطر المسلمون أن يظلوا مدة طويلة فى العراق بلا قتال بالرغم منهم تنفيذاً لأوامر سعد ماعدا بعض سرايا صغيرة أرسلها سعد

ورستم بالنجف والجالينوس (القائد الفارسى) بين النجف والسَّيْلَحين [١] فطافت فى السواد فبعث سواداً وحُميضة فى مائة مائة فأغاروا على النهرين وبلغ رستم الخبر فأرسل اليهم خيلا وسمع سعد أن جيله قد وغلت فأرسل عاصم بن عمرو وجابراً الأسدى فى آثارهم فلقيهم عاصم وخيل فارس تحوشهم ليخلصوا ما بأيديهم فلما رأته الفرس هربوا ورجع المسلمون بالغنائم وأرسل سعد عمرو بن معدى كرب وطليحة الاسدى فاما طليحة فأمره بعسكر رستم وأما عمرو فأمره بعسكر الجالينوس . فخرج طليحة وحده وخرج عمرو فى عدة فبعث قيس بن هبيرة فى آثارهما فقال إن لقيت قتيلا فانت عليهم وأراد إذلال طليحة لمعصيته. وأما عمرو فقد أطاعه فخرج حتى تلقى عمراً فسأله عن طليحة فقال لا علم لى به فلما انتهيا إلى النجف من قبل الجوف ، قال له قيس ماتريد ؟ قال أريد أن أغير على أدني عسكرهم . قال فى هؤلاء .قال نعم .قال لاأدعك والله وذاك .أتعرض المسلمين لمالا يطيقون . قال وما أنت وذاك ؟ قال إنى أمرت عليك ولو لم أكن أميراً لم أدعك وذاك وشهد له الأسود بن يزيد فى نفر إن سعداً قد استعمله عليك وعلى طليحه إذا اجتمعتم فقال عمرو والله ياقيس إن زماناً تكون على فيه أميراً لزمان سوء لأن أرجع عن دينكم هذا الى دينى الذى كنت عليه وأقاتل عليه حتى أموت أحب الى من أن تتأمر علىَّ ثانية .وقال لئن عاد صاحبك الذى بعثك

---

(١) النجف بالكوفة والسيلحين قرب الحيرة ضاربة فى البر قرب القادسية

لمثلها لنفارقنه . قال ذاك اليك بعد مرتك هذه فرده فرجعا الى سعد بالنجر وشكا كل واحد منها صاحبه . فقال سعد ياعمرو الخبر والسلامة أحب الىَّ من مصاب مائة بقتل الف . أتعمد الى حلبة فارس فتصادمهم بمائة ان كنت لأراك أعلم بالحرب مما أرى . فقال ان الأمر لـكما

(جرأة طليحه)

خرج طليحة حتى دخل عسكرهم فى ليلة مقمرة فتوسم فيه فهتك اطناب بيت رجل عليه واقتاد فرسه . ثم خرج حتى مر بعسكر ذى الحاجب فهتك على رجل آخر بيته وحل فرسه . ثم دخل على الجالينوس عسكره فهتك على آخر بيت وحل فرسه . ثم خرج حتى أتى الخرارة (موضع قرب الكوفة) وخرج الذى كان بالنجف والذى كان فى عسكر ذى الحاجب فاتبعه الذى كان فى عسكر الجالينوس فكان أولهم لحاقابه الجالينوس ثم الحاجبى ثم النجفى فأصاب الأولين واسر الآخر واتى به سعداً فاخبره واسلم فسماه سعد مسلماً ولزم طليحة فكان معه فى تلك المغازى كلها

(رستم يحاول منع القتال)

كان رستم شجاعا وفارسا مقداما وكان منجما فرأى طالع الفرس منحوسا وعلم ان نعيمهم عاد بوساً فكتب كتابا الى اخيه مشحوناً بالأسف والحزن وهذا نصه نقلا عن كتاب الشاهنامة ترجمة الدكتور عبد الوهاب عزام جزء ٢ ص ٢٦٥ — ٢٦٦

«إنى نظرت فى أسرار الكواكب واستشففت أستار العواقب فرأيت بيت ملك الساسانية خاليا ، ورسم سلطانهم عافيا ، واتفقت الشمس والقمر والزهرة فى طالع العرب فلن يروا سوى الخير والعلاء وأما من جانبنا فقد صار الميزان خاليا فلسنا نرى غير العناء والشقاء ولقد امعنت النظر وبين ايدينا امر عظيم وخطب جسيم والأولى أن أوثر السكوت وأوّض الأمر إلى مالك الملك والملكوت» وقال فى كتابه «وان الرسل تختلف بيننا وبينهم وهم يلتمسون أن نقاسمهم الأرض فيكون لهم ماوراء الفرات ويكون لنا ما دونه على أن نفتح لهم الطريق إلى السوق حتى يدخلوا اليها ويتسوقوا. هذا قولهم وياليته وافقه فعلهم ثم أنه يجرى كل يوم وقعة يهلك فيها خلق من الايرانيين والذين معى منهم قوم مغترون بشجاعتهم ورجوليتهم ووفورة عددهم وعددهم . ومستصغرون أمر العدو القادر ،ولا يدرون سر الفلك الدائر. فاذا وقفت على كتابي هذا فاجمع أموالك وخزائنك وخيلك ورجلك وانهض إلى آذربيجان واعتصم بتلك البلاد. واشرح لأمى حالى وسلها الدعاء فاني واصحابى فى عناء وتعب وهم وأسف وأنا أعلم أني لا أسلم بالآخرة من هذه الوقعة ثم عليك بحفظ الملك فانه لم يبق من هذه الشجرة أحد سواه[1]»

هذا خطاب رستم إلى أخيه قبل ان يشتبك الجيشان فى الحرب وهو يؤيد ما جاء فى المصادر العربية التى نعوّل عليها مثل الطبرى

(١) يريد بالملك يزدجرد فانه آخر ملوك العجم

وابن الأثير من أنه فاوض المسلمين وخاطبهم مراراً محاولا منع وقوع الحرب ومن هذا الخطاب الفارسى المصدر يتبين أنه كان يتوقع انتصار العرب وهزيمة الفرس .كان هذا رأى رستم قائدهم الأعظم مع أنه كان تحت قيادته ١٢٠،٠٠٠ مقاتل مجهزين بالفيلة والخيول والسيوف والنبال والخوذ ومعهم المؤن الوافرة والأموال الطائلة وليس لدى المسلمين غير ٣٥٠٠٠ رجل تحت قيادة سعد بن أبى وقاص ولم تـكن مؤنهم متوفرة ولذا اضطروا أن يغيروا على القبائل هناك للاستيلاء على الماشية لتموين الجيش ومع ذلك كان رستم يتوقع هزيمة وينصح لأخيه بالالتجاء إلى آذربيجان ولذلك حاول إقناع المسلمين بالكف عن القتال فذكر لهم سوءحالهم وقلة عددهم وعددهم وأظهر لهم حسن حال الفرس وماهم فيه من عز وسلطان فلم يفلح لسببين :

أولا . لأن يزدجرد كان يعجل بالقتال لأن الفرس اختاروه ملكا لأن أشراف الفرس خشوا من سقوط المملكة فى أيدى العرب فولوه لقتالهم . أضف إلى ذلك استغاثة القبائل الموالية للفرس ومن جراء غارات المسلمين وكانت العاصمة مهددة ورغبة الأشراف شديدة فى القتال لصد المسلمين والانتقام منهم وكانوا مغترين بشجاعتهم وكثرة عددهم ويرون أنهم أرقى من العرب فكانوا يعيرونهم بسوء الحـال وشظف العيش وجدب البلاد ورثاثة الثياب الخ

ثانيا . لأن المسلمين لم يكونوا يبغون الفتح لأجل الفتح بل كانوا

يحاربون فى سبيل الله . وكانوا يعتقدون أن من قُتل منهم دخل الجنة فعرضوا على رستم واحداً من ثلاثة أمور إما الاسلام أو الجزية أو القتال ورفضوا ما دون ذلك من العطايا والمنح والوعود

وإنا هنا نذكر ما كان بين رستم والمسلمين من المفاوضات فى شأن الصلح فقد ذكروا أنه لما نزل رستم على العتيق وبات وأصبح غاديا تامل القوم حتى أتى على شيء يشرف منه على جيش المسلمين فلما وقف على القنطرة راسل زهرة فخرج اليه حتى واقفه فاراده على أن يصالحهم ويجعل له جُعلا على ان ينصرفوا عنه وجعل يقول : «أنتم جيراننا وقد كانت طائفة منكم فى سلطاننا فكنا نحسن جوارهم ونكف الأذى عنهم ونوليهم المرافق الكثيرة ونحفظهم فى أهل باديتهم فنرعيهم مراعينا ونميرهم من بلادنا ولا نمنعهم من التجارة فى شيء من أرضنا وقد كان لهم فى ذلك معاش» يعرض لهم بالصلح وإنما يخبر بصنيعهم والصلح يريد ولا يصرح

فقال له زهرة : «صدقت : قد كان ما تذكر وليس أمرنا أمر أولئك . ولا طلبتنا طلبتهم . إنا لم نأتكم لطلب الدنيا . إنما طلبتنا وهمتنا الآخرة . كنا كما ذكرت يدين لكم من ورد عليكم منا ويضرع اليكم يطلب ما فى أيديكم . ثم بعث الله تبارك وتعالى الينا رسولا فدعانا إلى ربه فأجبناه . فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم إنى قد سلطت هذه الطائفة على من لم يدن بدينى . فانا منتقم بهم منهم واجعل لهم الغلبة ماداموا مقرين به وهو دين الحق . لا يرغب عنه أحد إلا ذل

ولا يعتصم به أحد إلا عز

فقال له رستم : « وما هو ؟ »

قال : « أما عموده الذى لا يصلح منه شيء إلا به ، فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول . والاقرار بما جاء من عند الله تعالى »

قال : « ما أحسن هذا . وأى شيء أيضا ؟ »

قال : « وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله تعالى »

قال : « حسن . وأى شيء ايضا ؟ » قال : « والناس بنو آدم وحواء إخوة لأب وأم » قال : «ما احسن هذا » ثم قال له رستم :

« أرأيت لو أنى رضيت بهذا الأمر واجبتكم اليه ومعى قومى كيف يكون أمركم . أترجعون ؟ قال : اى والله ثم لا نقرب بلادكم ابداً إلا فى تجارة أو حاجة » قال : «صدقتنى والله أما إن اهل فارس منذ ولى اردشير لم يدعوا أحدا يخرج من عمله من السفلة كانوا يقولون إذا خرجوا من اعمالهم تعدوا طورهم وعادوا أشرافهم » فقال له زهرة : « نحن خير الناس للناس فلا نستطيع ان نكون كما تقولون نطيع الله فى السفلة ولا يضرنا من عصى الله فينا »

فانصرف عنه ودعا رجال فارس فذاكرهم هذا فحموا من ذلك وأنفوا

وارسل سعد اليه رِبْعِيّ بن عامر فاستعدوا للقائه وبسطوا البسط ووضع لرستم سرير من الذهب وألبس زينته من الانماط (١)

(١) الأنماط جمع نمط ثوب من صوف ذو لون من الألون ولا يكاد يقال للأبيض نمط

والوسائد المنسوجة بالذهب وأقبل ربعى يسير على فرس له ومعه سيف ومعه قوسه ونبله ولرأسه أربع ضفائر وهو رث الثياب. فقالوا له دع سلاحك. فأذن له رستم فأقبل يتوكأ على رمحه وزُجه نصل يقارب الخطو ويزج النمارق والبسط فما ترك لهم نمرقة ولا بساطا إلا أفسده وتركه متهتكا مخرقا. فلما دنا من رستم تعلق به الحرس وجلس على الأرض وركز رمحه بالبسط. فقالوا ما حملك على هذا؟ قال إنالا نستحب القعود على زينتكم هذه. فكلمه. فقال ما جاء بكم؟ قال الله ابتعثنا والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الاسلام. فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه. فمن قبل منا ذلك، قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه يليها دوننا. ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضى إلىموعود الله»

قال «وما موعود الله؟» قال: «الجنة لمن مات على قتال من أبى والظفر لمن بقى»

قال رستم: «قد سمعت مقالتكم. فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا؟» قال «نعم كم أحب إليكم أيوما أو يومين؟» قال: «لا بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا» وأراد مقاربته ومدافعته فقال «إن مما سن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل به أئمتنا أن لا نمكن الأعداء من آذاننا ولا نؤجلهم عند اللقاء أكثر من ثلاث فنحن مترددون عنكم ثلاثا فانظر فى

أمرك وأمرهم واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل . اختر الاسلام وندعك وأرضك أو الجزاء (الجزية) ونكف عنك وإن كنت عن نصرنا غنيا تركناك منه وإن كنت إليه محتاجا منعناك أو المنابذة فى اليوم الرابع ولسنا نبدأك فيما بيننا وبين اليوم الرابع إلا أن تبدأنا أنا كفيل بذلك على أصحابى وعلى جميع من ترى » قال : « أسيدهم أنت ؟ » قال : « لا ولكن المسلمين كالجسد بعضهم من بعض يجير أدناهم على أعلاهم [١] »

فخلص رستم برؤساء أهل فارس . فقال ما ترون ؟ هل رأيتم كلاما قط أوضح ولا أعز من كلام هذا الرجل ، قالوا معاذ الله لك إلى أن تميل إلى شيء من هذا وتدع دينك . أما ترى إلى ثيابه ؟

فقال ويحكم لا تنظروا إلى الثياب ولكن انظروا إلى الرأى والكلام والسيرة . إن العرب تستخف باللباس والمأكل ويصونون الأحساب . ليسوا مثلكم فى اللباس ولا يرون فيه ماترون

ولما انتهى الأجل بعثوا أن ابعث إلينا ذلك الرجل فبعث إليهم سعد حذيفة بن محصن فتكلم بمثل ما كلمه زهرة . ثم عادوا وطلبوا رجلا فأرسل سعد المغيرة بن شعبة فعرض عليه رستم أن يعطى أمير المسلمين كسوة وبغلا وألف درهم ولكل رجل وقر تمر وثوبين على أن ينصرفوا عن الفرس فأبى المغيرة وانصرف وحاول رستم أن يقنع رؤساء الفرس بالكف عن الحرب فازدادوا لجاجة . وكان

(١) راجع تاريخ الطبرى

ترجمان رستم من أهل الحيرة يدعى عبود

(الفرس يعبرون النهر)

لما انقضى الأجل، قال رستم أتعبرون إلينا أم نعبر إليكم؟ فقالوا بل اعبروا إلينا فخرجوا من عنده ليلا وأرسل سعد إلى الناس أن يقفوا مواقفهم وأرسل إليهم شأنكم والعبور فأرادوا القنطرة فأرسل إليهم. لا ولا كرامة. أما شيء قدغلبناكم عليه فلن نرده عليكم تكلفوا معبراً غير القناطر. فباتوا يسدون العتيق بحيال قادس حتى الصباح بالقاء الأخشاب والتراب والبراذع حتى جعلوه طريقا لهم فعبروا بأثقالهم حتى نزلوا على ضفة العتيق. ثم لبس رستم درعين ومغفرا واخذ سلاحه وامر بفرسه فأسرج فأتى به فوثب فاذا هو عليه لم يمسه ولم يضع رجله فى الركاب ثم قال «غداً ندقهم دقاً» فقال له رجل إن شاء الله. فقال وإن لم يشأ

(الاستعداد للحرب)

لما عبر أهل فارس أخذوا مصافهم وجلس رستم على سريره وضرب عليه طيارة وعبر فى القلب ١٨ فيلا عليها الصناديق والرجال. وفى المجنبتين ثمانية وسبعة عليها الصناديق والرجال. واقام الجالينوس بينه وبين ميمنته والبيرزان بينه وبين ميسرته وبقيت القنطرة بين خيلين من خيول المسلمين وخيول المشركين وكان يزدجرد وضع رجلا على باب إيوانه إذ سرح رستم وامره بلزومه وإخباره حيث يسمعه من الدار وآخر خارج الدار وكذلك على كل دعوة رجلا.

فلما نزل رستم قال الذى بساباط قد نزل فقاله له الآخر حتى قاله
الذى على باب الايوان وجعل على كل مرحلتين على كل دعوة رجلا
فكلما نزل وارتحل او حدث امر قاله فقاله الذى يليه حتى يقولهالذى
يلى باب الايوان . فنظم ما بين العتيق والمدائن رجالا وترك البُرُد
وكان ذلك هو الشأن

واخذ المسلمون مصافهم وجُعل زهرة وعاصم بين عبد الله
وشرحبيل ووكل صاحب الطلائع بالطراد وخلط بين الناس فى
القلب والجنبات ونادى مناديه « ألا إن الحسد لايحل إلا على الجهاد
فى امر الله . ياايها الناس فتحاسدوا وتغايروا على الجهاد »

(مرض سعد)

كان بسعد دمامل وعرق النسى [١] فلا يستطيع أن يركب ولا
يجلس فاشرف على الناس من القصر (الحصن) وفى صدره وسادة
أكب عليها واخذ يرمى بالرقاع فيها امره ونهيه الى خالد بن عُرْفُطة
وهو اسفل منه وكان الصف الى جنب القصر وكان خالد كالخليفة
لسعد لولم يكن سعد شاهدا مشرفا فعاب، عليه قوم لأنهم لم يعتادوا
رؤية القائد بمكان أمين فنزل الى الناس واعتذر اليهم وأراهم مابه
من القروح فى فخذيه واليتيه فعذره الناس ولم يشكوا فى شجاعته .
ثم اخذ نفرا ممن شغب عليه فحبسهم وقيدهم فى القصر

(١) النسى مثل الحصى عرق فى الفخذ وعرق النسى مرض معروف
يعترى الفخذ

(خطبة سعد)

قال سعد بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« إن الله هو الحق لا شريك له فى الملك وليس لقوله خلف . قال الله جل ثناؤه (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر إن الأرض يرثها عبادى الصالحون) إن هذا ميراثكم وموعود ربكم وقد أباحها لكم منذ ثلاث حجج فانتم تطعمون منها وتأكلون منها وتقتلون أهلها وتجبونهم وتسبونهم إلى هذا اليوم بما نال منهم أصحاب الأيام منكم وقد جاءكم منهم هذا الجمع وأنتم وجوه العرب وأعيانهم وخيار كل قبيلة وعز من وراءكم . فان تزهدوا فى الدنيا وترغبوا فى الآخرة جمع الله لكم الدنيا والآخرة . ولا يقرب ذلك أحدا إلى أجله وأن تفشلوا وتهنوا وتضعفوا تذهب ريحكم وتوبقوا آخرتكم »

(خطبة عاصم بن عمرو)

وقام عاصم بن عمرو فى المجردة فقال :

« إن هذه بلاد قد أحل الله لكم أهلها وأنتم تنالون منهم منذ ثلاث سنين ما لا ينالون منكم وأنتم الأعلون والله معكم إن صبرتم وصدقتموهم الضرب والطعن فلكم أموالهم ونساؤهم وأبناؤهم وبلادهم ، وإن خرتم وفشلتم والله لكم من ذلك جار وحافظ لم يبق هذا الجمع منكم باقية مخافة أن تعودوا عليهم بعائدة هلاك . الله . الله . اذكروا الأيام وما منحكم الله فيها أولا ترون أن الأرض وراءكم بسابس قفار ليس فيها خمر ولا وزر يعقل اليه ولا يمتنع به . اجعلوا همكم الآخرة »

وكتب سعد إلى الرايات : « أنى قد استخلفت عليكم خالد ابن عرفطة وليس يمنعنى أن أكون مكانه إلا وجعى ، فانى مكب على وجهى وشخصى لكم باد فاسمعوا له وأطيعوا فانه إنما يأمركم بأمرى ويعمل برأيى » فقرىء ذلك على الناس فزادهم خيرا وانتهوا إلى رأيه وقبلوا منه وتحاثوا على السمع والطاعة واجمعوا على عذر سعد والرضا بما صنع . وامر سعد الناس بقراءة سورة الجهاد وهى الأنفال فلما قرئت هشت قلوب الناس وعيونهم وعرفوا السكينة مع قراءتها . فلما فرغ القراء منها قال سعد « الزموا مواقفكم حتى تصلوا الظهر فاذا صليتم فانى مكبر تكبيرة . فكبروا واستعدوا فاذا سمعتم الثانية فكبروا والبسوا عدتكم ثم إذا كبرت الثالثة فكبروا ولينشط فرسانكم الناس فاذا كبرت الرابعة فازحفوا جميعا حتى تخالطوا عدوكم وقولوا لا حول ولا قوة إلا بالله »

يوم ارماث

ول يوم من موقعة القادسية

لما كبر سعد التكبيرة الثالثة برز أهل النجدات فأنشبوا القتال وخرج اليهم من الفرس أمثالهم فاعتوروا الطعن والضرب وخرج غالب بن عبد الله الأسدى وهو يقول :

قد علمت واردة المسائح ذات اللبان والبنان الواضح
إنى سمام البطل المشايح وفارج الأمر المهم الفادح

فخرج اليه هرمز وكان من ملوك الباب وكان متوجا فأسره غالب أسراً فجاء به سعداً فأدخل وانصرف غالب إلى المطاردة وخرج عاصم بن عمرو وهو يقول :

قدعلمت بيضاء صفراء اللبب مثل اللجين إذ تغشاه الذهب
انى امرؤ لامن يعينه السبب مثلى على مثلك يغريه العتب

فطارد رجلا من أهل فارس فهرب منه واتبعه حتى اذا خالط صفهم التقى بفارس معه بغلة فترك الفارس البغل واعتصم باصحابه فحموه واستاق عاصم البغل والرحل حتى افضى به إلى الصف فاذا هو خباز الملك فأتى به سعد ورجع الى موقفه ثم قتل عمرو بن معدى كرب رجلا من الأعاجم . كسر عنقه ووضع سيفه على حلقه فذبحه ثم ألقاه . ثم قال هكذا فاصنعوا بهم . فقالوا ياابا ثور من يستطيع ان يصنع كما تصنع وقيل انه اخذ سواريه ومنطقته

(الفيلة).

ثم حملت الفيلة على جيش المسلمين ففرقت الكتائب وكانت الفرس قد قصدت بنى بجيلة بسبعة عشر فيلا [1] فنفرت خيل بجيلة وكادت بجيلة تهلك لنفار خيلها عنها وعمن معها فأرسل سعد إلى بنى أسد أن دافعوا عن بجيلة وعمن معها من الناس فخرج طليحة بن خويلد وحَمّال بن مالك وغالب بن عبدالله الربيل بن عمرو فى كتائبهم

(١) اختلف فى عدد الفيلة التى وجهها الفرس إلى بجيلة فقيل ثلاثة عشر وقيل ستة عشر وقيل سبعة عشر

فباشروا الفيلة حتى عدلها ركبانها وان على كل فيل عشرين رجلا فكانت عبارة عن حصون متحركة فقال طليحة حين قام فى قومه :

« ياعشيرتاه إن المنوّه باسمه الموثوق به وان هذا لوعلم أن أحداً أحق باغاثة هؤلاء منكم استغاثهم ابتدئوهم الشدة وأقدموا عليهم إقدام الليوث الحَربة فانما سُمّيتم أسداً لتفعلوا فعله. شدوا ولا تصدوا. وكروا ولا تفروا. لله در ربيعة. أى فَرِيّ يفرون واى قِرن يغنون. هل يوصل إلى مواقفهم فأغنوا عن مواقفكم اعانكم الله شدوا عليهم باسم الله »

فمازالوا يطعنونهم ويضربونهم حتى حبسوا الفيلة عنهم فأخرت وخرج إلى طليحة عظيم منهم فبارزه فما لبثه طليحة ان قتله

وقام الأشعث بن قيس فى كندة فقال :

« يا معشر كندة لله در بنى اسد اى فرى يفرن وّأىهذ يُهذّون عن موقفهم منذ اليوم اغنى كل قوم ما يليهم وانتم تنظرون من يكفيكم البأس. اشهدما احسنتم إسوة قومكم العرب منذ اليوم وإنهم ليقتلون ويقاتلون وانتم جثاة على الركب تنظرون »

فوثب اليه عشرة منهم فقالوا : « عثر الله جدك. انك لتؤيسنا جاهدا ونحن احسن الناس موقفاً. فمن اين خذلنا قومنا العرب وأسآنا إسوتهم. فهانحن معك ». فنهد ونهدوا فأزالوا الذين بازائهم فلما رأى اهل فارس ما تلقى الفيلة من كتيبة اسد رموهم بحدهم وحملوا عليهم وفيهم ذو الحاجب والجالينوس والمسلمون ينتظرون

التكبيرة الرابعة من سعد فاجتمعت حلبة فارس على أسد ومعهم تلك الفيلة وقد ثبتوا لهم

لم يكن سعد قد كبر التكبيرة الرابعة بعد فلما كبر اجتمعت حلبة فارس على أسد ومعهم تلك الفيلة فزحف المسلمون ودارت رحى الحرب على أسد وحملت الفيلة على الميمنة والميسرة على الخيول فأرسل سعد إلى عاصم بن عمرو فقال يامعشر بنى تميم ألستم أصحاب الابل والخيل اما عندكم لهذه الفيلة من حيلة؟ قالوا بلى والله . ثم نادى فى رجال من قومه رماة وآخرين لهم ثقافة فقال لهم يامعشر الرماة ذبوا ركبان الفيلة عنهم بالنبل وقال يامعشر أهل الثقافة استدبروا الفيلة فقطعوا وُضنها (أى أحزمتها) وخرج يحميهم والرحى تدور على أسد وقد جالت الميمنة والميسرة غير بعيد . وأقبل أصحاب عاصم على الفيلة فأخذوا بأذنابها وذباذب توابيتها فقطعوا أحزمتها وارتفع عواؤهم فما بقى لهم يومئذ فيل إلا أعرى وقتل أصحابها وتقابل الناس ونُفِّس عن أسد وردوا فارساً عنهم إلى مواقفهم فاقتتلوا حتى غربت الشمس وذهبت هدأة من الليل ثم رجع هؤلاء وهؤلاء وأصيب من أسد ٥٠٠ وكانوا ردءاً للناس وكان عاصم حامية للناس وهذا اليوم الأول وهو « يوم أرماث »

(سلمى زوجة سعد توبخه)

كان سعد قد تزوج امرأة المثنى سلمى بنت حفصة بشراف فنزل بها القادسية فلما كان يوم أرماث وحارب الناس لم يكن سعد يطيق

الجلوس لمرضه كما تقدم فلما رأت سلمى زوجته ما يصنع أهل فارس قالت «وامثنياه ولا مثنى للخيل اليوم» فاغتاظ سعد ولطم وجهها وقال « أين المثنى من هذه الكتيبة التي تدور عليها الرحى ! » يعني أسدا وعاصما وخيله . فقالت « أغيرة وجبناً ! »

قال « والله لا يعذرني اليوم أحد إذا أنت لم تعذريني وأنت ترين ما بي والناس أحق ألا يعذروني » فتعلقها الناس فلما ظهر الناس لم يبق شاعر إلا اعتد بها عليه وكان غير جبان ولا ملوم لكن الناس دأبهم هكذا لا يعذرون المريض والضعيف والفقير والشيخ الفاني مع أن سعداً كانت له مواقف مشهورة في حياة رسول الله فهو أول من رمى بسهم في سبيل الله وأول من أراق دما في سبيل الله وكان يقال له فارس الاسلام وأبلى يوم أحد بلاء شديدا وكان رسول الله يقول له يوم أحد (ارم فداك أبي وأمي) وماقالها لأحد غيره ورمى يوم أحد ألف سهم

يوم أغواث

وهو اليوم الثاني

ولما أصبح القوم من الغد أصبحوا على تعبية وقد وكل سعد رجالا بنقل الشهداء إلى العذيب وأما الجرحى فسلموهم إلى النساء ليقمن عليهم ودفن الشهداء هنالك على مُشَرِّق وهو واد بين العذيب وعين الشمس . ثم طلعت نواصي الخيل من الشام وكان فتح دمشق

قبل القادسية بشهر وكان عمر بن الخطاب أرسل إلى أبي عبيدة بن الجراح بارسال أهل العراق إلى العراق فسيرهم أبو عبيدة وهم ستة آلاف، خمسة آلاف من ربيعة ومضر وألف من افناء اليمن من أهل الحجاز وامّر عليهم هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو التميمى فتعجل القعقاع فقدم على الناس صبيحة هذا اليوم وهو يوم « أغواث » وقد عهد إلى اصحابه وهم الف إن ينقسموا إلى عشرة اقسام كل مائة قسم وكل قسم فى أثر الآخر . ثم اقبل على جيش سعد وبشرهم بالجنود فقال « ياأيها الناس إني قد جئتكم فى قوم والله إن لو كانوا بمكانكم ثم احسوكم حسدوكم حظوتها وحاولوا ان يطيروا بهادونكم » ومجيء الجيش بهذه الصفة وهذا النظام كان له وقع عظيم فى نفوس الفرس والمسلمين جميعا . ثم إن القعقاع حرض الجيش على القتال وقال اصنعوا كما اصنع فتقدم ثم نادى من يبارز ؟ فقالوا فيه بقول ابى بكر « لا يهزم جيش فيهم مثل هذا » وسكنوا اليه فخرج اليه ذو الحاجب « بهمن » فقال له القعقاع « من انت ؟ » قال « انا بهمن جاذويه » فنادى « يالثأرات ابي عبيد وسليط واصحاب يوم الجسر » وتضاربا فقتله القعقاع وجعلت خيله ترد قطعا وما زالت ترد إلى الليل وتنشط الناس وكأن لم يكن بالأمس مصيبة وفرحوا بقتل بهمن وانكسرت الأعاجم ونادى القعقاع ايضا من يبارز ؟ فخرج اليه رجلان احدهما البيرزان والآخر البندوان فانضم إلى القعقاع الحارث بن ظبيان فبارز القعقاع البيرزان فقتله وقتل الحارث

البندوان ونادى القعقاع يامعاشر المسلمين باشروهم بالسيوف فانما يحصد الناس بها فتواصى الناس وتشايعوا اليهم واقتلوا حتى المساء فلم ير اهل فارس فى هذا اليوم ما يعجبهم واكثر المسلمون فيهم القتل ولم يقاتلوا فى هذا اليوم على فيل لأن توابيتها كانت قد تكسرت بالأمس فاستأنفوا اصلاحها حين اصبحوا فلم ترتفع حتى كان الغد

وحمل بنوعم للقعقاع عشرة عشرة على ابل ألبسوها وهى مجللة مبرقعة وأطافت بهم خيولهم تحميهم وامرهم القعقاع أن يحملوها على خيل الفرس يتشبهون بالفيلة ففعلوا بهم هذا اليوم كما فعلت فارس بالأمس فجعلت خيل الفرس تفر منهم وركبتها خيول المسلمين فلما رأى الناس ذلك سروا بهم فلقى الفرس من الابل اعظم ما لقى المسلمون من الفيلة

وكانت امراة من النخع لها اربعة اولاد شهدوا القادسية فقالت لهم « إنكم اسلمتم فلم تبدلوا وهاجرتم فلم تثربوا ولم تنب بكم البلاد ولم تقحمكم السنة ثم جئتم بامكم عجوز كبيرة فوضعتموها بين ايدى اهل فارس والله إنكم لبنو رجل واحد كما إنكم بنو امراة واحدة ما خنت اباكم ولافضحت خالكم انطلقوا فاشهدوا أول القتال وآخره فأقبلوا يشتدون فلما غابوا عنها رفعت يديها إلى السماء وهى تقول : « اللهم ادفع عن بنى » فرجعوا اليها وقد أحسنوا القتال ولم يجرح منهم أحد . قال الشعبي فرأيتهم بعد ذلك يأخذون ألفين ألفين من العطاء ثم يأتون أمهم فيلقونه فى حجرها فترده عليهم وتقسمه فيهم

على ما يصلحهم ويرضيهم

وخرج رجل من فارس يبارز فبرز اليه الأعرف بن الأعلم فقتله ثم برز اليه آخر فقتله وأحاطت به فوارس منهم فصرعوه وأخذوا سلاحه فغبر فى وجوههم التراب حتى رجع إلى أصحابه.

وحمل القعقاع بن عمرو يومئذ ثلاثين حملة كلما طلعت قطعة حمل حملة وأصاب فيها وجعل يرتجز ويقول:

ازعجهم عمدا بها إزعاجا أطعن طعنا صائبا ثجاجا

أرجو به من جنة أفواجا

اقتتل الجيشان إلى أن انتصف الليل فكانت ليلة أرماث تدعى ليلة الهدأة وليلة أغواث تدعى السواد — ولم يزل المسلمون يرون يوم أغواث الظفر وقتلوا فيها عامة أعوام الفرس وجالت فيه خيل القلب وثبت رجلهم

(ابو محجن الثقفى يخرج من حبسه ويقاتل)

كان أبو محجن الثقفى قد حبس وقيد فى القصر لأنه كان ممن شغب على سعد فساءه أن يظل سجينا والمسلمون يقاتلون فصعد إلى سعد وطلب اليه إن يعفو عنه فنهره فنزل فأتى سلمى زوجة سعد فقال: « ياسلمى بنت آل حفصة هل لك إلى خير؟ » قالت « وما ذاك؟ » قال « تخلين عنى وتعيريني البلقاء (الفرس) فلله علىّ أن سلمنى الله أن أرجع إليك حتى أضع رجلى فى قيدى » فقالت « وما أنا وذاك » فرجع يرسف فى قيوده ويقول:

كفى حَزَنا أن تردى الخيل بالقنا ... وأترك مشدودا علىّ وثاقيا

إذا قمت عنّانى الحديد وأغلقت ... مصاريع دونى قد تُصِمّ المناديا

وقد كنت ذا مال كثير وإخوة ... فقد تركونى واحداً لا آخا ليا

ولله عهد لا أخيس بعهــده ... لئنْ فُرِجت أن لا أزور الحوانيا

فرقت له سلمى وأطلقته وقالت : « أما الفرس فلا أعيرها .
ورجعت إلى بيتها فاقاد الفرس فاخرجها من باب القصر الذى يلى
الخندق وركبها حتى إذا كان بحال الميمنة كبر ثم حمل على ميسرة القوم
يلعب برمحه وسلاحه بين الناس وهم يعجبون منه ولا يعرفونه ورآه
سعد فقال لولا محبس ابى محجن لقلت هذا أبو محجن وهذه البلقاء
وقال بعض الناس (هذا الخضر) وقال بعضهم « لولا أن الملائكة
لا تباشر الحرب لقلنا إنه ملك يثبتنا فلما انتصف الليل وتراجع
المسلمون والفرس عن القتال اقبل أبو محجن فدخل القصر وأعاد
رجليه فى القيد وقال :

لقد علمت ثقيف غير فخر ... بأنا نحــن أكرمهم سيوفا

وأكثرهم دروعا سابغات ... واصبرهم إذا كرهوا الوقوفا

وانا وفــدهم فى كل يوم ... فإن عميوا فسل بهم عريفا

وليلة قادس لم يشعروابي ... ولم أشعر بمخرجى الزحوفا

فان احبس فذلكم بلائي ... وان اترك أذيقهم الحتوفا

فقالت له سلمى يا أبا محجن فى أى شىء حبسك ذلك الرجل
(تعنى سعداً) قال أم والله ماحبسنى بحرام اكلته ولا شربته ولكنى

كنت صاحب شراب فى الجاهلية وانا امرؤ شاعر يدب الشعر على لسانى يبعثه على شفتى أحيانا فيساء لذلك ثنائى ولذلك حبسنى قلت :

إذا مت فادفنى إلى أصل كرمة ... تُروِّى عظامى بعد موت عروقها
ولا تدفننى بالفلاة فاننى ... أخاف إذا مامت أن لا أذوقها
وتروى بخمر الحص لحدى فاننى ... اسير لها من بعد ماقد أسوقها

وقد إختلف فى سبب حبس أبى محجن فقيل إنه كان ممن شغب على سعد فحبس وقيل انه حبس بسبب الخمر

وبلغ عدد القتلى والجرحى من المسلمين ٢٠٠٠ ومن الفرس ١٠٠٠٠ فى يوم أغواث

ولم تزل سلمى مغاضبة لسعد عشية أرماث وليلة الهدأة وليلة السواد حتى إذا أصبحت اتته وصالحته وأخبرته خبرها وخبر أبى محجن فدعا به واطلقه وقال «إذهب فما أنا مؤاخذك بشىء تقوله حتى تفعله» قال لا جرم والله لا أجيب لسانى إلى صفة قبيح أبدا»

يوم عِماس

وهو اليوم الثالث

أخذ المسلمون فى اليوم الثالث ينقلون قتلاهم إلى المقابر والجرحى إلى النساء وكان النساء والصبيان يحفرون القبور وكان على الشهداء حاجب بن زيد وقال سعد من شاء غسل الشهداء ومن شاء فليدفنهم بدمائهم

أما قتلى المشركين فتركوا ولم ينقلوا وبات القعقاع تلك الليلة يسرب أصحابه إلى المكان الذى فارقهم فيه وقال إذا طلعت الشمس فاقبلوا مائة مائة فان جاء هاشم فذاك وإلا جددتم للناس رجاء وجداً ولا يشعر به أحد وأصبح الناس على مواقفهم فلما طلعت الشمس أقبل أصحاب القعقاع فحين رآهم كبر وكبر المسلمون وقالوا جاء المدد واختلفوا الضرب والطعن فما جاء آخر أصحاب القعقاع حتى انتهى اليهم هاشم وقد طلعوا فى سبعمائة فأخبروه برأى القعقاع وما صنع فى يوميه ، فعبى أصحابه سبعين سبعين وكان فيهم قيس بن هبيرة بن عبد يغوث المعروف بقيس بن المكشوح المرادى ولم يكن من أهل الأيام إنما كان باليرموك فانتدب مع هاشم حتى إذا خالط القلب كبر وكبر المسلمون . وقال أول القتال المطاردة ثم المراماة ثم حمل على المشركين يقاتلهم حتى خرق صفهم إلى شاطىء النهر ثم عاد إلى موقفه

وبات المشركون فى علاج توابيتهم حتى أعادوها وأصبحوا على مواقفهم وأقبلت الفيلة معها الرجالة يحمونها أن تقطع وضنها (أحزمتها) ومع الرجاله فرسان يحمونهم إذا أرادوا كتيبته دلفوا لها بفيل وأتباعه لينفروا بهم خيلهم فتقاتلوا حتى عدل النهار . وكان يوم عماس من أوله إلى آخره شديداً . العرب والعجم فيه على السواء . وقد كان يزدجرد يبعث المدد ممن بقى عنده فيقوون بهم ولولا الذى صنع الله للمسلمين بالذى ألهم القعقاع فى اليومين وأتاح لهم،

بهاشم لكسر المسلمون وانهزموا

(فرار الفيلة)

لما رأى سعد الفيلة تفرق بين الكتائب وعادت لفعلها كيوم أرماث استشار نفرا من الفرس أسلموا فأشاروا عليه بضرب المشافر والعيون فأرسل إلى القعقاع وعاصم ابني عمر . أ كفيانى « الأبيض » وكانت كلها آلفة له وكان بازائهما وأرسل إلى حمال والربيل أكفيانى « الأجرب » وكانت آلفة له كلها وكان بازائهما وهذان الفيلان هما أكبر الفيلة وسائرهما تبع لهما

اما القعقاع وعاصم فحملا على الفيل الأبيض فوضعا رمحيهما معاً فى عينيه فقبع (صوّت) ونفض رأسه وطرح سائسه ودلى مشفره فنفحه القعقاع فرمى به ووقع لجنبه وقتلوا من كان عليه

وأما الحمال فقال للربيل اختر إما أن تضرب المشفر وأطعن فى عينه او تطعن فى عينه واضرب مشفره . فاختار الضرب فحمل عليه حمال وطعنه فى عينه فأقعى (جلس على إليتيه ونصب فخذيه) ثم استوى ونفحه (ضربه) الربيل فأبان مشفره وقد ولى الفيل الأجرب فوثب فى النهر فاتبعته الفيلة فخرقت صف الأعاجم فعبرت النهر فى أثره فأتت المدائن فى توابيتها وهلك من فيها

ليلة الهرير او ليلة القادسية

القتال إلى الصباح - قتل رستم

بعد أن فرت الفيلة وخلص المسلمون بأهل فارس ومال الظل تزاحف المسلمون وحماتهم فرسانهم الذين قاتلوا اول النهار حتى المساء واشتد القتال وصبر الفريقان فخرجا على السواء الا الغماغم [١] من هؤلاء وهؤلاء فسميت ليله الهرير [٢] لم يكن قتال بليل بعدها بالقادسية .

بعث سعد « ليله الهرير » طليحة وعمرا الى مخاضة أسفل العسكر ليقوما عليها خشية ان يأتيه القوم منها

قال طليحة لو خضنا فأتينا الأعاجم من خلفهم فقال عمرو بل نعبر أسفل فافترقا فأخذ طليحة نحو العسكر من وراء العتيق وسفل عمرو بأصحابهما جميعاً فأغاروا وثارت بهم الأعاجم وزحف قوم بغير إذن سعد ولم ينتظروا أمره فكان القعقاع أول من زحف فقال سعد اللهم اغفرها له وانصره فقد أذنت له إن لم يستأذني ثم قال إذا كبرت ثلاثا فاحملوا وكبر واحدة لكنهم لم ينتظروا فحملت أسد ثم بجيلة ثم كندة ثم زحف الرؤساء وهكذا

---

(١) الغماغم أصوات الأبطال عند القتال

(٢) أصل معنى كلمه الهرير صوت الكلب وهو دون النبيح .وسميت ليلة الهرير لتركهم الكلام وإنما كانوا يهرون هريراً

فان العرب لشجاعتهم لايطيقون الانتظار فى ميدان القتال بل يندفعون بكل قوامم وقد كان سعد ينتظر طويلا بين كل تكبيرة وأخرى كى يستعدوا وينتظموا ولكنهم ما كانوا يطيقون الصبر

كانت رحى الحرب تدور على القعقاع وتقدم حنظلة بن الربيع وأمراء الأعشار وطليحة وغالب وحمال وأهل النجدات. ولما كبر سعد الثالثة لحق الناس بعضهم بعضا وخالطوا القوم واستقبلوا الليل بعد صلاة العشاء وكان صليل الحديد فيها كصوت القيون (١) ليلتهم إلى الصباح ورأى العرب والعجم أمرا لم يروا مثله وانقطعت أخبار القتال عن سعد ورستم وأقبل سعد على الدعاء فلما كان الصبح استدل المسلمون على أنهم المنتصرون بعد أن حاربوا ٢٤ ساعة بلا إنقطاع

كان أول شيء سمعه سعد فى هذه الليلة مما يستدل به على الانتصار فى نصف الليل الباقى صوت القعقاع بن عمرو وهو يقول :

نحن قتلنا معشرا وزائدا   أربعة وخمسة وواحـــدا
نحسب فوق اللبد الأساودا   حتى إذا ماتوا دعوت جاهدا
الله ربي واحترزت عامدا

لم يغمض الناس عيونهم فى تلك الليلة وفى الصباح سار القعقاع فى الناس فقال « ان الدَّبْرَة (الهزيمة) بعد ساعة لمن بدأ القوم فاصبروا ساعة واحملوا فان النصر مع الصبر فآثروا الصبر على الجزع »

(١) القيون جمع قين وهو الحداد

فاجتمع اليه جماعة من الرؤساء وصمدوا لرستم (قصدوه) حتى خالطوا الذين دونه مع الصبح وأخذت مجنبتا الفرس فى الارتداد ونشب فى القلب قتال عنيف وعند الظهر ركد عليهم النقع (الغبار) وهبت ريح عاصفة فقلعت سرادق رستم عن عرشه فهوى فى النهر وانتهى القعقاع ومن معه إلى العرش فعثروا به وقد قام رستم عنه حين طارت الريح بالسرادق إلى بغال قدمت عليه بمال يومئذ فهى واقعة فاستظل فى ظل بغل وحمله وضرب هلال بن عُلَّفة الحمل الذى كان رستم تحته فقطع حباله ووقع عليه أحد جانبي الحمل ولم يره هلال ولم يشعر به ففر رستم نحو النهر فرمى بنفسه فيه ولحقه هلال فأخذ برجله ثم خرج به وضرب جبينه بالسيف حتى قتله ثم جاء به ورماه بين أرجل البغال وصعد العرش ونادى «قتلت رستم ورب الكعبة» فاضطرب قلب المشركين عند ذلك وانهزموا وقام الجالينوس على الردم ونادى أهل فارس إلى العبور فوخزهم المسلمون برماحهم وارسل سعد إلى هلال فدعا له. فقال أين صاحبك ؟ قال رميت به تحت أبغل. قال إذهب فجيء به فذهب فجاء به. فقال جرده الا ماشئت فأخذ سلبه فلم يدع عليه شيئا

هذه رواية سيف عن قتل رستم كما جاء فى الطبرى وهكذا ذكرها ابن الأثير غير أن الواقدى فى فتوح الشام روى رواية غريبة فقال «ان أول من فتح الحرب رستم وطلب البراز فخرج اليه ابن نجية فقتله فخرج زهير فقتله فأراد القعقاع أن يخرج واذا بفارس قد

أقبل إلى رستم كالريح فى هبوبها فصاح برستم صيحة أدهشته وطعنه فى خاصرته فاطلع السنان من الخاصرة الأخرى فنظر اليه سعد فاذا هو أبو محجن وقد صنع ذلك برستم الخ) وذكر أن سعد بن أبى وقاص عفا عن أبي محجن لأنه قتل رستم وهذا من أخطاء الواقدى فقد ذكرنا ماكان من أبى محجن فانه لم يقتل رستم بل الذى قتله هو هلال ولم يذكر الواقدى هبوب الريح التى طارت بخيمة رستم ولا فراره إلى النهر

وجاء فى كتاب الشاهنامة « فلما رأى رستم ذلك بارز سعدا فغلبه سعد وضرب على رأسه ضربة تشظت منه بيضته وانفلقت هامته فضربه ضربة ثانية نزلت من عاتقه إلى صدره » وهذا خطأ واضح لأن سعداً كان وقتئذ مريضاً لا يستطيع الجلوس ولا الركوب وشغب عليه نفر فقيدهم فى القصر واضطر أن يعتذر إلى الناس وأراهم ما به من القروح فعذره الناس ووبخته زوجته فلطم وجهها فكيف يستطيع أن يبارز رستم ويضربه تلك الضربة الشديدة القاضية ؟ والحقيقة أن سعداً ما بارز أحداً فى موقعة القادسية ولا ركب حصاناً أو ناقة

وبعد أن قتل رستم اضطرب الفرس وانهزموا وقام الجالينوس على الردم ونادى اهل فارس الى العبور واخذ ضرار بن الخطاب راية الفرس درفش [1] كابيان فعوض منها ٣٠٠٠٠ وكانت قيمتها

---

(١) درفش معناها بالفارسية اللواء وفى مفتاح العلوم للخوارزمى

٢٠٠ر١٠٠٠ر١ وذهب فرسان من المسلمين فى اثر الفرس ولحق زهرة بالجالينوس وكان فى آخرهم يحميهم فاختلفا ضربتين فقتله زهرة واخذ سلبه وقتلوا مابين الخرارة والسيلحين الى النجف وأمسوا فرجعوا فباتوا بالقادسية . واصيب المؤذن فتشاحّ الناس فى الأذان فأقرع سعد بينهم

(خسائر الحرب)

بلغت خسائر المسلمين قبل ليلة الهرير ٢٥٠٠ وفى يوم القادسية ٦٠٠٠ وبلغت خسائر الفرس ١٠٠٠٠

قال الطبرى : «وخرج صبيان العسكر فى القتلى ومعهم الأداوى (أوان صغيرة من الجلد جمع إداوة) يسقون من به رمق من المسلمين ويقتلون من به رمق من المشركين » وزاد مستر موير فى كتاب الخلافة (النساء) فقال كان النساء والصبيان يشفقون على جرحى المسلمين ويعاملونهم بالحسنى ويسقونهم الماء وينقمون من جرحى الفرس . أما الطبرى فلم يذكر النساء وعلى كل حال لم يكن ذلك بأذن القائد العام أو احد من القواد لأنهم لم يكونوا يجهزون على جريح . أما الصبيان فمن يلومهم على هذا العمل! ؟

الدرفس معرب من درفش كابيان والدرفش هو العلم وكان اسم الرجل الذى خرج على الضحاك حتى قتله أفريدون كابى وكان علم كابى من جلد دب ويقال من جلد اسد وكان يتيمن به ملوك الفرس فغشوه بالذهب ورصعوه بالجواهر الثمينة

وكتب سعد إلى عمر بالفتح وبعدة من قتلوا ومن أصيب من المسلمين وسمى لعمر من يعرف مع عُمَيْلة الفزارى

كانت غنائم المسلمين عظيمة فنال كل جندى ٦٠٠٠ قطعة وقدر ماسلب من رستم ٧٠٠٠٠ اعطاها سعد لهلال وكانت راية الفرس المصنوعة من جلد النمور ومرصعة بالجواهر تقدر بمائة الف ويقال أن سعد بن أبى وقاص إستكثر سلب الجالينوس على زهرة فكتب إلى عمر فكتب اليه عمر (إنى قد نفّلت كل من قتل رجلا سلبه) فدفعه اليه فباعه بسبعين الف. وفضل أهل البلاء يوم القادسية عند العطاء خمسمائة خمسمائة فى اعطياتهم خمسة وعشرين رجلا. أما أهل الأيام فانه فرض لهم على ثلاثة آلاف فضلوا على أهل القادسية وكتب سعد إلى عمر بالفتح وبعدة من قتل وأسماء من يعرف منهم

(أهمية انتصار المسلمين)

كانت هزيمة الفرس مقدرة وحاسمة ولم يمض على ذهاب خالد بن الوليد إلى العراق إلا نحو ثلاثين شهراً وكانت دولة الفرس قد هزمت الأمبراطورية البيزنطية بالشام وعسكرت جيوشها على ضفاف البسفور منذ خمس عشرة سنة وهاهى قد أندحرت أمام جيوش المسلمين الذين لم يتجاوز عددهم ثلاثين أو أربعين ألفاً غير مسلحين تسليحا جيداً ومع أن جيوش الفرس تمكنت من عبور النهر فارة فان قوتهم الحربية لم تلتئم ولم تعد خطراً يهدد جيوش المسلمين. وقد وقع الرعب فى نفوس الأهالى وانضمت القبائل العربية وحاربت

القبائل المسيحية فى صفوف المسلمين وجاءت إلى سعد خاضعة نادمة ودخلت فى دين الله. وقد كان عمر رضى الله عنه شديد الاهتمام بأخبار حرب الفرس فكان يسأل الركبان حتى يصبح إلى انتصاف النهار عن أهل القادسية ثم يرجع إلى أهله ومنزله. فلما لقى البشير سأله من أين فاخبره . قال يا عبد الله حدثنى . قال هزم الله المشركين وعمر يخب معه يسأله والآخر يسير على ناقته لا يعرفه حتى دخل المدينة وإذا الناس يسلمون عليه بامرة المؤمنين . قال البشير هلا أخبرتنى رحمك الله أنك أمير المؤمنين ! فقال عمر لا بأس عليك يا أخى . فانظر إلى بساطة عمر وتواضعه مع أنه كان أعظم شأنا وأرفع منزلة من قيصر وكسرى

مابعد القادسية من الحوادث

فتح المدائن

سنة ١٥ - ١٦ ﻫ (٦٣٦ - ٦٣٧ م)

(يوم بُرْس)

بعد أن انهزم الفرس بالقادسية توقف سعد عن القتال مدة شهرين ليستريح الجند ويستعد للقتال وقد شفى فى هذه المدة من المرض الذى أصابه وسار من القادسية لأيام بقين من شوال . فلما وصلت مقدمة المسلمين برس [١] وعليهم عبد الله بن المعتم وزهرة

(١) برس موضع بارض بابل به آثار لبخت نصر وتل مفرط العلو

ابن حوية وشرحبيل بن السمط لقيهم جمع من الفرس فهزمهم المسلمون
إلى بابل وبها فالة القادسية فهزموا قائدهم بُصْبُهْرَى فألقى نفسه فى
النهر ومات من طعنة زهرة ثم أقبل بسطام دهقان برس وصالح
زهرة وعقدله الجسور وأخبره بمن اجتمع ببابل

(يوم بابل)

نزل سعد الكوفة [1] مع هاشم بن عتبة وأتاه الخبر عن زهرة
باجتماع الفرس ببابل على الفيرزان فزحف بقواده إلى بابل ولم يلبث
أن هزم الفرس فخرج الهرمزان متوجها نحو الأهواز فأخذها ثم
سار حتى طلع على نهاوند وبها كنوز كسرى فأخذها وأقام سعد ببابل
أياماً ثم نزل كوثى [2] وأتى البيت الذى كان فيه ابراهيم عليه السلام
محبوساً فنظر اليه وصلى على رسول الله وعلى ابراهيم وعلى أنبياء الله
وقرأ (وتلك الأيام نداولها بين الناس)

---

(١) الكوفة بالضم المصر المشهور بارض بابل من يسمى صرح البرس
سواد العراق ويسميها قوم « خد العذراء » قيل سميت الكوفة لاستدارتها
أخذاً من قول العرب رايت كوفانا وكوفانا بضم الكاف وفتحها للرميلة
المستديرة وقيل سميت الكوفة كوفة لاجتماع الناس بها من قولهم قد تكوف
الرمل وقيل غير ذلك

(٢) كوثي موضع بالعراق فى أرض بابل وكوثى العراق كوثيان
أحدهما كوثي الطريق والاخر كوثى ربى وبها مشهد الخليل عليه السلام
وبها مولده وهما من أرض بابل وبها طرح ابراهيم فى النار وهما ناحيتان

فتح المدائن

شهر صفر سنة ١٦هـ

المدائن هى عاصمة ملك فارس وكانت مسكن الملوك من الأكاسرة الساسانية وغيرهم وإنما سمتها العرب المدائن لأنها سبع مدائن واسمها عند الفرنج اكتيزيفون بينها وبين بغداد ٢٥ ميلا .

قدم سعد زهرة إلى بهرسير[١] فصالحه شيرازاد دهقان ساباط على تأدية الجزية وهزم زهرة كتيبة بنت كسرى التى تدعى بوران ثم زحف سعد على نهرسير فرأى المسلمون الايوان (وهى تجاه الايوان) فقال ضرار بن الخطاب « الله أكبر . أبيض كسرى . هذا وعد الله ورسوله » وكبر وكبر الناس معه فكانوا كلما وصلت طائفة كبروا ثم نزل على المدينة

وفى صفر دخل المسلمون بهرسير وكان سعد محاصراً لها وأرسل الخيول فاغارت على من ليس له عهد فاصابوا ١٠٠,٠٠٠ فلاح فاصاب كل واحد منهم فلاحاً فارسل سعد إلى عمر يستأذنه فاجابه (إن من جاءكم من الفلاحين ممن لم يعينوا عليكم فهو أمانة ومن هرب فادركتموه فشأنكم به) فخلى سعد عنهم وأرسل إلى الدهاقين

---

(١) من نواحى سواد بغداد قرب المدائن وهى إحدى المدائن السبع التى سميت بها المدائن وهى فى غربى دجلة وهى تجاه الايوان لأن الايوان فى شرقى دجلة وهى فى غربيه

ودعاهم إلى الاسلام أو الجزية ولهم الذمة فتراجعوا ولم يدخل فى ذلك ما كان لآل كسرى فلم يبق غربي دجلة إلى أرض العرب سوارى إلا آمن واغتبط بملك الاسلام وأقاموا على بهرسير شهرين يرمونهم بالمجانيق ويدبون اليهم بالدبابات ونصبوا على المدينة ٢٠ منجنيقاً فشغلوهم بها واشتد الحصار بأهل المدائن الغربية حتى أكلوا السنانير والكلاب وصبروا من شدة الحصار على أمر عظيم ثم قطعوا دجلة إلى المدائن الشرقية ودخلوا المدينة فانزلهم سعد المنازل

أقام سعد ببهرسير أياما من صفر فاتاه علج فدله على مخاضة تخاض إلى صلب الفرس فابى وتردد عن ذلك وقحمهم المد وكانت السنة كثيرة المدود ودجلة تقذف بالزبد فاتاه علج آخر وقال له ما يقيمك لا يأتى عليك ثلاثة حتى يذهب يزدجرد بكل شىء فى المدائن فعزم سعد على قطع البحر وخطب فى الجيش وندب الناس إلى العبور وجعل عاصما على الفراض ليمنعها وأذن فى الاقتحام وقال: «قولوا نستعين بالله ونتوكل عليه : حسبنا الله ونعم الوكيل .والله لينصرن الله وليه وليظهرن دينه وليهزمن عدوه ولا قوة إلا بالله العلى العظيم» وتلاحق الناس فى دجلة وكان الذى يساير سعداً سلمان الفارسى فعامت به خيولهم وخرج الناس سالمين وخيولهم تنفض أعرافها وسموا يوم عبورهم الدجلة «يوم الجراثيم» لأنه لم يكن أحد يعبر إلا ظهرت له جرثومة يسير معها وهى من القش المربوطة حزماً. فلما

لم يقدر الفرس على منع المسلمين من العبور هربوا إلى حُلوان (١) فدخلها المسلمون ولم يجدوا بها أحداً وقد أخرج يزدجرد عياله إلى حلوان فلحق بعياله ونزل سعد القصر الأبيض واتخذ الايوان مصلى وسرح فى آثار القوم زهرة فى المقدمات

(إيوان كسرى)

زعموا أنه تعاون على بناء إيوان كسرى الذى بالمدائن عدة ملوك وهو من أعظم الابنية. ولما اراد كسرى بناء إيوانه أمر بشراء ما حوله من مساكن الناس وأرغبهم بالثمن الوافر وإدخاله فى الايوان وقيل انه كان فى جواره عجوز لها دويرة صغيرة فاراودها على بيعها فامتنعت وقالت ماكنت لابيع جوار الملك بالدنيا جميعها فاستحسن هذا الكلام منها وأمر ببناء الايوان وترك دارها فى موضعها منه وإحكام عمارتها. وقد كان فى الايوان صورة كسرى أنو شروان وقيصر ملك أنطاكية وهو يحاصرها ويحارب أهلها

---

(١) حلوان العراق هى فى آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد وقيل أنها سميت بحلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعه كان بعض الملوك أقطعه إياها فسميت به وهى مدينة عامرة ليس بأرض العراق بعد الكوفة والبصرة وواسط وبغداد وسر من رأى أكبر منها وأكثر ثمارها التين وهى بقرب الجبل وليس للعراق مدينة بقرب الجبل غيرها وربما يسقط بها الثلج وأما أعلا جبلها فان الثلج يسقط به دائما وهى وبئه ردية الماء وكبريتية وبها رمان وتين فى غاية الجودة وحواليها عدة عيون كبريتية ينتفع بها من عدة ادواء والغريب ان حلوان مصر بها ينابيع كبريتية كحلوان العراق

قال ابن الحاجب يذكر الايوان :

يامن بناه بشاهق البنيان أنسيت صنع الدهر بالايوان

هذى المصانع والدساكر والبنا وقصور كسرى أنوشروان

كتب الليالى فى ذراها أسطراً بيد البلى وأنامل الحدثان

إن الحوادث والخطوب إذا سطت

أودت بكل موثق الاركان

صلى سعد صلاة الفتح ثمانى ركعات لايفصل بينها وكان فى الايوان تماثيل وصور فتركها على حالها وتحول من الايوان بعد ثلاثة أيام إلى القصر الأبيض

(غنائم المسلمين)

أقام سعد على قبض أموال الغنائم عمرو بن مقرن وأمره أن يجمع مافى القصور والايوان والخزائن والدور والأسواق وأن يحصيها وعما وجدوه جواهر ودروع وسيوف وذهب وفضة . ولما قسم سعد الغنائم على الناس أصاب الفارس ١٢٠٠٠ دينار وكلها كانوا فرسانا ولم يكن فيهم راجل وأخرج للغائبين مع النساء والحريم فى الحيرة نصيبهم . وقسم الدور بين الناس وأخرج الخمس لعمر بن الخطاب وأرسل اليه بساط الملك . قال الواقدى فى كتاب فتوح الشام يصف هذا البساط

كله ذهب منسوج بالحرير . منظوم بالدر واليواقيت الملونة والمعادن والجواهر المثمنة والزمرد وكان طوله ستين ذراعا [1] قطعة

---

(١) طوله ٦٠ ذراعاً فى ٦٠ ذراعاً

واحدة فى جانب منه كالصور وفى جانب كالشجر والرياض والأزهار وفى جانب كالأرض المزروعة المبقلة بالنبات فى الربيع وكل ذلك من الحرير الملون والمعادن على قضبان الذهب والزمرد والفضة وكان الملك لا يبسطه إلا فى أيام الشتاء فى إيوانه إذا قعد للشراب وكانوا يسمونه بساط النزهة والمسرات فيكون لهم شبه الروضة الزهراء. فلما رآه العرب قالوا «والله هذه قطيفة زينة» وهذا يدل على مقدار ماوصل اليه الفرس من العز والترف والتقدم فى صناعة الأبسطة وفى الفنون الجميلة

وفى الطبرى عن حبيب بن صُهبان قال: دخلنا المدائن فأتينا على قباب تركية مملوءة سلالا مختمة بالرصاص فما حسبناها إلا طعاماً فاذا هى آنية الذهب والفضة فقسمت بعد بين الناس. وقال حبيب: وقد رأيت الرجل يطوف ويقول من معه بيضاء بصفراء وأتينا على كافور كثير فما حسبناه إلا ملحاً فجعلنا نعجن به حتى وجدنا مرارته فى الخبز

وقيل أنهم عثروا على تاج كسرى وثيابه ودروعه ومغفره وسيفه وبعثوا بذلك إلى عمر ليراه المسلمون ولتسمع بذلك العرب

ولما وصل البساط إلى عمر استشار الناس فاجمع ملأهم على أن قالوا قد جعلوا ذلك لك فرَ رأيك إلا ماكان من علىّ فانه قال ياأمير المؤمنين الأمر كما قالوا ولم يبق إلا التروية إنك إن تقبله على هذا اليوم لم تعدم فى غد من يستحق به ماليس له. قال صدقتنى ونصحتنى

فقطعه بينهم وفى رواية أن عليا قام حين رأى عمر يابى حتى انتهى اليه فقال: «لم تجعل علمك جهلا و يقينك شكا إنه ليس لك من الدنيا إلا ما أعطيت فامضيت أو لبست فابليت أو أكلت فأفنيت» قال صدقتنى فقطعه فقسمه بين الناس فأصاب علياً قطعة منه فباعها بعشرين الفا وما هى بأجود تلك القطع

لم يخطر ببال عمر ولا ببال احد من المسلمين وقتئذ إنشاء متحف لهذه الغنائم الأثرية النادرة المثال لتبقى مدى الدهر ناطقة بمجد المسلمين وجهادهم وتكون درسا نافعاً للمؤرخين وعلماء الآثار وتحفة من أثمن التحف الفنية ولا شك أن تقسيم مثل هذا البساط بواسطة قطعه قطعا وتوزيع سيوف الملوك ودروعهم وملابسهم وتيجانهم خسارة عظيمة من الوجهة التاريخية والفنية لكن المسلمين فى ذلك الوقت يلتمس لهم عذر لأن فكرة المتاحف العامة لخدمة التاريخ والفن لم تكن موجودة فى عصرهم فرأوا أن خير ما يفعلون تقسيم الغنائم تقسيما عادلا بقدر الطاقة بغض الطرف عن قيمتها الأثرية والفنية

ولما اتى بحلى كسرى وزيه فى المباهاة وزيه فى غير ذلك وكانت له عدة ازياء لكل حالة زى ، قال عمر بن الخطاب علىَّ بمُحَلِّم وكان أجسم عربى يومئذ بأرض المدينة فألبس تاج كسرى على عمودين من خشب وصب عليه أوشحته وقلائده وثيابه وأجلس للناس فنظر اليه عمر ونظر اليه الناس فرأوا أمراً عظيما من أمر الدنيا وفتنتها ثم قام

عن ذلك فألبس زيه الذى يليه فنظروا إلى مثل ذلك فى غير نوع حتى أتى عليها كلها ثم البسه سلاحه وقلده سيفه فنظروا اليه فى ذلك ثم وضعه ثم قال « والله إن أقواماً أدوا هذا لذوو أمانة ونفل سيف كسرى محلماً »

موقعة جلولاء

سنة ١٦ هـ — ٦٣٧ م

اغتبط عمر بما فتح الله على المسلمين فى المدائن وعاد إلى حذره فنهى عن الزحف فأقام سعد فى المدائن ومضى صيف سنة ١٦ هـ فى راحة . أما يزدجرد وجيشه المنهزم فانه فر إلى الجبال وخضع الذين على شاطىء الدجلة لأنهم وجدوا أن المقاومة لاتجدى نفعاً وفى الخريف اجتمع الفرس على يزدجرد بحلوان على نحو مائة ميل من المدائن ومن هناك تقدم قسم من الجيش إلى جلولاء وهى حصن أحاطوه بخندق وأحاطوا الخندق بحسك الحديد (مسامير) إلا طرقهم فبلغ ذلك سعداً فأرسل إلى عمر فكتب اليه عمر أن سرح هاشم بن عتبة إلى جلولاء واجعل على مقدمته القعقاع بن عمرو وإن هزم الله الفرس فاجعل القعقاع بين السواد والجبل وليكن الجند اثنى عشر الفاً ففعل سعد ذلك وسار هاشم من المدائن بعد قسمة الغنيمة فى إثنى عشر الفاً منهم وجوه المهاجرين والانصار وأعلام العرب ممن كان إرتد ولم يرتد

حاصر المسلمون الفرس فطاولهم الفرس وجعلوا لايخرجون عليهم إلا إذا أرادوا وزاحفهم المسلمون بجلولاء ثمانين زحفاً فظفروا عليهم وغلبوهم على الحسك وجعل سعد يمد هاشماً بالفرسان وأخيراً اقتتلوا فهزم أهل فارس وبعث الله عليهم ريحا أظلمت عليهم البلاد ثم عادوا فاقتتلوا قتالا شديداً لم يقتتلوا مثله إلا «ليلة الهرير» إلا أنه كان أعجل وانتهى القعقاع إلى باب الخندق واستولى عليه وحمل عليهم المسلمون فهزموهم وقتل منهم يومئذ نحو ١٠٠٠٠٠. فجللت القتلى المجال وما بين يديه وما خلفه فسميت جلولاء بما جللها من قتلاهم فهى «جلولاء الوقيعة» ولما بلغت الهزيمة يزدجرد سار من حلوان نحو الرى فى اتجاه بحر قزوين

وكان فتح جلولاء فى ذى القعدة سنة ١٦ هـ وبينها وبين المدائن تسعة أشهر وقدم القعقاع حلوان وقتل دهقانها وكتبوا إلى عمر بالفتح وبنزول القعقاع حلوان وأصاب القعقاع سبايا فأرسلهن إلى هاشم فقسمن فاتخذن فولدن وقسمت الغنيمة وأصاب كل واحد من الفوارس تسعة آلاف وتسعة من الدواب وقيل أن الغنيمة كانت ٣٠٠٠٠٠٠٠ درهم عدا الخيول الفارسية الجميلة وبعث سعد بالأخماس إلى عمر وبعث الحساب مع زياد ابن أبيه فكلم عمر فيما جاء له ووصف له فقال عمر هل تستطيع أن تقوم فى الناس بمثل ما كلمتنى به . فقال والله ما على الأرض أهيب فى صدرى منك فكيف لا أقوى على هذا من غيرك . فقام فى الناس بما أصابوا وما

صنعوا وبمـا يستانفون من الأنسياح فى البلاد . فقال عمر « هذا الخطيب المصقع » فقال إن جندنا أطلقوا ألسنتنا

ولما قدم الخمس على عمر قال « والله لا يُجنُّه سقف حتى أقسمه» فبات عبدالرحمن بن عوف وعبدالله بن الأرقم يحرسانه فى المسجد فلما أصبح جاء فى الناس فكشف عنه فلما نظر إلى ياقوته وزبرجده وجوهره بـكى . فقال له عبد الرحمن بن عوف : ما يبـكيك يا أمير المؤمنين فوالله إن هذا لموطن شكر . فقال عمر : « والله ما ذلك يبـكيني وبالله ما أعطى الله هذا قوما إلا تحاسدوا وتباغضوا . ولا تحاسدوا إلا ألقى الله بأسهم بينهم» ومنع عمر من قسمة السوادلتعذر ذلك بسبب الآجام والغياض وتبعيض المياه

وكان صلح عمر الذى صالح عليه أهل الذمة أنهم إن غشوا المسلمين لعدوهم برئت منهم الذمة وإن سبوا مسلما أن ينهكوا عقوبة وإن قاتلوا مسلما أن يقتلوا وعلى عمر منعتهم وبرئ عمر إلى كل ذى من معرة الجيش

فتح تكـريت والموصل [١]

تـكريت بلدة مشهورة بين بغداد والموصل وهى إلى بغداد

(١) الموصل المدينة المشهورة العظيمة إحدى قواعد بلاد الاسلام وهي باب العراق ومفتاح خراسان ومنها يقصد إلي اذربيجان . قيل سميت الموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق وقيل وصلت بين دجلة والفرات

اقرب وبينها وبين بغداد ٣٠ فرسخا ولهـا قلعة حصينة فى طرفها الأعلى راكبة على دجلة وهى غربى دجلة

فتحت تكريت فى جمادى سنة ١٦ هـ وقد أرسل سعد الجيوش إلى تكريت (شمال المدائن) وكان يحميها جيش مختلط من الروم وقبائل إياد وتغلب والنمر والشهارجة وهى قبائل مسيحية وعلى راسهم الأنطاق وكان عمر كتب إليه أن سرح إليه عبد الله بن المُعتَمّ واستعمل على مقدمته رِبْعِيّ بن الأفكل وعلى الخيل عرفجة بن هرثمة فسار عبد الله إلى تكريت وحاصرها أربعين يوما وأرسل عبد الله ابن المعتم إلى العرب، الذين مع الأنطاق يدعوهم إلى نصرته وكانو لا يخفون عليه شيئا ولما رأت الروم المسلمين ظاهرين عليهم تركوا أمراءهم ونقلوا أمتعتهم إلى السفن فأرسلت تغلب وإياد والنمر إلى عبد الله بالخبر وسألوه الأمان وأعلموه أنهم معه . فأرسل إليهم إن كنتم صادقين فأسلموا فأجابوه وأسلموا . فأرسل اليهم عبد الله اذا سمعتم تكبيرنا فاعلموا أنا أخذنا أبواب الخندق فخذوا الأبواب التى تلى دجلة وكبروا واقتلوا من قدرتم عليه وعلى ذلك قتلوهم جميعا ولم يفلت من أهل الخندق الا من أسلم من قبائل البدو . وأرسل عبدالله ابن المعتم ربعى بن الأفكل الى الحصنين وهما نينوى والموصل فسمى نينوى الحصن الشرقى وسمى الموصل الحصن الغربى فاقتحم

وهي مدينة قديمة على طرف دجلة ومقابلها من الجانب الشرقى نينوى . هواؤها جيد وماؤها عذب وحرها شديد فى الصيف وبردها عظيم فى الشتاء.

ابن الأفكل الحصنين فأجابوه الى الصلح وصاروا ذمة وقسموا الغنائم فكان سهم الفارس ٣٠٠٠ درهم وسهم الراجل ١٠٠٠ درهم وبعثوا بالأخماس الى عمر مع فرات بن حيان وبالفتح مع الحارث ابن حسان

فتح ما سبذان

لما رجع هاشم بن عتبة من جلولاء الى المدائن بلغ سعداً أن آذين ابن الهرمزان قد جمع جمعاً فخرج بهم الى السهل فكتب بذلك الى عمر فكتب اليه عمر ابعث اليهم ضرار بن الخطاب فى جند واجعل على مقدمته ابن الهزيل الأسدى وعلى مجنبتيه عبد الله بن وهب الراسبي حليف بجيلة والمضارب فخرج ضرار بن الخطاب وهو أحد بنى محارب بن فهر فى الجند وقدم الهزيل حتى انتهى الى سهل ماسبذان فالتقوا بمكان يدعى بهندف فاقتتلوا بها فاسرع المسلمون فى المشركين وأخذ ضرار آذين فاسره فانهزم عنه جيشه فضرب عنقه ثم خرج فى الطلب حتى إنتهى الى السيروان فأخذ ماسبذان عنوة فهرب أهلها فى الجبال فدعاهم فاستجابوا له وأقام بها حتى تحول سعد من المدائن فارسل اليه فنزل الكوفة واستخلف ابن الهذيل على ماسبذان فكانت أحد فروج الكوفة

وبهندف بليدة من نواحى بغداد فى آخر أعمال النهروان بين بادرايا وواسط .

قال ضرار بن الخطاب صاحب الجيش الذى مر ذكره :

ولما لقينا بهندف جمعهم   اناخوا وقالوا اصبروا آل فارس
فقلنا جميعا نحن أصبر منكم   وأكرم فى يوم الوغا والتمارس
ضربناهم بالبيض حتى اذا انثنت   أقمنالها مثلا بضرب القوانس
فما فيت خيل تقص طريقهم   وتقتلهم بعد اشتباك الحنادس
فعادوا لنادنيا ودانوا بعهدنا   وعدنا عليهم بالنهى فى المجالس

فتح قرقيسياء

قرقيسياء معرب كركيسيا وهو مأخوذ من كركيس وهو اسم لارسال الخيل المسمى بالعربية الحلبة وكثير ما يجىء فى الشعر مقصورا

لما رجع هاشم بن عتبة عن جلولاء إلى المدائن وقد اجتمعت جموع أهل الجزيرة فأمدوا هرقل على أهل حمص وبعثوا جنداً إلى أهل هيت وكتب بذلك سعد إلى عمر فكتب عمر أن ابعث اليهم عمر بن مالك فى جند وابعث على مقدمته الحارث بن يزيد العامرى وعلى مجنبتيه ربعى بن عامر ومالك بن حبيب فخرج عمر بن مالك فى جنده سائراً نحو هيت وقدم الحارث بن يزيد حتى نزل على من بهيت وقد خندقوا عليهم فلما رأى عمر بن مالك امتناع القوم بخندقهم واعتصامهم به إستطال ذلك فترك الأخبية على حالها وخلف عليهم الحارث بن يزيد محاصرهم وخرج فى نصف الناس يعارض الطريق

حتى يجىء قرقيسياء فى غرة فأخذها عنوة فأجابوا إلى الجزاء وكتب إلى الحارث بن يزيد إن هم استجابوا فخل عنهم فليخرجوا وإلا فخندق على خندقهم خندقا أبوابه مما يليك حتى أرى من رأيى. فسمحوا بالاستجابة وانضم الجند إلى عمر والأعاجم إلى بلادهم

قال عمر بن مالك يذكر قرقيسياء :

ونحن جمعنا جمعهم فى حفيرهم   بهيت ولم نحفل لأهل الحفائر
وسرنا على عمد نريد مدينة   بقرقيسيا سير الكماة المساعر
فجئناهم فى دارهم بغتة ضحى   فطاروا وخلوا أهل تلك المحاجر
فنادوا الينا من بعيد بأننا   ندين بدين الجزية المتواتر
قبلنا ولم نردد عليهم جزاءهم   وحطناهم بعد الجزا بالبواتر

أما هيت التى مضى ذكرها فقيل سميت هيت لأنها فى هوة من الأرض انقلبت الواو ياء لانكسار ماقبلها وهى بلدة على الفرات من نواحى بغداد فوق الأنبار ذات نخل كثير وخيرات واسعة وهى مجاورة للبرية

قال عمر بن مالك يذكرها :

تطاولت أيامى بهيت فلم أحم   وسرت إلى قرقيسيا سير حازم
فجئتهم فى غرة فاحتويتها   على عنن من أهلها بالصوارم

التاريخ الهجرى

فى السنة السابعة عشرة كتب التاريخ فى شهر ربيع الأول (يولية سنة ٦٣٩ م) وأول من كتب التاريخ عمر بمشورة على بن أبى طالب فان عمر بن الخطاب سأل الناس من أى يوم نكتب ؟ فقال علىّ من يوم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك أرض الشرك

وحج بالناس عمر فى هذه السنة واستخلف على المدينة زيد ابن ثابت وفيها ماتت مارية أم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم أم إبراهيم وصلى عليها عمر وقبرها بالبقيع وذلك فى شهر محرم

السنون العربية سنون قمرية وهى أقل من السنين الشمسية أو الميلادية بأحد عشر يوما تقريبا

وكانت سنة العرب فى أقدم أزمان جاهليتهم سنة هلالية ثم وفقوا بينها وبين السنة الشمسية قبل الاسلام وبقوا على ذلك إلى أيام الهجرة النبوية فكان لهم بعد الاسلام سنتان أحدهما هلالية للفروض الدينية والأخرى شمسية للامور الزمنية والسياسية كجباية الخراج وما أشبه وتدعى السنة الخراجية أيضاً

وبدء السنة الهجرية شهر محرم وكان خروج رسول الله من مكة فى أول ربيع الأول ويقول الأستاذ برسيفال ٤ ربيع الأول الموافق ٢٠ يونيه سنة ٦٢٢ وفى قاموس الاسلام إن عمر كتب التاريخ الهجرى فى سنة ١٧ هـ

بناء البَصرة

سنة ١٧ هـ - ٦٣٨ م

معنى البصرة فى اللغة الأرض الغليظة ذات الحجارة الصلبة وقيل الأرض ذات الحصى وقيل الحجارة الرخوة البيضاء. والبصرة مدينة عند ملتقى دجلة والفرات ويعرف ملتقاهما بشط العرب

وحكاية بنائها أن عتبة كتب إلى عمر يستأذنه فى تمصير البصرة وقال إنه لا بد للمسلمين من منزل إذا أشتا شتوا فيه وإذا رجعوا من غزوهم لجأوا اليه فكتب اليه عمر أن ارتد لهم منزلا قريباً من المراعى والماء واكتب إلىّ بصفته. فكتب إلى عمر إنى قد وجدت أرضا كثيرة القضة (الحجارة المجتمعة المتشققة) فى طرف البر إلى الريف ودونها مناقع فيها ماء وفيها قصباء. فلما وصلت الرسالة إلى عمر قال هذه أرض «بصرة» قريبة من المشارب والمرعى والمحتطب فكتب اليه أن انزلها فنزلها وبنى مسجدها من قصب لكثرته هنالك وبنى دار إمارتها دون المسجد في الرحبة التى يقال لها رحبة بنى هاشم وكانت تسمى الدهناء وفيها السجن والديوان وحمام الاسراء بعد ذلك لقربها من الماء. فكانوا إذا غزوا نزعوا ذلك القصب ثم حزموه ووضعوه حتى يعودوا من الغزو فيعيدوا بناءها كما كان. ثم ان البصرة احترقت فبنوها باللبن. وأول من غرس النخل فيها أبو بكرة ثم غرس الناس بعده ثم استعمل عمر عليها المغيرة بن

شعبة ثم أبا موسى الأشعرى سنة ١٧ هـ فبنى الجامع باللبن وكذلك دار الامارة

أما الأبلة فهى أقدم من البصرة لأن البصرة مصرت فى أيام عمر بن الخطاب وكانت الأبلة حينئذ مدينة فيها مسالح من قبل كسرى

بناء الكوفة

سنة ١٧ هـ ٦٣٨ م

الكوفة المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق ويسميها قوم « خد العذراء » وقد مصرت الكوفة فى السنة التى مصرت فيها البصرة .وكان سبب بنائها أن سعدا أرسل وفداً إلى عمر بالفتوح فلما راهم عمر سألهم عن تغير ألوانهم وحالهم فقالوا وخومة البلاد غيرتنا فأمرهم عمر أن يرتادوا منزلا ينزله الناس وكتب إلى سعد أن ابعث سلمان وحذيفة رائدين فليرتادا منزلا برياً بحريا ليس بينى وبينكم فيه بحر ولا جسر. فارسلهما سعد فاختارا الكوفة بالقرب من الحيرة على شاطىء الفرات الغربى فنزلا فصليا ودعوا الله تعالى أن يجعلها منزل الثبات ونزل سعد الكوفة وكتب إلى عمر أنى قد نزلت بالكوفة فيما بين الحيرة والفرات بريا بحريا ينبت الحلفاء والنَّصِىّ (١)

(١) النصى نبت سبط من افضل المراعى مادام رطباً فاذا ابيض فهو (الطريفة) فاذا ضخم ويبس فهو (الحلي) الواحدة نصية

وخيّر المسلمون بينها وبين المدائن فمن أعجبه المقام بالمدائن تركته فيها كالمسلحة. ولما استقروا بها رجع اليهم ما كانوا فقدوا من قوتهم وبناها بالقصب كالبصرة ولما أصابها الحريق [1] بناها باللبن وكان على تنزيل الكوفه أبو هياج بن مالك وعلى تنزيل البصرة عاصم بن دلف أبو الحرباء وقدرا المناهج أربعين ذراعاً وما بين ذلك عشرين ذراعا والأزقة سبع أذرع والقطائع ستين ذراعاً وأول شيء خطه فيهما وبنى مسجداهما وقام فى وسطهما رجل شديد النزع فرمى فى كل جهة بسهم وأمر أن يبنى ماوراء ذلك وبنى ظلة فى مقدمة مسجد الكوفة على أساطين رخام من بناء الأكاسرة فى الحيرة وجعلوا على الصحن خندقاً لئلا يقتحمه أحد ببنيان وبنوا لسعد داراً بحياله وهى قصر الكوفة من آجر الأكاسرة فى الحيرة وجعل الأسواق على شبه المساجد من سبق إلى مقعد فهو له حتى يقدم منه إلى بيته ويفرغ من معه. وبلغ عمر أن سعداً قال وقدسمع اصوات الناس من الأسواق « سكنوا عنى السويط » وأن الناس يسمونه قصر سعد فبعث محمد ابن مسلمة إلى الكوفة وأمره أن يخرق باب القصر ثم يرجع ففعل فبلغ سعداً ذلك فقال هذا رسول أرسل لهذا فاستدعاه سعدفابى أن يدخل عليه فخرج اليه سعد وعرض عليه نفقة فلم يأخذ وأبلغه كتاب عمر اليه: « بلغنى أنك اتخذت قصراً جعلته حصنا ويسمى قصر

(١) وقع الحريق بالكوفة والبصرة وكان أشدهما حريقا الكوفة فاحترق ثمانون عريشاً ولم يبق فيهاقصبة

سعد بينك وبين الناس باب فليس بقصرك ولكنه قصر الخبال. أنزل منه مما يلى بيوت الأموال وأغلقه والا تجعل على القصر باباً يمنع النـاس من دخوله ». فحلف له سعد ما قال الذى قالوا فرجع محمد فأبلغ عمر قول سعد فصدقه

وكانت ثغور الكوفة أربعة : (١) حلوان وعليها القعقاع (٢) ماسبذان وعليها ضرار بن الخطاب (٣) قرقيسياء وعليها عمر بن مالك أو عمرو بن عتبة بن نوفل (٤) الموصل وعليها عبد الله بن المعتم وكان بها خلفاؤهم إذا غابوا عنها وولى سعد الكوفة بعد ما اختطت ثلاث سنين ونصفا سوى ماكان بالمدائن قبلها

وقد كان لبناء الكوفة والبصرة أثر عظيم فى الخلافة وقد كان السواد الأعظم من السكان من أصل عربى وقد كانت الكوفة مسكناً للقبائل العربية الوافدة من الجنوب وهؤلاء كانوا العنصر السائد فيهـا . أما البصرة فقد كانت سكناً للوافدين من الشمال وتراوح سكان كل منهما بين ١٥٠,٠٠٠ و ٢٠٠,٠٠٠ عربى

موقعة حمص

سنة ٦٣٦ م

أهل الجزيرة يحرضون الروم على قتال المسلمين

حمص بلد مشهور قديم كبير مسور وفى طرفه القبلى قلعة حصينة على تل عال وهى بين دمشق وحلب فى نصف الطريق

ارسل أهل الجزيرة إلى ملك الروم وبعثوه إلى إرسال الجنود إلى الشام ووعدوه بالمعاونة فأجابهم إلى ذلك

فلما سمع أبو عبيدة ذلك ضم اليه مسالحهم وعسكر بفناء مدينة حمص وأقبل خالد من مدينة قنسرين [١] حتى انضم اليهم هو وأمراء المسلمين وكان رأى خالد أن يناجز الروم إلى مجيء المدد ورأى غير التحصن فرفض أبو عبيدة رأى خالد وتحصن وخندق على حمص وكتب إلى عمر بخروج الروم عليه . وكان عمر اتخذ فى كل مصر على قدره خيولا من فضول أموال المسلمين فكان بالكوفة ٤٠٠٠ فرس معدة للطوارىء فكتب إلى سعد أن اندب النـــاس مع القعقاع بن عمرو وسرحهم من يومهم الذى يأتيك فيه كتابى إلى حمص فان أبا عبيدة قد أحيط به وتقدم اليهم فى الجدو الحث وكتب اليه أيضاً أن سرح سهيل بن عدى إلى الجزيرة فى الجند وليأت الرّقة [٢] فان أهل الجزيرة هم الذين استثـاروا الروم على أهل حمص وإن أهل قرقيسياء لهم سلف وسرح عبد الله بن عتبان إلى

---

(١) كانت حمص وقنسرين شيئاً واحداً وهى كورة بالشام منها حلب وكانت قنسرين مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص بقرب العواصم واسم حمص عند الروم *EMESA*

(٢) الرقة أصله كل أرض إلى جنب وادينبسط عليها الماء وجمعها رقاق وقيل الرقاق الأرض اللينة من غير رمل وهى مدينة مشهورة علي الفرات بينها وبين حران ثلاثة أيام معدودة فى بلاد الجزيرة لأنها من جانب الفرات الشرقى

نَصيبين [1] فان أهل قرقيسياء لهم السلف ثم لينفضا حران والرهاء وسرح الوليد بن عقبة على عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ وسرح عياضاً فان كان قتالا فقد جعلت أمرهم جميعاً إلى عياض بن غنم وكان عياض من أهل العراق الذين خرجوا مع خالد بن الوليد ممدين لأهل الشام وممن انصرف أيام انصراف أهل العراق ممدين لأهل القادسية وكان يرافد أبا عبيدة .فمضى القعقاع فى أربعة آلاف من يومهم الذى أتاهم فيه الكتاب نحو حمص وخرج عياض وأمراء الجزيرة فأخذوا طريق الجزيرة على الفراض وغير الفراض وتوجه كل أمير إلى الكوفة التى أمر عليها فاتي سهيل الرقة وخرج عمر من المدينة مغيثا لأبى عبيدة يريد حمص حتى نزل الجابية . ولما بلغ أهل الجزيرة الذين أعانوا على أهل حمص خبر الجنود الاسلامية تفرقوا إلى بلادهم وفارقوا الروم فلما فارقوهم استشار أبو عبيدة خالداً فى الخروج إلى الروم فأشار به فخرج اليهم فقاتلهم ففتح الله عليه وقدم القعقاع بن عمرو بعد الوقعة بثلاثة أيام فكتبو إلى عمر بالفتح وبقدوم المدد عليهم والحكم فى ذلك فكتب اليهم أن أشركوهم فانهم نفروا اليكم وانفرق لهم عدوكم . وقال جزى الله أهل الكوفة خيراً يكفون حوزتهم ويمدون أهل الأنصار فلما فرغوا رجعوا

---

(١) نصيبين مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام وكان بها عقارب كثيرة

فتح الجزيرة

سنة ١٧ هـ

سميت الجزيرة لأنها بين دجلة والفرات مجاورة الشام تشتمل على ديار مضر وديار بكر . ودجلة والفرات يقبلان من بلاد الروم وينحطان متسامتين حتى يلتقيا قرب البصرة ثم يصبان فى البحر وهى صحيحة الهواء جيدة الريع والنماء واسعة الخيرات . بها مدن جليلة وحصون وقلاع كثيرة ومن أمهات مدنها حران والرهاء والرقة ورأس عين ونصيبين وسنجار والخابور وماردين وآمد وميافارتين والموصل وغير ذلك

كتب عمر إلى سعد بن أبى وقاص إن الله قد فتح على المسلمين الشام والعراق فابعث من عندك جنداً إلى الجزيرة وأمر عليهم أحد الثلاثة خالد بن عرفطة أو هاشم بن عتبة أو عياض بن غنم. فلما انتهى إلى سعد كتاب عمر ، قال ما أخر أمير المؤمنين عياض بن غنم آخر القوم إلا أنه له فيه هوى أن أوليه وأنا موليه فبعثه وبعث معه جيشاً وبعث أباموسى الأشعرى وابنه عمر بن سعد وهو غلام حدث السن ليس له من الأمر شىء وعثمان بن أبى العاص بن بشر الثقفى فخرج عياض إلى الجزيرة فنزل بجنده على الرُّهاء[1] فصالحه أهلها وصالحت

(١) الرهاء بالمد والقصر . مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ

حران حين صالحت الرهاء فصالحه اهلها على الجزية . ثم بعث أبا موسى الأشعرى إلى نصيبين ووجه عمر بن سعد إلى رأس العين فى خيل ردءاً للمسلمين وسار بنفسه فى بقية الناس إلى دارا (١) فنزل عليها حتى افتتحها فافتتح أبو موسى نصيبين وأجرى المسلمون كل ما أخذوه من الجزيرة عنوة مجرى الذمة فكانت الجزيرة أسهل البلدان فتحاً فكانت تلك السهولة مهجنة عليهم وعلى من أقام فيهم من المسلمين وقال عياض بن غنم :

من مبلغ الأقــوام أن جموعنا — حوت الجزيرة يوم ذات زحام
جمعوا الجزيرة والغياب فنفسوا — عمن بحمص غيـابة القـدام
إن الاعزة والأكارم معشر — فضوا الجزيرة عن فراخ الهام
غلبوا الملوك على الجزيرة فانتهوا — عن غزو من يأوى بلاد الشام

فتح ارمينية

ارمينية بكسر أوله ويفتح . اسم لصقع عظيم واسع فى جهة الشمال والنسبة اليها أرمنى . قيل هى أربع أرمينيات الأولى بيلقان وقبلة وشروان وما انضم اليها عد منها. والثانية جُرْدانْ وصُغْديبل

---

(١) دارا بلدة فى لحف جبل بين نصيبين وما ردين ذات بساتين ومياه جارية ومن أعمالها يجلب المحلب الذى تتطيب به الاعراب وعندها كان معسكر دارا بن دارا الملك ابن قباذ الملك لما لقى الاسكندر فقتله الاسكندر وتزوج ابنته وبنى هذه المدينة وسماها باسمه

وباب فيروز قُباد واللكز والثالثة البُسْفُرجان ودبيل وسراج طير وبغروند والنَّشَوى . والرابعة وبها صفوان بن المعطل صاحب رسول الله وهو قرب حصن زياد

وقد توجه عثمان بن أبي العاص إلى أرمينية الرابعة فكان عندها شيء من قتال أُصيب فيه صفوان بن المعطل السُلَمى شهيداً ثم صالح أهلها عثمان بن ابى العاص على الجزية على كل أهل بيت دينار

خروج عمر إلى الشام

سنة ١٧هـ

خرج عمر من المدينة إلى الشام غازياً حتى إذا كان بسَرْغ (١) لقيه أمراء الجند فأخبروه أن الأرض سقيمة فرجع بالناس إلى المدينة ولقد كان بالشام طاعون فأخبروه به . وعن عبد الله بن عباس خرج غازياً وخرج معه المهاجرون والأنصار وأوعب الناس معه حتى إذا نزل بسرغ لقيه أمراء الأجناد ابو عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبى سفيان وشرحبيل بن حسنة فأخبروه أن الأرض سقيمة فقال عمر اجمع الىّ المهاجرين الأولين فجمعهم له فاستشارهم فاختلفوا عليه فمنهم القائل خرجت لوجه تريد فيه الله وماعنده ولا نرى أن يصدك عنه

(١) سرغ وهو أول الحجاز وآخر الشام .قال مالك بن أنس هي قرية بوادى تبوك وهى آخر عمل الحجاز الأول

بلاء عرض لك . ومنهم القائل إنه لبلاء وفناء مانرى أن تقدم عليه فلما اختلفوا عليه قال قوموا عنى ثم قال اجمع لى مهاجرة الأنصار فجمعتهم له فاستشارهم فسلكوا طريق المهاجرين فكأنما سمعوا ماقالوا فقالوا مثله فلما اختلفوا عليه قال قوموا عنى ثم قال اجمع لى مهاجرة الفتح من قريش فجمعتهم له فاستشارهم فلم يختلف عليه منهم اثنان وقالوا ارجع بالناس فانه بلاء وفناء فقال لى عمر يا ابن عباس اصرخ فى الناس فقل ان امير المؤمنين يقول لكم اني مصبح على ظهر . فأصبحوا عليه فأصبح عمر على ظهر وأصبح الناس عليه فلما اجتمعوا عليه قال أيها الناس انى راجع فارجعوا فقال له أبو عبيدة «أفراراً من قدر الله ؟! »قال « نعم من قدرالله إلى قدر الله .أرأيت لوأن رجلا هبط وادياً له عدوتان إحداهما خصبة والأخرى جدبة أليس يرعى من رعى الجدبة بقدر الله ويرعى من رعى الخصبةبقدر الله ؟ » ثم قال « لو غيرك يقول هذا يا أبا عبيدة !» ثم خلا به بناحية دون الناس فبينما الناس على ذلك إذا أتي عبدالرحمن بن عوف وكان متخلفاً على الناس لم يشهدهم بالأمس . فقال ماشأن الناس ؟ فأخبر الخبر فقال عندى من هذا علم . فقال عمر فأنت عندنا الأمين المصدق فماذا عندك ؟ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تقدموا عليه وإذا وقع وأنتم به فلا تخرجوا فراراً منه ولا يخرجنكم إلا ذلك »فقال عمر فلله الحمد . إنصرفوا أيها الناس فانصرف بهم . ولما رجع عمر رجع عمال الاجناد إلى أعمالهم

وقع هذا الطاعون بالشام ومصر والعراق واستقر بالشام ومات فيه خلق كثير فى المحرم وصفر ولما خرج عمر كان الطاعون بالشام بالغاً أشده

موقعة قِنَّسرين

أرسل أبو عبيدة بعد فتح حمص خالد بن الوليد إلى قنسرين[١] فلما نزل بالحاضر زحف إليهم الروم وكانوا تحت قيادة ميناس فالتقوا بالحاضر فقتل ميناس ومن معه فلم يبق منهم واحد . وأما أهل الحاضر فأرسلوا إلى خالد أنهم عرب وأنهم إنما حشروا ولم يكن رأيهم حربه فقبل منهم وتركهم . سار خالد حتى نزل قنسرين فتحصنوا منه فقال : إنكم لو كنتم فى السحاب لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم الله إلينا » فتبدروا فى أمرهم وذكروا ما لقى أهل حمص فصالحوه على صلح حمص

فتح انطاكية

سنة ٦٢٦ م

أنطاكية قصبة العواصم من الثغور الشامية هواؤها طيب وماؤها عذب وفواكهها كثيرة وبينها وبين البحر نحو فرسخين

(١) كانت قنسرين كرسى المملكة المنسوبة اليوم إلى حلب وكانت حلب من جملة أعمال قنسرين

وسار ابو عبيدة إلى أنطاكية وقد لحق بها خلق من أهل جند قنسرين فلما صار بمهروبة على فرسخين من أنطاكية لقيه جمع للعدو ففضهم وألجأهم إلى المدينة فحاصرها ثم صالحه أهلها على الجزية والجلاء فجلا بعضهم وأقام بعضهم فأمنهم ووضع على كل حالم ديناراً وجريبا ثم نقضوا العهد وفتحت ثانيا

موقعة مرج الروم

خرج أبو عبيدة بخالد بن الوليد من فحل إلى حمص وانصرف بمن أضيف إليهم من اليرموك فنزلوا جميعاً على ذى الكلاع وقد بلغ الخبر هرقل فبعث تيودرا البطريق حتى نزل بمرج دمشق وغربها فبدأ أبو عبيدة بمرج الروم وجمعهم هذا وقد هجم الشتاء عليهم والجروح فيهم فاشية فلما نزل على القوم بمرج الروم نازله شنس الرومى وكان أبو عبيدة بازائه وخالد بازاء تيودرا البطريق وأتى خالدا الخبر أن تيودرا قد رحل إلى دمشق فأجمع رأيه ورأى أبى عبيدة ان يتبعه خالد فاتبعه من ليلته فى جريدة وقد بلغ يزيد بن ابى سفيان الذى فعل فاستقبله فاقتتلوا ولحق بهم خالد وهم يقتتلون فأخذهم من خلفهم فقتلوا ولم يفلت منهم إلا الشريد وغنم المسلمون مغانم كثيرة وقسم ذلك يزيد على اصحابه واصحاب خالد ثم انصرف يزيد إلى دمشق وخالد إلى ابي عبيدة . وقتل ابو عبيدة شنس وامتلأ المرج من قتلاهم .

فتح قيسارية[1]

١٧ ﻫ — ٦٣٨ م

كتب عمر إلى معاوية : « اما بعد فاني قد وليتك قيسارية فسر إليها واستنصر الله عليهم واكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله الله ربنا وثقتنا ورجاؤنا ومولانا . نعم المولى ونعم النصير » فسار معاوية فى جنده حتى نزل على اهل قيسارية فحاصرهم وكانوا كلما زاحفوه هزمهم وردهم الى حصونهم واخيرا خرجوا وقاتلوا قتال المستميت فبلغت قتلاهم ٨٠٫٠٠٠ فى المعركة وكلها فى هزيمتهم ١٠٠٫٠٠٠ وكتب معاوية الى عمر بالفتح

فتح بيسان ووقعة أجنادين

بيسان مدينة بالأردن بالغور الشامى وهى بين حوران وفلسطين وبها عين الفلوس وهى عين فيها ملوحة يسيرة . وهى بلدة وبئة حارة اهلها سمر الألوان جعد الشعور لشدة الحر عندهم واليها ينسب الخمر قالت ليلى الأخيلية فى توبة :

جزى الله خيراً والجزاء بكفه   فتى من عُقَيل ساد غير مكلَّف
فتى كانت الدنيا تهون بأسرها   عليه ولم ينفك جَمّ التصرف

(١) بلد على ساحل بحر الشام تعد من اعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة ايام وكانت قديما من امهات المدن

ينـال عليّات الأمور بهونة اذا هى أعيت كل خرق مشرّف
هو الذوب او أرى الضحال شبته بدرياقة من خمر بيسان قرقف

أما أجنـادين فسهل مرمل واقع على جنوبى دمشق بين الرملة وبيت جبرين من أرض فلسطين .

لمـا انصرف أبو عبيدة وخالد الى حمص نزل عمرو وشرحبيل على اهل بيسان فافتحاها وصالحا اهل الأردن واجتمع عسكر الروم بغزة واجنادين وبيسان وسار عمرو وشرحبيل الى الأرطبون ومن معه وهو بأجنادين واستخلف على الأردن ابا الأعور فنزل بالأرطبون ومعه الروم وكان الأرطبون هذا قائداً عظيما من دهاة الروم وكان قد وضع بالرملة جيشا عظيما وبايلياء كذلك [1] فلمـا بلغ عمر بن الخطاب الخبر قال : « رمينا ارطبون الروم بأرطبون العرب فانظروا عما تنفرج» يريد بأرطبون العرب عمرو بن العاص

وكان معاوية قد شغل اهل قيسارية عن عمرو وكان عمرو قد جعل علقمة بن حكيم الفراسى ومسروق بن فلان العـكى على قتال ايلياء فشغلوا من به عنه وجعل ايضا ابا ايوب المالكى على من بالرملة من الروم فشغلهم عنه وتابعت الأمداد من عند عمر الى عمرو على اجنادين لا يقدر من الأرطبون [2] على سقطة ولا تشفيه الرسل بشىء لاكتشاف امره والوقوف على سره وسر جيشه

---

(١) ايلياء اسم مدينة بيت المقدس قيل معناه بيت الله

(٢) ARETION

(حيلة عمرو بن العاص)

لمـا ضاقت الحيل بعمرو بن العاص « ارطبون العرب » على حد قول الخليفة عمر بن الخطاب توصل الى الدخول الى الأرطبون بنفسه كأنه رسول . فأبلغه ما يريد وسمع كلامه وتأمل حصونه حتى عرف ما أراد . فقال ارطبون فى نفسه والله ان هذا لعمرو او انه للذى يأخذ عمرو برأيه وما كنت لأصيب القوم بأمر اعظم عليهم من قتله (باعتبار انه جاسوس) ثم دعا احد الحراس وساره بقتله . فقال اخرج فقم مكان كذا وكذا فاذا مر بك فاقتله وفطن لذلك عمرو فقال قدسمعت منى وسمعت منك فأما ماقلته فقد وقع منى موقعا وانا واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب مع هذا الوالى لنـكانفه ويشهدنا اموره فأرجع فآتيك بهم الآن فان رأوا فى الذى عرضت مثل الذى ارى فقد رآه اهل العسكر والأمير وإن لم يروه رددتهم وكنت على رأس امرك فقال نعم ودعا رجلا فساره وقال اذهب إلى فلان فرده اليّ . فرجع اليه الرجل . وقال لعمرو انطلق فجيء باصحابك . فخرج عمرو ونجا من الموت بفضل فطنته وحيلته ورأى أن لا يعود لمثلها وعلم أرطبون بانه قد خدعه . فقال خدعنى الرجل هذا أدهى الخلق فبلغت هذه القصة الخليفة فقال : « غلبه عمرو . لله عمرو » وناهضه عمرو وقد عرف مأخذه وعاقبته والتقوا ولم يجد من ذلك بداً فالتقوا بأجنادين فاقتتلوا قتالا شديدا كقتال اليرموك حتى كثرت القتلى بينهم وانهزم أرطبون إلى إيلياء ونزل

عمرو أجنادين وأفرج المسلمون الذين يحصرون بيت المقدس لأرطبون فدخل إيلياء وأزاح عنه إلى عمرو . وفى هذه الوقعة يقول زياد بن حنظلة :

ونحن تركنا أرطبون مطرّدا ... إلى المسجد الأقصى وفيه حسور
عشية أجنادين لما تتابعوا ... وقامت عليهم بالعراء نسور
عطفنا له تحت العجاج بطعنة ... لها نشج نأى الشهيق غزير
فطمنا به الروم العريضة بعده ... عن الشام أدنى ما هناك شطير
تولت جموع الروم تتبع إثره ... تكاد من الذعر الشديد تطير
وغودر صرعى فى المكر كثيرة ... وعاد اليه الفل وهو حسير

خروج عمر بن الخطاب إلى الشام

كتب عمرو بن العاص إلى عمر يستمده ويقول إنى أعالج حربا كؤوداً صدوما وبلاداً ادخرت لك فرأيك فلما وصله الكتاب عرف أن عمراً لم يقل إلا بعلم فنادى فى الناس ثم خرج فيهم حتى نزل بالجابية وجميع ماخرج عمر إلى الشام أربع مرات فأما الأولى فعلى فرس واما الثانية فعلى بعير وأما الثالثة فقصر عنها لان الطاعون مستعر وأما الرابعة فدخلها على حمار فاستخلف عليها وخرج وقد كتب بمخرجه أول مرة إلى أمراء الأجناد أن يوافوه بالجابية ليوم سماه لهم وان يستخلفوا على أعمالهم فلقوه حيث رفعت لهم الجابية فكان أول من لقيه يزيد ثم أبو عبيدة ثم خالد على الخيول عليهم

الديباج والحرير. فنزل وأخذ الحجارة فرماهم بها وقال (سَرع ما لفتم عن رأيكم إياى تستقبلون فى هذا الزى وإنما شبعتم منذ سنتين سرع ماندت بكم البطنة وتالله لو فعلتموها على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم) فقالوا ياأمير المؤمنين إنها يلامقة وان علينا السلاح. قال فنعم إذاً وركب حتى دخل الجابية وعمرو وشرحبيل بأجنادين لم يتحركا من مكانهما

فتح بيت المقدس

وهو إيلياء

آخر سنة ١٥ هـ — آخر سنة ٦٣٧ م

سير أبو عبيدة إلى بيت المقدس سبعة جيوش وعلى كل جيش قائد ضم اليه ٥٠٠٠ فارس. وعقد لكل قائد راية. فكان جملة من سيره ٣٥٠٠٠ فارس وهذه أسماء القواد :

(١) خالد بن الوليد (٢) يزيد بن أبى سفيان

(٣) شرحبيل بن حسنة (٤) المرقال بن هاشم بن عتبة بن أبى وقاص (٥) المسيب بن نجية الفزارى (٦) قيس بن هبيرة المرادى (٧) عروة بن مهلهل بن زيد الخيل

وكانت فرسان شرحبيل من أهل اليمن وأمر أبو عبيدة المرقال أن ينزل الحصن وهو منعزل عن أصحابه

سار الأمراء السبعة فى سبعة ايام فى كل يوم أمير وذلك كله

ليرهب به العدو فبقى كل يوم ينزل عليهم أمير بجيشه . فكان أول من طلع عليهم بالراية خالد بن الوليد فلما أشرف عليهم مبر وكبر أصحابه فلما سمع أهل بيت المقدس ضجيج أصواتهم انزعجوا وتزعزعت قلوبهم وصعدوا أسوار بلدهم . فلما نظروا إلى قلة المسلمين استحقروهم وظنوا أن ذلك جميع المسلمين فنزل خالد ومن معه مما يلي «باب اريحا» وأقبل فى اليوم الثاني يزيد بن أبى سفيان وفى اليوم الثالث شرحبيل ابن حسنة وأقبل فى اليوم الرابع المرقال واقبل فى اليوم الخامس المسيب بن نجية وأقبل فى اليوم السادس قيس بن هبيرة واقبل فى اليوم السابع مهلهل بن زيد فنزل مما يلى طريق الرملة

وأقام العسكر على بيت المقدس ثلاثة ايام لا يبارزهم احد ولا ينظرون رسولا يأتى اليهم ولا يكلمهم احد من اهلها إلا انهم قد حصنوا أسوارهم بالمنجنيق والطوارق والسيوف والدرق والجواشن والزرد الفاخر . قال المسيب بن نجيـة مانزلنا ببلد من بلاد الشام فرأينا أكثر زينة ولا أحسن عدة من بيت المقدس . وما نزلنا بقوم إلا وتضعضعوا لنا وداخلهم الهلع واخذتهم الهيبة الا أهل بيت المقدس . نزلنا بازائهم ثلاثة ايام فلم يكلمنا احد ولا ينطقون غير ان حارسهم شديد وعدتهم كاملة . فلما كان اليوم الرابع قال رجل من البادية لشرحبيل بن حسنة أيها الأمير كأن هؤلاء القوم صم فلا يسمعون او بكم فلا ينطقون او عمى فلا يبصرون ازحفوا بنا اليهم . فلما كان اليوم الخامس وقد صلى المسلمون صلاة الفجر كان

أول من ركب من المسلمين من الأمراء لسؤال اهل بيت المقدس يزيد بن ابى سفيان فشهر سلاحه وجعل يدنو من سورهم وقد اخذ معه ترجمانا يبلغه عنهم ما يقولون ووقف بازاء سورهم بحيث يسمعون خطابه وهم صامتون . فقال لترجمانه : قل لهم امير العرب يقول لكم ماذا تقولون فى إجابة الدعوة الى الاسلام والحق وكلمة الاخلاص وهى كلمة لا إله الا الله محمد رسول الله حتى يغفر لكم ربنا ما سلف من ذنوبكم وتحقنون بها دماءكم وان أبيتم ولم تجيبونا فصالحونا عن بلدكم كما صالح غيركم ممن هو أعظم منكم عدة وأشد منكم . وإن أبيتم هاتين الحالتين حل بكم البوار وكان مصيركم إلى النار . فتقدم الترجمان اليهم وقال لهم من المخاطب عنكم ؟ فكلمه قس من القساوسة عليه مدارع الشعر وقال أنا المخاطب عنهم ماذا تريد ؟ فقال الترجمان: إن هذا الأمير يقول كذا وكذا ويدعوكم إلى إحدى هذه الخصال الثلاث . إما الدخول فى الاسلام أو أداء الجزية وإما السيف . فبلغ القس من وراء ما قال الترجمان فقالوا لا نرجع عن دين العز والقبول . وإن قتلنا أهون علينا من ذلك. فبلغ الترجمان ذلك لزيد. فمشى إلى الأمراء وأخبرهم بجواب القوم . قال لهم ماانتظاركم بهم ؟ فقالوا إن الأمير أبا عبيدة ماأمرنابالقتال ولا بحرب القوم بل بالنزول عليهم ولكن نكتب إلى أمين الأمة فان أمرنا بالزحف زحفنا . فكتب يزيد بن أبي سفيان إلى أبى عبيدة يعلمه بما كان من جواب القوم فما الذى تأمر به فكتب اليهم أبو

عبيدة يامر بالزحف وأنه واصل فى أثر الكتاب. فلما وقف المسلمون على كتاب أبي عبيدة فرحوا واستبشروا وباتوا ينتظرون الصباح وكل أمير يريد أن يفتح على يديه فيتمتع بالصلاة فيه والنظر إلى آثار الأنبياء. فلما أضاء الفجر أذن وصلت الناس صلاة الفجر فقرأ يزيد (ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا[1] الآية) فيقال إن الأمراء أجرى الله على ألسنتهم فى تلك الصلاة أن قرأوا هذه الآية كأنهم على ميعاد واحد فلما فرغوا من الصلاة نادوا النفير النفير. ياخيل الله اركبى. فأول من برز للقتال حِمْيَر ورجال اليمن. وبرز المسلمون للحرب كأنهم أسود ضارية ونظر اليهم أهل بيت المقدس وقد انشرحوا لقتالهم فنشطهم ورشقوا المسلمين بالنشاب فكانت كالجراد فجعل المسلمون يتلقونها بدرقهم فلم تزل الحرب بينهم من الغد إلى الغروب يقاتلون قتالا شديداً ولم يظهروا فزعاً ولا رعباً ولم يطمعوهم فى بلدهم. فلما غربت الشمس رجع الناس وصلى المسلمون مافرض الله عليهم وأخذوا فى إصلاح شأنهم وعشائهم فلما فرغوا من ذلك أوقدوا النيران واستكثروا منها لأن الحطب عندهم كثير . فبقى قوم يصلون وقوم يقرأون وقوم يتضرعون وقوم نائمون مما لحقهم من التعب والقتل فلما كان الغد بادر المسلمون اليهم وذكروا الله كثيراً وأثنوا عليه وصلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدمت رماة النبل واقبلوا

(١) سورة المائدة

يرمون ويذكرون الله وهم يضجون إلى الله بالدعاء. ولم يزل المسلمون على قتال عدة أيام فلما كان اليوم الحادى عشر أشرفت عليهم راية أبى عبيدة يحملها غلامه سالم ومن ورائها فرسان المسلمين وقد أحدقوا بأبى عبيدة وجاءت النسوان والأموال وضج الناس ضجة واحدة بالتهليل والتكبير فأجابتهم القبائل ووقع الرعب فى قلوب أهل بيت المقدس ثم جاء البطرق (١) ليرى الأمير القادم وصعد على السور من الجهة التى فيها أبو عبيدة فناداهم رجل ممن كان يمشى بين يدى البطرق فقال: يامعشر المسلمون كفوا عن القتال نستخبركم ونسألكم فامسك الناس عن القتال فناداهم رجل من الروم بلسان عربى فصيح: اعلموا أن صفة الرجل الذى يفتح بلدنا هذا وجميع الأرض عندنا فان كان هو أميركم فلا نقاتلكم بل نسلم اليكم وإن لم يكن إياه فلا نسلم اليكم أبداً

فلما سمع المسلمون ذلك أقبل نفر منهم إلى أبى عبيدة وحدثه بما سمعوه. فخرج أبو عبيدة اليهم إلى أن حازاهم فنظر البطرق اليه وقال ليس هو هذا الرجل فابشروا وقاتلوا عن بلدكم ودينكم وحريمكم. فاقبلوا يقاتلون كما كانوا وعلى البطرق من غير أن يخاطب

(١) اسم هذا البطرق صفرونيوس ولد بدمشق وبقى راهباً مدة طويلة ببيت المقدس ثم رحل إلى الاسكندرية ثم طرده منها الفرس واستقر أخيراً بفلسطين وفى سنة ٦٣٤م تعين بطريقاً لبيت المقدس سنه ٦٣٧م صالح المسلمين ولم تطل حياته بعد ذلك وقد كان كاتباً وشاعراً وله عدة مؤلفات على القديسين والشهداء وخطط مصر

ابا عبيدة بكلمة واحدة وشد المسلمون عليهم الحرب وكان نزول المسلمين على بيت المقدس فى الشتاء فظن الروم أن المسلمين لا يقدرون عليهم فى ذلك الوقت ونشط عرب اليمن يرمون الروم بالنبل ويصيبونهم فيتهافتون من سورهم كالغنم. فلما رأوا ما صنع بهم النبل احترزوا منه وستروا السور بالحجف والجلود

ولم يزل ابو عبيده ينازل بيت المقدس اربعة اشهر كاملة وما من يوم إلا ويقاتلهم قتالا شديداً والمسلمون صابرون على البرد والثلج والمطر. فلما نظر اهل بيت المقدس إلى شدة الحصار قصدوا البطرق وشرحوا له حالهم وإن ملكهم شغل عنهم بنفسه ولم يرسل اليهم المدد وطلبوا اليه أن يخاطب العرب وينظر ما يريدون فصعد معهم على السور واشرف على المكان الذى فيه ابو عبيدة فنادى منهم رجل بلسان فصيح : يامعشر العرب إن عمدة دين النصرانية وصاحب شريعتها قد اقبل يخاطبكم فليدن منا أميركم فاخبروا أبا عبيدة بمقالهم فقال والله إنى لأجيبه حيث دعانى ثم قام ابو عبيدة وجماعة من الأمراء والصحابة ومعه ترجمان. فلما وقف بازائه، قال لهم الترجمان ما الذى تريدون منا فى هذه البلدة المقدسة ومن قصدها يوشك ان يغضب الله عليه ويهلكه. فاخبره الترجمان بذلك فقال قل لهم نعم إنها بلدة شريفة ومنها اسرى بنبينا إلى السماء ودنا من ربه كقاب قوسين او ادنى وإنها معدن الأنبياء وقبورهم فيها ونحن احق منكم بها ولا نزال عليها أو يملكنا الله إياها كما ملكنا غيرها. قال البطرق

فما الذى تريدون منا ؟ قال ابو عبيدة : خصلة من ثلاث أولها ان تقولوا لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله فان اجبتم إلى هذه الكلمة كان لكم مالنا وعليكم ماعلينا . قال البطرق انها كلمة عظيمة ونحن قائلوها إلا ان نبيكم محمدا مانقول انه رسول الخ ثم قال هذه خصلة لا نجيبكم اليها فما الخصلة الثانية ؟ فقال ابو عبيدة تصالحونا عن بلدكم او تؤدون الجزية الينا عن يد وانتم صاغرون كما أداها غيركم من أهل الشام . قال البطرق هذه الخصلة اعظم علينا من الأولى وما كنا بالذى يدخل الذل والصغار ابداً فقال ابو عبيدة مانزال نقاتلكم حتى يظفرنا الله بكم . وحدثت محاورة بين الرجلين ثم قال البطرق إننا نجد فى كتبنا وما قرأناه من علمنا أنه يفتح هذه البلدة صاحب محمد اسمه عمر يعرف بالفاروق وهو رجل شديد لا تأخذه فى الله لومة لائم ولسنا نرى صفته فيكم . فلما سمع أبو عبيدة ذلك تبسم ضاحكا وقال فتحنا البلد ورب الكعبة ثم أقبل عليه وقال له إذا رأيت الرجل تعرفه؟ قال نعم وكيف لا أعرفه وصفته عندى وعدد سنينه وأيامه ! قال أبو عبيدة هو والله خليفتنا وصاحب نبينا . فقال البطرق إن كان الأمر كما ذكرت فقد علمت صدق قولنا فاحقن الدماء وابعث إلى صاحبك يأت فاذا رأيناه وتبيناه وعرفنا صفته ونعته فتحنا له البلد من غير هم ولا نكد وأعطينا الجزية . فقال أبو عبيدة فانى أبعث إليه بأن يقدم علينا . أفتحبون القتال أم نكف عنكم ؟ فقال البطرق: معاشر العرب ألا تدعون بغيكم . أنخبركم بأننا قد صدقناكم

فى الكلام طلبا لحقن الدماء وأنتم تأبون إلا القتال قال أبو عبيدة: نعم لأن ذلك أشهى إلينا من الحياة نرجو به العفو والغفران من ربنا . فأمر أبو عبيدة بالكف عنهم وانصرف البطرق وكتب أبو عبيدة إلى عمر كتابا قال له فيه:

« بسم الله الرحمن الرحيم إلى عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، من عامله أبى عبيدة عامر بن الجراح . أما بعد : السلام عليك فانى أحمد الله الذى لا إله إلا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم . واعلم ياأمير المؤمنين إنا منازلون لأهل مدينة إيلياء نقاتلهم أربعة اشهر كل يوم نقاتلهم ويقاتلوننا ولقد لقى المسلمون مشقة عظيمة من الثلج والبرد والأمطار إلا أنهم صابرون على ذلك ويرجون الله ربهم . فلما كان اليوم الذى كتبت إليك الكتاب فيه أشرف علينا بطركهم الذى يعظمونه وقال إنهم يجدون فى كتبهم أنه لا يفتح بلدهم إلا صاحب نبينا واسمه عمر وأنه يعرف صفته ونعته وهو عندهم فى كتبهم وقد سألنا حقن الدماء . فسر إلينا بنفسك وانجدنا لعل الله أن يفتح هذه البلدة علينا على يديك » ثم انه طوى الكتاب وختمه واعطاه لميسرة بن مسروق العبسى ليوصله إلى عمر فلما تسلم الكتاب عمر استشار اصحابه فكان رأى عثمان ابن عفان استمرار القتال وعدم ذهاب عمر

وأشار عليه على بن ابى طالب بالذهاب فأخذ بمشورة على وأمر الناس بأخذ الأهبة للمسير معه والاستعداد واتي عمر المسجد فصلى فيه

اربع ركعات ثم قام إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليه وعلى ابى بكر رضى الله عنه واستخلف على المدينة على بن ابى طالب وخرج من المدينة واهلها يشيعونه ويودعونه وخرج على بعير له احمر وعليه غرارتان فى إحداهما سويق وفى الأخرى تمر وبين يديه قربة مملوءة ماء وخلفه جفنة للزاد وخرج معه جماعة من الصحابة وسار نحو بيت المقدس فكان إذا نزل منزلًا لا يبرح منه حتى يصلى الصبح فاذا انفتل من الصلاة أقبل على المسلمين وقال : « الحمد لله الذى اعزنا بالاسلام واكرمنا بالايمان وخصنا بنبيه عليه الصلاة والسلام وهدانا من الضلالة وجمعنا بعد الشتات على كلمة التقوى والف بين قلوبنا ونصرنا على عدونا ومكن لنا فى بلاده وجعلنا اخواناً متحابين فاحمدوا الله عباد الله على هذه النعمة السابغة والمنن الظاهرة فان الله يزيد المستزيدين الراغبين فيما لديه ويتم نعمته على الشاكرين»

قدوم عمر إلى الشام

ولما علم ابو عبيدة بمجىء عمر سار فى أناس من المهاجرين والأنصار حتى اشرف بمن معه على عمر فنظر عمر إلى ابي عبيدة وهو لابس سلاحه فتنكب قوسه وهو راكب على قلوصه مغطى بعباءة قطوانية وخطام قلوصه من شعر . فلما نظر ابو عبيدة إلى عمر رضى الله عنه اناخ قلوصه واناخ عمر بعيره وترجل كلاهما ومد ابو عبيدة

يده فصافح عمر وتعانقا جميعا وسلم بعضهما على بعض واقبل المسلمون يسلمون على عمر ثم ركبا جميعا وجعلا يسيران امام الناس وهما يتحادثان ولم يزالا كذلك حتى نزلا بيت المقدس . فلما نزلا صلى عمر بالمسلمين صلاة الفجر

خطبة عمر فى الجيش

ثم خطب عمر فقال :

« الحمد لله الحميد المجيد القوى الشديد الفعال لما يريد . إن الله تعالى قد اكرمنا بالاسلام وهدانا بمحمد عليه افضل الصلاة والسلام وازاح عنا الضلالة وجمعنا بعد الفرقة والف بين قلوبنا من بعد البغضاء فاحمدوه على هذه النعمة تستوجبوا منه المزيد . فقد قال الله تعالى : (لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد) ثم قرأ (ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشداً) اما بعد : فانى اوصيكم بتقوى الله عز وجل الذى يبقى ويفنى كل شىء سواه . الذى بطاعته ينفع اولياءه وبمعصيته يفنى اعداءه . ايها الناس ادوا زكاة اموالكم طيبة بها قلوبكم وانفسكم لا تريدون بها جزاء من مخلوق ولا شكوراً . افهموا ما توعظون به فان الكيس من احرز دينه وإن السعيد من اتعظ بغيره . الا ان شر الأمور مبتدعاتها وعليكم بالسنة . سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم فالزموها فان الاقتصاد فى السنة خير من الاجتهاد فى البدعة . والزموا القرآن فان فيه الشفاء والثواب

أيها الناس إنه قد قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كقيامى فيكم وقال الزموا اصحابى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يظهر الكذب حتى يشهد من لم يستشهد ويحلف من لم يحلف . فمن اراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة . وتعوذوا من الشيطان ولا يخلون احد منكم بامرأة فانهن حبائل الشيطان . ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن والصلاة الصلاة »

تواضع عمر وتقشفه

ولما هم عمر بالركوب على بعيره وعليه مرقعة من صوف وفيها اربع عشرة رقعة بعضها من أدم (جلد) قال له المسلمون لو ركبت بدل بعيرك جواداً ولبست ثيابا بيضاً . ففعل. قال الزبير احسب انها كانت من ثياب مصر تساوى خمسة عشر درهما وطرح على عاتقه منديلا من كتان ليس جديداً ولا بالخلق دفعه إليه ابو عبيدة وقدم اليه برذون اشهب من براذين الروم . فلما صار عمر على ظهره جعل البرذون يهملج به فلما نظر عمر إلى البرذون وفعاله نزل عنه مسرعا وقال أقيلوا عثرتى أقال الله عثرتكم يوم القيامة فقد كاد أميركم أن يهلك بما دخل قلبي من العجب والكبر وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من الكبر» ولقد كاد أن يهلكنى ثوبكم الأبيض وبرذونكم المهملج ثم أنه نزع ماكان عليه وعاد إلى لبس مرقعته ثم سار عمر يريد

العقبة ليصعد منها إلى بيت المقدس فلقيه قوم من المسلمين وعليهم الديباج مما أخذوه من اليرموك فأمر عمر أن يحثوا التراب فى وجوههم وأن تمزق عليهم ولم يزل على ذلك حتى أشرف على بيت المقدس . فلما نظر اليها قال « الله أكبر . اللهم افتح لنا فتحاً يسيراً واجعل لنا من لدنك سلطاناً نصيراً » . ثم سار واستقبلته العشائر والقبائل وأصحاب العقود حتى نزل بالموضع الذى كان فيه أبو عبيدة وضربت له خيمة من الشعر وجلس فيها هناك على التراب ثم قام يصلى أربع ركعات

خروج عمر إلى البطرق

علت للمسلمين ضجة عظيمة سمعها أهل بيت المقدس فسألهم البطرق أن ينظروا ماشأنهم فقيل لهم إن أمير المؤمنين قد قدم فلما كان الغد وصلى عمر بالناس صلاة الفجر ، قال لأبى عبيدة ياعامر تقدم إلى القوم واعلمهم أني قد أتيت فخرج أبو عبيدة وصاح بهم وقال ياأهل هذه البلدة إن صاحبنا أمير المؤمنين قد ورد فما تصنعون فيما قلتم ؟ فخرج البطرق من كنيسته فى محفل رهيب وصعد على السور وأشرف على أبى عبيدة فقال له أبو عبيدة هذا أمير المؤمنين عمر وليس عليه أمير قد أتى فطلب اليه أن يراه فهم عمر بالقيام فقال له أصحابه ياأمير المؤمنين أتخرج اليه منفرداً وليس عليك آلة حرب غير هذه المرقعة وإنا نخشى عليك منهم غدراً أو مكراً فينالون منك

فقال عمر : (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون)

ثم أمر ببعيره فقدم اليه فاستوى فى ركوبه عليه وعليه مرقعة ليس عليه غيرها وعلى رأسه قطعة عباءة قطوانية وقد عصب بها رأسه وليس معه غير أبي عبيدة وهو سائر بين يديه حتى قرب من السور ووقف بازائه فلما نظر اليه البطرق عرفه وقال لأهل بيت المقدس اعقدوا معه الأمان والذمة هذا والله صاحب محمد بن عبدالله ففتحوا الباب وخرجوا إلى عمر يسألونه العهد والميثاق والذمة . فلما نظر اليهم عمر تلك الحالة تواضع لله وخر ساجداً على قتب بعيره ثم نزل اليهم وقال إرجعوا إلى بلادكم ولكم الذمة والعهد إذا سألتمونا وأقررتم بالجزية . فرجع القوم إلى بلدهم ولم يغلقوا الأبواب ورجع عمر إلى عسكره فبات ليلة

دخول عمر بيت المقدس

فلما كان الغد قام عمر فدخل بيت المقدس بلا خوف ولا حذر وكان دخوله يوم الاثنين وأقام بها إلى يوم الجمعة وخطبها محراباً من جهة الشرق وهو موضع مسجده فتقدم وصلى هو وأصحابه صلاة الجمعة ولم يلمس المسلمون شيئاً من متاعهم وأموالهم واقام عمر ببيت المقدس عشرة أيام وارتحل بعد أن كتب لأهله عهداً وأقرهم فى بلدهم على الجزية وسار بمن معه فى العساكر إلى الجابية فأقام بها

ودوّن الدواوين وأخذ الخمس الذى لله مما أفاء الله على المسلمين ثم قسم الشام قسمين فأعطى أبا عبيدة من حوران إلى حلب ويليها وأمره بالمسير إلى حلب وأن يقاتل أهلها إلى أن يفتحها الله على يديه وأعطى أرض فلسطين وأرض القدس والساحل ليزيد بن أبى سفيان وجعل أبا عبيدة واليا عليه (١)

عهد أهل بيت المقدس

هـذا نص عهد أهل بيت المقـدس الذى أعطاه لهم عمر بن الخطاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين اهل إيلياء من الأمان . اعطاهم اماناً لأنفسهم واموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها . إنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقض منها ولا من خيرها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم احد من اليهود وعلى اهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى اهل المدائن وعليهم ان يخرجوا منها الروم (٢) واللصوت (٣) فمن خرج منهم فانه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن

---

(١) فتوح الشام للواقدي (٢) كان عدد من ببيت المقدس من الروم عند فتحها ١٢٠٠٠ وعدد السكان الأصليين ٥٠٠٠٠

(٣) اللصوص

أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن احب من أهل ايلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم[١] وصلبهم فانهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم . ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على اهل إيلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع إلى أهله فلا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم. وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية. شهد ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبى سفيان وكتب وحضر سنة خمسة عشر »

وأما سائر كتبهم فعلى كتاب لدّ[٢] وهذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هـذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل لد ومن دخل معهم من أهل فلسطين أجمعين أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبهم وسقيمهم وبريئهم وسائر ملتهم .أنه لاتسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقض منها ولا من حيزها

---

(١) كنائسهم

(٢) لد بالضم والتشديد قرية قرب بيت المقدس من نواحى فلسطين قال المعلى بن طريف مولى المهدي:

ياصاح إنى قد حججت ... وزرت بيت المقدس

وأتيت لداً عامداً ... فى عيد مارى سرجس

فرأيت فيه نسوة ... مثل الظباء الكنس

ولا مللها ولا من صلبهم ولا من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم وعلى أهل لد ومن دخل معهم من أهل فلسطين أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل مدائن الشام وعليهم إن خرجوا مثل ذلك الشرط إلى آخره »

جاء في المقريزى أن عمر بن الخطاب لما فتح مدينة القدس كتب للنصارى أمانا على أنفسهم وأولادهم ونسائهم وأموالهم وجميع كنائسهم لاتهدم ولا تسكن وإنه جلس فى وسط صحن كنيسة القمامة فلما حان وقت الصلاة خرج وصلى خارج الكنيسة على الدرجة التى على بابها بمفرده ثم جلس وقال للبطرك لوصليت داخل الكنيسة لأخذها المسلمون من بعدى وقالوا هنا صلى عمر وكتب كتاباً يتضمن أنه لا يصلى أحد من المسلمين على الدرجة الا واحد واحد ولا يجتمع المسلمون بها للصلاة.ولا يؤذنون عليها وانه أشار عليه البطرك باتخاذ موضع الصخرة مسجداً وكان فوقها تراب كثير فتناول عمر رضى الله عنه من التراب فى ثوبه فبادر المسلمون لرفعه حتى لم يبق شىء وعمّر المسجد الأقصى امام الصخرة

ثم أن عمر رضى الله عنه أتي بيت لحم وصلى فى كنيسة عند الخشبة التى ولد فيها المسيح وكتب سجلا بأيدى النصارى ان لا يصلى فى هذا الموضع احد من المسلمين إلا رجل بعد رجل ولا يجتمعوا فيه للصلاة ولا يؤذنوا عليه

إن العهد الذى أخذه عمر على أهل الشام كان فى غاية الاعتدال

فلا قسوة ولا ظلم ولا اضطهاد ولا تعصب للدين فقد أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم ومنع هدم الكنائس واتخاذها سكناً ومنحهم حرية الاقامة والهجرة وكان بيت المقدس محترما فى نظر المسلمين لا لأنه مهد اليهودية والنصرانية بل لأنه كان قبلة الاسلام الأولى ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسرى به إلى المسجد الأقصى ومنه عرج إلى السموات. ولم تطل إقامه عمر بالقدس بل عاد إلى المدينة بعد فراغه من الصلح وفر أرطبون قائد الجيوش الرومانية إلى الاسكدرية

ويلاحظ القارىء أن مقاومة الروم للعرب كانت ضعيفة فقد كان عرب الشام يميلون إلى الفاتحين لما بينهما من تجانس ولما لاقوه من اضطهاد الروم ولما شاهدوا من عدل المسلمين ولذلك لم يقاوموا فتح العرب بل قابلوه بفتور وكانوا على الحياد تقريبا ثم إن السكان أنفسهم دب فيهم الضعف بسبب انغماسهم فى اللذات وسلوكهم سبيل الترف والتنعم وبالطبع من كان هذا شأنه لا يقاتل بحماسة الجيوش الاسلامية الذين لا يرهبون المنية بل يلاقونها بصدور رحبة وهناك سبب غير هذا كله وهو عجز الأمبراطورية الرومانية وضعفها فانها كانت قد فقدت القوة اللازمة لدفع غزو العرب. اما هرقل فانه فر إلى القسطنطينية

فتح مدينة حلب

سنة ١٦ هـ — ٦٣٨ م

حلب واسمها القديم خاليبون ثم بيريا. هى مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات طيبة الهواء صحيحة الأديم والماء وهى قصبة جند قنسرين.

لما فرغ أبو عبيدة من قنسرين سار إلى حلب فبلغه أن أهل قنسرين نقضوا وغدروا فأرسل اليها جماعة وسار حتى وصل إلى ظاهر حلب وهو قريب منها فجمع أصنافا من العرب وصالحهم على الجزية ثم أسلموا بعد ذلك وأتى حلب وعلى مقدمته عياض بن غنم الفهرى وتحصن أهلها وحصرهم المسلمون فلم يلبثوا أن طلبوا الصلح والأمان على أنفسهم وأولادهم ومدينتهم وكنائسهم وحصنهم. وقيل ان ابا عبيدة لم يصادف بحلب احداً لأن اهلها انتقلوا إلى انطاكية وارسلوا فى الصلح ولما تم رجعوا اليها وفى فتوح الشام للواقدى ان اهل حلب قالوا لأبي عبيدة نعطى نصف ما اعطى اهل قنسرين فقال ابو عبيدة قد قبلت منكم ذلك الخ

اما قلعتها فقد حاصرها المسلمون اربعة اشهر وقيل خمسة وقتل بطريقها جماعة من المسلمين وكتب عمر إلى ابى عبيدة يسأله عن سبب ابطاء الخبر عليه فكتب ابو عبيدة جواب الكتاب فقال:

« بسم الله الرحمن الرحيم. إلى ابى عبدالله امير المؤمنين عمر بن

الخطاب من عامله بالشام أبى عبيدة. سلام عليك وإنى أحمد الله تعالى واصلى على نبيه . وبعد ياامير المؤمنين فان الله تعالى له الحمد قدفتح على ايدنيا قنسرين وشننا الغارة على العواصم وقد فتح الله علينا حلب صلحا وقد عصت علينا قلعتها وبها خلق كثير مع بطريقها وقد كادنا مراراً وانه قتل منا رجالا ورزقهم الله الشهادة على يديه والله تعالى من ورائه بالمرصاد وقد اردنا الحيلة عليه فلم نقدر واردت الرحيل عنه وعن محاصرته إلى البلاد التى بين حلب وانطاكية وانا منتظر جوابك والسلام عليك وعلى جميع المسلمين » وبعث الكتاب مع عبدالله بن قرط وجعدة بن جبير فوصلا المدينة ودخلا المسجد على عمر ودفعا له الكتاب فلما قرأه استبشر وقرأه على المسلمين وكتب إلى ابى عبيدة كتابا هذا نصه :

« اما بعد فقد ورد علىّ كتابك مع رسلك فسرنى ما سمعت من الفتح والنصر على اعدائكم ومن قتل من الشهداء . واما ماذكرته من انصرافك إلى البلاد التى بين حلب وانطاكية وترك القلعة ومن فيها ، فهذا رأى غير صواب . تترك رجلا قد دنوت من دياره وملكت مدينته ثم ترحل فيبلغ ذلك إلى جميع النواحى أنك لم تقدر عليه ولم تصل اليه فيضعف ذكرك ويعلو ذكره ويطمع من يطمع ويجترىء عليك أجناد الروم خاصتهم وعامنهم وترجع اليه الجواسيس وتكاتب ملوكها فى أمرك . فاياك أن تبرح عن مجاهدته حتى يقتله الله أو يسلم اليك إن شاء الله تعالى أو يحكم الله وهو خير الحاكمين . وبث

الخيل فى السهل والوعر والضيق والسعة وأكناف الجبال والأودية وشن الغارات فى حدود الغارات ومن صالحكم منهم فاقبل صلحه ومن سالمك فسالمه . والله خليفتى عليك وعلى المسلمين وقد أنفذ كتابى هذا مع عصبة من حضرموت وغيرهم وأهل مشايخ اليمن ممن وهب نفسه لله تعالى ورغب فى الجهاد فى سبيل الله وهم عرب وموال فرسان ورجال . والمدد يأتيك متواتراً إن شاء الله تعالى والسلام» وختم الكتاب وسلمه لعبد الله بن قرط وجعدة . ثم وصل المدد إلى أبى عبيدة وكان معهم مولى من موالى نبى طريف من ملوك كندة يقال له رامس ويكنى بأبي الأهوال ، مشهور باسمه وكنيته وكان أسود كثير السواد مفرطاً فى الطول فارساً شجاعاً شاع ذكره فى بلاد كندة . فلما رأى الحصن ومناعته فكر طويلا واحتال فتوصل أخيراً إلى تسلقه مع رجال من المسلمين ثم فتح بابين من أبواب الحصن بعد أن قتل حراسهما وكانوا نائمين وعند ذلك دخل المسلمون وقاتلوا الروم قتالا شديداً ودخل خالد بن الوليد ومعه جيش الزحف ودخل ضرار وأمثاله . فلما رأى الروم ذلك وعلموا أنهم لا طاقة لهم بما وقع بهم ، ألقوا السلاح ونادوا الغوث ! الغوث ! وكفوا أنفسهم عن القتال . فكفت المسلمون أيديهم عنهم . فبينما هم كذلك إذ أقبل أبو عبيدة ومعه عساكر الاسلام فأخبروه أن الروم يطلبون الأمان وأن المسلمون قد رفعوا عنهم القتل إلى أن تأتى وترى فيهم رأيك فعرض عليهم الاسلام فأسلم جماعة من ساداتهم فرد عليهم أموالهم

واهاليهم واستبقى منهم الفلاحين وعفا عنهم من القتل والأسر وأخذ عليهم العهود ألا يكونوا إلا مثل أهل الصلح بالجزية وأخرجهم من العلقة

ثم اخرج المسلمون من الذهب والأوانى مالا يقع عليه عدد فاخرج منه الخمس وقسم الباقى على المسلمين واخذ الناس فى حديث دامس وحيله وعالجوا جراحه حتى برأ واعطاه ابو عبيدة سهمين

وقيل ان فتح حلب كان قبل فتح انطاكية

فتح عزاز

عَزَاز بليدة فيها قلعة وهى شمال حلب بينهما يوم . طيبة الهواء قيل ليس بها عقرب ولا شيء من الهوام

بعد ان فرغ ابو عبيدة من فتح حصن حلب بعث جيشاً إلى عزاز وامر عليها مالكا الأشتر النخعى ففتح المسلمون حصنها بلا عناء كبير بواسطة بطريق حلب الذى اسلم وحسن إسلامه . قال الواقدى فى فتوح الشام ان اسمه يوقنا وكتب ابو عبيدة إلى عمر بفتح قلعة حلب وحصن عزاز وجاء فى فتوح الشام ان أهل عزاز أسلموا باسلام قسهم

فتح المعرة وغيرها

مر أبو عبيدة بمعرة النعمان [١] فخرج أهلها يلعبون بين يديه ثم آتى فامية [٢] قلعة المضيق ففعل أهلها مثل ذلك . قال البلاذرى سار أبو عبيدة فى سنة ١٧ بعد افتتاح شيزر [٣] إلى فامية فتلقاه اهلها بالصلح فصالحهم على الجزية والخراج . اما اهل حماة وشيزر فقد أذعنوا

وسار يزيد إلى صيدا [٤] وبيروت وجبيل [٥] وعرقة [٦] ففتحها فتحاً يسيراً وبعث يزيد دحية بن خليفة إلى تدمر [٧] فى سرية ليمهدوا

---

(١) هى مدينة كبيرة قديمة مشهورة من اعمال حمص بين حلب وحماة ماؤها من الابار وعندهم الزيتون الكثير والتين ومنها كان ابو العلاء بن عبد الله بن سليمان المعرى القائل

قبابرق ليس الكرخ دارى وإنما رمانى اليها الدهـــر منذ ليال
فهل فيك من ماء المعرة قطرة تغيث بها ظمـــآن ليس بسالى

(٢) فامية مدينة من سواحل حمص

(٣) شيزر .قلعة تشتمل علي كورة بالشام قرب المعرة بينها وبين حماة يوم فى وسطها نهر الأردن وهي قديمة ذكرها امرؤ القيس فى قوله

تقطع اسباب اللبانة والهوى عشيـة رحنا من حمـاة وشيزرا

(٤) مدينة على ساحل بحر الشام من اعمال دمشق

(٥) بلد فى شرقى بيروت

(٦) بلدة فى شرقى طرابلس بينها وبين البحر نحو ميل

(٧) مدينة فى برية الشام

امرها وبعث ابا الزهر القشيرى إلى البثنية [1] وحوران فصالح اهلها [2]

ووجه ابو عبيدة ميسرة بن مسروق العبسى إلى درب بغراس [3] فلقى جمعاً من الروم ومعهم مستعربة من غسان وتنوخ يريدون اللحاق بهرقل فاوقع بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة . وبلغ أبا عبيدة ان جمعاً من الروم بين معرة مصرين وحلب فلقيهم وقتل عدة بطارقة وفض ذلك الجيش وفتح معرة مصرين على مثل صلح حلب

عام الرمادة

١٨ هـ — ٦٣٩ م

فى هذه السنة (١٨) أصاب الناس مجاعة شديدة وجدب وقحط واشتد الجوع حتى جعلت الوحش تأوى إلى الانس وحتى جعل الرجل يذبح الشاة فيعافها من قبحها وماتت المواشى جوعا وسمى هذا العام عام الرمادة لأن الريح كانت تسفى ترابا كالرمادة وأقسم عمر أن لا يذوق سمنا ولا لبنا ولا لحما حتى يحيي الناس فقدمت السوق عُكة سمن [4] ووطب من لبن فاشتراهما غلام لعمر باربعين درهما ثم أتى عمر فقال يا أمير المؤمنين قد أبر الله يمينك وعظم أجرك قدم السوق وطب من لبن وعكة من سمن ابتعتهما بأربعين درهما

(١) بلدة بالشام (٢) كورة واسعة من اعمال دمشق
(٣) مدينة بالقرب من انطاكية (٤) العكة اصغر من القربة

فقال عمر أعيلت بهما فتصدق بها فانى أكره آكل اسرافا . وقال « كيف يعنينى شأن الرعية إذا لم يصيبنى ما أصابهم » وكتب عمر إلى أمراء الأمصار يستغيثهم لأمر المدينة ومن حولها ويستمدهم فكان أول من قدم عليه أبو عبيدة بأربعة آلاف راحلة من الطعام [١] فولاه قسمتها فيمن حول المدينة فقسمها وانصرف إلى عمله وتابع الناس ووردت المؤن من العراق أيضا وأصلح عمرو بن العاص بحر القلزم وأرسل فيه الطعام من مصر فرخص السعر واستمرت هذه المجاعة تسعة أشهر

(الاستسقاء)

وبعد تسعة أشهر من القحط خرج عمر ومعه العباس ما شيا فخطب وأوجز وصلى ثم جثا لركبتيه وقال : « اللهم عجزت عنا أنصارنا وعجز عنا حولنا وقوتنا وعجزت عنا أنفسنا ولا حول ولا قوه إلا بك . اللهم فاسقنا وأحى العباد والبلاد »

وأخذ بيد العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن دموع العباس لتتحادر على لحيته . فقال «اللهم إنا نتقرب اليك بعم نبيك صلى الله عليه وسلم وبقية آبائه وأكبر رجاله فانك تقول وقولك الحق (واما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة) فحفظتهما بصلاح آبائهما فاحفظ الله نبيك صلى الله عليه وسلم فى عمه فقد دلونا به اليك مستشفعين مستغفرين »

---

(١) وفى كتاب الخلافة للأستاذ موير انها كانت محملة بالقمح من الشام

ثم اقبل على الناس فقال: «استغفروا ربكم إنه كان غفاراً »

وكان العباس قد طال عمره وعيناه تذرفان ولحيته تجول على صدره وهو يقول« اللهم انت الراعى فلا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد صرخ الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى وانت تعلم السر وأخفى .اللهم فاغثهم بغناك قبل ان يقنطوا فيهلكوا فانه لاييأس إلا القوم الكافرون »

فنشأت طريرة من سحاب فقال الناس ترون! ترون! ثم التأمت ومشت فيها ريح ثم هدأت ودرت فوالله ماتروحوا حتى اعتنقوا الجدار وقلصوا المآزر فطفق الناس بالعباس يمسحون اركانه ويقولون هنيئا لك ساقى الحرمين . فقال الفضل بن العباس بن عتبة ابن ابى لهب :

بعمى سقى الله الحجاز وأهله عشية يستسقى بشيبته عمر
توجه بالعباس فى الجدب راغباً اليه فما ان رام حتى اتى المطر
ومنا رسول الله فينا تراثه فهل فوق هذا للمفاخر مفتخر

وقال حسان بن ثابت:

سأل الامام وقد تتابع جدبنا فسقى الغمام بغرة العباس
عم النبى وصنو والده الذى ورث النبى بذاك دون الناس
احيا الاله به البلاد فأصبحت مخضرة الأجناب بعد الياس

طاعون عمواس

سنه ١٨ ﻫ ٦٣٩م

عَمَواس رواه الزمخشرى بكسر اوله وسكون الثاني ورواه غيره بفتح اوله وثانيه وهى كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس. قال المهلبي كورة عمواس هى ضيعة جليلة على ستة اميال من الرملة على طريق بيت المقدس ومنها كان ابتداء الطاعون فى ايام عمر ابن خطاب رضى الله عنه ثم فشا فى ارض الشام فمات فيه خلق كثير لا يحصى من الصحابة رضى الله عنهم ومن غيرهم وذلك فى سنة ١٨ للهجرة ومات فيه من المشهورين ابو عبيدة بن الجراح وعمره ٥٨ سنة وهو امير الشام. ولما بلغت وفاته عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولى مكانه على الشام يزيد بن ابى سفيان ومعاذ بن جبل والحارث بن هشام وسهيل بن عمر والفضل بن العباس وشرحبيل ابن حسنه. وقيل مات فيه ٢٥٠٠٠ من المسلمين وفى هذه السنة كان عام الرمادة بالمدينة (ياقوت)

لما فشا الطاعون وبلغ ذلك عمر كتب إلى ابى عبيدة ليستخرجه منه ان « سلام عليك. اما بعد فانه قد عرضت اليك حاجة اريد ان أشافهك فيها فعزمت عليك إذا نظرت فى كتابي هذا الا تضعه من يدك حتى تقبل إلى »

فعرف ابو عبيدة انه إنما أراد ان يستخرجه من الوباء إشفاقا عليه وضناً به فقال يغفر الله لأمير المؤمنين ثم كتب اليه :

« يا امير المؤمنين إنى قد عرفت حاجتك إلى وإنى فى جند من المسلمين لا اجد بنفسى رغبة عنهم فلست اريد فراقهم حتى يقضى الله فى وفيهم امره وقضاه فحللنى من عزمتك ياامير المؤمنين ودعنى فى جندى »

فلما قرأ عمر الكتاب بكى . فقال الناس ياامير المؤمنين امات ابو عبيدة ؟ قال وكأن قد قال ثم كتب اليه :

« سلام عليك .اما بعد فانك انزلت الناس ارضاً عميقة فارفعهم إلى أرض مرتفعة نزهة » فلما اتى كتابه دعا اباموسى فقال ياابا موسى ان كتاب امير المؤمنين قد جاءنى بما ترى فاخرج فارتد للناس منزلا حتى أتبعك بهم فرجع أبو موسى إلى منزله فوجد زوجته قداصيبت فرجع إليه فأخبره الخبر فأمر ببعيره فرحل له فلما وضع رحله فى غرزه طعن فقال : والله لقد أصبت . وقيل لما اشتعل الوجع قام ابو عبيدة فى الناس خطيبا فقال :

« أيها الناس إن هذا الوجع رحمة بكم ودعوة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم وموت الصالحين قبلكم وإن أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم له منه حظه » فطعن فمات فاستخلف على الناس معاذ بن جبل فقام خطيبا بعده فقال :

« أما أيها الناس إن هذا الوجع رحمة بكم ودعوة نبيكم وموت

الصالحين قبلكم و إن معاذا يسأل الله أن يقسم لآل معاذ منه حظهم» فطعن ابنه عبد الرحمن بن معاذ فمات . ثم قام فدعا به لنفسه فطعن فى راحته فلما مات استخلف على الناس عمرو بن العاص فقام فى الناس خطيبا فقال :

« أيها الناس . إن هذا الوجع إذا وقع فانما يشتعل اشتعال النار فتجبلوا منه فى الجبال » ثم خرج وخرج الناس فتفرقوا [١] ورفعه الله عنهم .

هذا ما جاء فى الطبرى . وفى أسد الغابة : لما مات أبو عبيدة استخلف معاذ بن جبل ، ومات معاذ فاستخلف يزيد ، ومات يزيد فاستخلف أخاه معاوية . وقد مكث هذا الطاعون شهرا

وفاة ابى عبيدة بن الجراح

١٨ هـ — ٦٣٩ م

احد ابطال الاسلام . وفاتح الشام

كان طاعون عمواس نكبة على المسلمين والظاهر أنه نشأ عقب الحروب التى حدثت فى الشام من كثرة القتلى الذين تركوا فى ميادين القتال من غير أن يدفنوا . أما المسلمون فقد كانوا يدفنون قتلاهم كما هى عادتهم وكما يأمر بذلك دينهم . أما الجيوش المنهزمة فلا تتمكن عادة من دفن قتلاهم لذلك بقيت جثث الروم كما بقيت جثث الفرس

(١) ذكر مستر موير انهم تفرقوا إلى حوران

فى العراق من غير أن تدفن ولذلك اصاب الطاعون العراق كما اصاب الشام (١)

وقد استشهد بطاعون عمواس جماعة من كبار القواد والصحابة منهم أبو عبيدة بن الجراح رحمه الله تعالى، وقد خسر المسلمون بوفاته رجلا صالحا تقيا عفيفا متواضعا محبوبا من الخليفة ومن جميع القواد وفاتحا من أكبر الفاتحين الذين كان لهم أثر عظيم فى تاريخ الفتح الاسلامى . ولا بد لنا فى هذا المقام أن نذكر ترجمة حياته :

فهو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن اهيب بن ضبة ابن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة أبو عبيدة اشتهر بكنيته ونسبه إلى جده فيقال أبو عبيدة بن الجراح

كان إسلامه هو وعثمان بن مظعون وعبيدة بن الجون بن المطلب وعبد الرحمن بن عوف وأبو سلمة بن عبد الأسد فى ساعة واحدة قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم . أحد العشرة السابقين إلى الاسلام ومن المشهود لهم بالجنة . شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى نزع الحلقتين من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت ثنيتا أبى عبيدة وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : « لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة ابو عبيدة بن الجراح »

---

(١) كان الفرس يدينون بديانة زرادشت وهى تحرم حرق الموتى أو دفنهم

ولما وفد أهل اليمن (نجران) على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا ابعث معنا رجلا يعلمنا السنة والاسلام فأخذ بيد ابى عبيدة فقال « هذا أمين هذه الأمة » وقال له ابو بكر الصديق يوم السقيفة قد رضيت لكم احد هذين الرجلين عمر بن الخطاب وابو عبيدة بن الجراح

وكان احد الأمراء المسيرين إلى الشام والذين فتحوا دمشق . ولما ولى عمر بن الخطاب الخلافة عزل خالد بن الوليد واستعمل ابا عبيدة فقال خالد ولى عليكم امين هذه الأمة . وقال ابو عبيدة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن خالداً لسيف من سيوف الله »

وهو الذى قال لعمر لما اراد الرجوع إلى المدينة بعد ما نصحه الصحابة بالرجوع لتفشى الوباء : « اتفر من قدر الله ؟ » فقال عمر : « لو غيرك قالها يا ابا عبيدة . نعم من قدر الله إلى قدر الله » وذلك دال على جلالة قدر ابى عبيدة عند عمر

ولما كان ابو عبيدة ببدر يوم الوقعة جعل ابوه يتصدى له وجعل ابو عبيدة يحيد عنه فلما اكثر ابوه قصده ، قتله ابو عبيدة . فأنزل الله تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم الآية)سورة التوبة

ولما هاجر إلى المدينة آخى رسول الله بينه وبين أبى طلحة الأنصارى وكان عمره عند وفاته ٥٨ عاما وكان يخضب بالحناء

والكتم وقد انقرض ولد أبي عبيدة وكان رجلا نحيفا معروق الوجه خفيف اللحية طوالا

وأشهر أعمال أبي عبيدة ظهرت في فتوح الشام فانه كان أمير الجيوش وقائدها فأول ما استعمله أبو بكر على جيش إلى حمص فسار إلى باب البلقاء فقاتله أهلها ثم صالحوه فكان أول صلح في الشام. ثم سار فنزل الجابية ثم حضر وقعة اليرموك ووقعة أجنادين ونجح فيها نجاحا عجيبا ثم فتح دمشق وفحلا ثم قصد حمص وفتحت بأمره بيسان وطبرية وغيرها من البلاد الشرقية وكانت له مع الروم في تلك الفتوح مواقع وأخبار يطول شرحها ومر ذكرها ظهرت فيها شهامته وجسارته وخبرته بأمر الحروب وبقي مجاهداً إلى أن مات. وكان أبو عبيدة هينا لينا حليما رءوفا كريم الأخلاق غير متعصب ولا محب لسفك الدماء واشتهر عند الروم بحسن الشمائل وصدق المقال ولذلك قصدوا في دمشق صلحه فصالحهم. وقد مدحه المؤرخون على مروءته حتى قال من وقف على هذه الموقعة من مؤرخي الافرنج « لو كانت أوصاف هذا الصحابي الجليل الذي كان أمير الجيش الاسلامي في ذلك العصر مجتمعة في أمراء جيوش العصور الجديدة المشهورة بالتمدن والتقدم لأفادتهم غاية المجد والشرف ونفت عنهم مثالب الجور. فأجل أمراء الجيوش العظيمة المتمدنة في عهدنا هذا لم يبلغوا درجة ذلك الأمير الخطير الذي هو بين الفاتحين عديم النظير. فكل منقبة من مناقب عدله وحلمه ووفائه

تخجل أكابر رؤساء كل جيش من جيوش الدول المتأخرة وتزدرى بأمرائه »

وقبر أبى عبيدة بغور بيسان عند قرية تسمى عمتا [١] وعلى قبره أشياء تشير إلى جلالة قدره [٢]

وفاة معاذ بن جبل

كان من ضحايا طاعون عمواس معاذ بن جبل الأنصارى الخزرجى وهو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخى رسول الله بينه وبين عبد الله بن مسعود وكان عمره لما أسلم ١٨ سنة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خذوا القرآن من أربعة من ابن مسعود وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى ابى حذيفة »

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أرحم أمتى بأمتى ابو بكر » وقال « وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل »

وعن سلمة بن وردان قال سمعت انس بن مالك قال أتانى معاذ ابن جبل من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « من شهد

---

(١) صحتها عمتا لا عمياء كما ذكرت خطأ فى دائرة المعارف العربية وهى قرية بالاردن

(٢) أسد الغابة . الاصابة . دائرة المعارف العربية للبستانى

أن لا إله إلا الله مخلصا بها قلبه دخل الجنة » فذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله حدثنى معاذ أنك قلت من شهد أن لا إله إلا الله مخلصا بها قلبه دخل الجنة. قال « صدق معاذ. صدق معاذ. صدق معاذ »

وكان الذين يفتون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين عمر وعثمان وعلى وثلاثة من الأنصار أبىّ بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت. وقال جابر بن عبد الله كان معاذ من أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا وأسمحهم كفا فادّان دينا كثيراً فلزمه غرماؤه حتى تغيب عنهم أياما فى بيته فطلب غرماؤه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحضره فأرسل إليه فحضر ومعه غرماؤه فقالوا يا رسول الله خذ لنا حقنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « رحم الله من تصدق عليه » فتصدق عليه ناس وأبى آخرون فخلعه رسول الله من ماله فاقتسموه بينهم فأصابهم خمسة أسباع حقوقهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ليس لكم إلا ذلك » فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن وقال « لعل الله يجبرك ويؤدى عنك دينك » فلم يزل باليمن حتى توفى رسول الله

وكان معاذ إذا تهجد من الليل قال: « اللهم نامت العيون وغارت النجوم وأنت حى قيوم. اللهم طلبى الجنة بطىء وهربى من النار ضعيف. اللهم اجعل لى من عندك هدى ترده إلىّ يوم القيامة. إنك لا تخلف الميعاد »

وطعنت له فى الطاعون امرأتان فماتتا ثم طعن ابنه عبد الرحمن فمات ثم طعن معاذ بن جبل فجعل يغشى عليه فاذا أفاق قال اللهم غمنى غمك فوعزتك لتعلم أني أحبك . ثم يغشى عليه فاذا أفاق قال مثل ذلك

وقال عمرو بن قيس إن معاذ بن جبل لما حضره الموت قال : انظروا أصبحنا . فقيل لم نصبح حتى اتي فقيل اصبحنا فقال (اعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار . مرحباً بالموت . مرحبا زائر حبيب جاء على فاقة . اللهم تعلم اني كنت اخافك وانا اليوم ارجوك . انى لم اكن احب الدنيا وطول البقاء فيها لكرى الأنهار ولالغرس الأشجار ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر)

وقال الحسن لما حضر معاذ الموت جعل يبكى فقيل له اتبكى وانت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت . وانت فقال : (ما ابكى جزعا من الموت ان حل بى ولا دنيا تركتها بعدى إنما القبضتان فلا ادرى من أىّ القبضتين انا)

قيل كان معاذ ممن يكسر اصنام نى سلمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « معاذ امام العلماء يوم القيامة برتوة او رتوتين [1] »

وكان عمره عند وفاته ٣٨ عاما [2] وقبره بغور بيسان

(١) الرتوة الخطوة يقال دنوت منه رتوة . ورتوة قدر مد البصر تقول بيننا وبينهم رتوة أى مسافة بعيدة قدر مد البصر (٢) أسد الغابة

قال ابو ادريس الخولانى كان معاذ ابيض وضيء الوجه براق الثنايا اكحل العينين . وقال كعب بن مالك: كان شابا جميلا سمحا من خير شباب قومه

وفاة يزيد بن ابى سفيان

هو ثالث القواد المشهورين الذين أصيبوا بطاعون عمواس وكان أفضل بنى سفيان وكان يقال له يزيد الخير يكنى أبا خالد أسلم يوم فتح مكة وشهد حنينا وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم من الغنائم بها مائة بعير وأربعين أوقية وزنها له بلال واستعمله أبو بكر على جيش وسيره إلى الشام كما ذكرنا وخرج معه يشيعه راجلا .

قال ابن اسحاق لما قفل أبو بكر من الحج سنة اثنتى عشرة بعث عمرو بن العاص ويزيد بن أبى سفيان وأبا عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة إلى فلسطين وأمرهم أن يسلكوا على البلقاء وكتب إلى خالد بن الوليد وهو بالعراق يأمره بالمسير إلى الشام فسار على السماوة[١] وأغار على غسان بمرج راهط من أرض دمشق ثم سار فنزل على قناة بصرى وقدم عليه يزيد بن ابى سفيان وابو عبيدة وشرحبيل فصالحت بصرى وكانت أول مدائن الشام فتحت

(١) قال ياقوت السماوة ماءة بالبادية وكانت ام النعمان سميت بها فكان اسمها ماء فسمتها العرب ماء السماء وبادية السماوة التى هى بين الكوفة والشام قفرى أظنها مسماة بهذا الماء

ثم ساروا نحو فلسطين فالتقوا مع الروم بأجنادين بين الرملة وبيت جبرين فهزم الله الروم فى جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة . فلما ولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولى أباعبيدة وفتح الله عليه الشامات ولى يزيد بن أبي سفيان فلسطين ولما مات أبو عبيدة استخلف معاذ بن جبل ومات معاذ ومات يزيد فاستخلف أخاه معاوية وكان موت هؤلاء كلهم فى طاعون عمواس

واستعمله رسول الله على صدقات بنى فراس وكانوا أخواله

وفاة شرحبيل بن حسنة

أحد القواد العظام الذين استشهدوا فى الطاعون الجارف .

حَسَنة أمه واسم أبيه عبد الله بن المطاع وكان شرحبيل حليفا لبنى زهرة حالفهم بعد موت أخويه لأمه جنادة وجابر ابنى سفيان بن معمر بن حبيب ولما مات عبد الله والد شرحبيل تزوج أمه حسنة أم شرحبيل رجل من الأنصار من بنى زريق اسمه سفيان

أسلم شرحبيل قديماً وأخواه وهاجر إلى الحبشة هو وأخواه . فلما قدموا من الحبشة نزلوا فى بنى زريق فى ربعهم ونزل شرحبيل مع أخويه لأمه ثم مات سفيان وابناه فى خلافة عمر رضى الله عنه ولم يتركوا عقباً فحول شرحبيل إلى بنى زهرة

وكان شرحبيل من مهاجرة الحبشة ومن وجوه قريش . سيره أبو بكر وعمر على جيش إلى الشام ولم يزل واليا على بعض نواحى

الشام لعمر إلى أن مات فى طاعون عمواس وله ٦٧ سنة . طعن هو وأبو عبيدة بن الجراح فى يوم واحد

خروج عمر إلى الشام

بعد طاعون عمواس

سنة ١٨ هـ

كثرت وفيات المسلمين بالطاعون وحار أمراء الجند فيما لديهم من المواريث فكتبوا إلى عمر بذلك فجمع الناس واستشارهم وقال لهم « قد بدا لى أن أطوف على المسلمين فى بلدانهم لأنظر فى آثارهم فأشيروا علىّ » ومن هذا يتبين أنه كان يريد الطواف فى البلاد التى فتحها المسلمون ولم تكن مسألة المواريث هى السبب الوحيد لعزمه على الخروج . وكان فى القوم كعب الأحبار الذى قيل إنه أسلم فى تلك السنة [١] . فقال كعب . يا أمير المؤمنين بأيها تريد أن تبدأ ؟

---

(١) هو كعب بن ماتع الحميرى أبو اسحاق المعروف بكعب الاحبار وهو الراوية المشهور . كان يهوديا وأسلم ويقال اسمه بالعبرية عقيبا او يعقوب فتغير إلى كعب حبر بفتح الحاء أو بكسرها والجمع أحبار . قال الخوارزمى فى كتاب مفاتيح العلوم «الحبر العالم» وان حياة كعب ليست معروفة تماما وقد كان مع عمر عند فتح بيت المقدس وأسلم سنة ١٧ هـ (٦٣٨ م) وقد أدرك النبى ولم يره وكان مجيئه من اليمن إلى المدينة فى خلافة عمر وسار منها الى حمص فى خلافة عثمان بن عفان وتوفى بها سنة ٣٢ هـ وقيل سنة ٣٤ هـ (٦٥٢ – ٦٥٤م) وبها دفن وقال بن بطوطة وياقوت فى معجمه إنه مات بدمشق .

قال؟ بالعراق . قال فلا تفعل فان الشر عشرة أجزاء : تسعة بالمغرب وجزء بالمشرق و بها قرن الشيطان وكل داء عضال، فقال على ياأمير المؤمنين إن الكوفة للهجرة بعد الهجرة و إنها لقبة الاسلام ليأتينها يوم لا يبقى مسلم إلا وحن إليها ، لينتصرن بأهلها كما انتصر بالحجارة من قوم لوط

فقال عمر إن مواريث أهل عمواس قد ضاعت فابدأ بالشام فاقسم المواريث وأقيم لهم ما فى نفسى ثم أرجع فاتقلب في البلاد وأبدى لهم أمرى

فسار عن المدينة واستخلف عليها على بن ابى طالب واتخذ إيلة طريقا فلما دنا منها ركب بعيره وعلى رحله فرو مقلوب وأعطى غلامه مركبة فلما تلقاه الناس ، قالوا أين أمير المؤمنين ؟ قال امامهم يعنى نفسه فساروا أمامهم فنزلها وقيل للمتلقين قد دخل امير المؤمنين اليها ونزلها فرجعوا وأعطى عمر الأسقف بها قميصه وقد تخرق ظهره ليغسله ففعل واخذه ولبسه وخاط له الأسقف قميصا غيره فلم يأخذه

فلما قدم الشام قسم الأرزاق وسمى الشواتى والصوائف وسد فروج الشام ومسالحها (ثغورها) واخذ يدورها واستعمل عبد الله ابن قيس على السواحل من كل كورة واستعمل معاوية وقسم مواريث أهل عمواس فورث بعض الورثة من بعض واخرجها إلى الأحياء من ورثة كل منهم وخرج الحارث بن هشام فى سبعين من أهل بيته

فلم يرجع منهم إلا اربعة

ولما حضرت الصلاة قال له الناس لو امرت بلالا فأذن فأمره فأذن فما بقى احد ادرك النبى صلى الله عليه وسلم وبلال يؤذن إلا وبكى حتى بل لحينه وعمر اشدهم بكاء وبكى من لم يدركه ببكائهم ولذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفى هذه السنة فى ذى الحجة حول عمر المقام إلى موضعه اليوم وكان ملصقا بالبيت وفيها استقضى عمر شريح بن الحارث الكندى على الكوفة وعلى البصرة كعب بن سور الأزدى وكانت الولاة على الأمصار الولاة فى السنة قبلها وحج بالناس عمر بن الخطاب

اسباب انتصار المسلمين

بالشام والعراق

انتصر المسلمون فى مدة قصيرة لا تزيد عن اربع سنوات على امبراطوريتين عظيمتين هما الفرس والامبراطورية الرومانية الشرقية بعد أن نشبت بينهما حروب طاحنة فقد كان الفرس احتلوا الشام ومصر ووصلت جيوشهم سنة ٦١٦ م إلى شواطئ القسطنطينية اى بعد تولية هرقل ملك الروم الحكم بست سنوات فتملكه اليأس وعوّل على التخلى عن عرشه والرحيل إلى قرطاجنة، غير ان البطارقة منعوه وشجعوه على الاحتفاظ بمركزه فبقى واستطاع محاربة الفرس لكنه سنة ٦٢٢ م اخفق فى الاستيلاء على ارمينية

ثم عاد ففتحها سنة ٦٢٤ — ٦٢٦ م وهزم الفرس فى ميدان القتال وتغلب على قائدهم شهر براز

ولما بلغت جيوش الروم قرب المدائن صالحه كسرى ثم عاد إلى القسطنطينية بعد أن أخذ منهم الصليب الذى يظن أن المسيح صلب عليه ورده إلى بيت المقدس فى احتفال باهر فى سبتمبر سنة ٦٢٩ م بعد أن سار على قدميه من القسطنطينية الى بيت المقدس براً بيمينه . وفى هذا الوقت وصل هرقل كتاب من رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه فيه إلى الاسلام كما وصل كسرى إلا أن كسرى مزق الكتاب . وعلى كل حال لم يكترث واحد منهما بصاحب الكتاب ولا بدعوته لأنه لم يكن له وقتئذ شأن يذكر ولم يخطر ببال هرقل ولا كسرى أن المسلمين بعد سنوات معدودات سيفتحون بلادهما

أنهكت الحروب الطويلة قوى الفرس والروم وقد انتهت الحروب فى أوائل خلافة أبى بكر الصديق بعد أن استمرت ستة وعشرين عاما . ثم نهض المسلمون وأخذوا يحاربون الفرس والروم جميعاً فى آن واحد فانتصروا عليهما انتصاراً باهراً لم يكن بالحسبان مع أنهم فى جميع المواقع كانوا أقل منهم عدداً وعدة ، فلم تتجاوز جيوش المسلمين فى خلافة عمر بن الخطاب ٤٠,٠٠٠ مقاتل فى العراق أو الشام

أما أسباب الانتصار الذى حير الألباب فهى :

(١) ان الفرس والروم سئموا الحروب الطويلة التى كسرت من شوكتهم وقد استمرت ستة وعشرين عاما

(٢) الاضطرابات الداخلية فقد كانت الفرس فى قلاقل مستمرة ودسائس وفتن فلا يتولى ملك حتى يقتل أو يخلع واشتغل الروم بالمباحثات الدينية والمجادلات اللاهوتية كذلك شغلتهم الاضطهادات الدينية والاضطرابات السياسية وتنازع القواد وانقسامهم

(٣) انغماس الأمتين فى الملاهى والترف وفقدان الروح الحربية فيهم

(٤) كان الفرس والروم يعمدون فى محاربة المسلمين على جيوش من البدو الموالين لهم فى الحدود وكان العرب المتنصرون الخاضعون للروم يعانون كثيراً من المظالم كفداحة الضرائب وغطرسة الحكام وانتشار الفوضى . فلما زحف المسلمون على الشام لم ينهضوا لمقاومتهم لما بينهم من التجانس فانهم عرب مثلهم ولما لاقوا من مظالم الروم ولأنهم كانوا يعلمون أن المسلمين يعدلون ولا يجورون فى أحكامهم ويعاملونهم بالرفق

اما البدو الذين كانوا موالين للفرس فكانوا مزارعين لايعنيهم أدفعوا الضرائب للفرس ام دفعوا الجزية للمسلمين بل كانوا يميلون اليهم لأنهم عرب، مثلهم ومن انضم منهم اليهم كان يحارب دفاعا عن العربية

(٥) كان المسلمون حديثو عهدبالاسلام فكانوا يقاتلون بحمية دفاعا عن دينهم وتعزيزاً له وتثبيتا لدعائمه بعقيدة ثابتة فهم يحاربون لذلك ولأن من يقتل فى سبيل الله فهو شهيد مخلد فى جنة الفردوس ومن يولى الدبر فجزاؤه جهنم ، هذا وقد كانت الغنائم توزع بينهم بالتساوى بلا محاباة . فالروح الحربية عندهم كانت بالغة منتهاها وفى عنفوانها لم يطرأ عليها الوهن ولم يفسدها النعيم والترف فقد كانوا متقشفين لا يبالون بالموت ويتسابقون إليه طمعاً فى نعيم الآخرة

(٦) كان نساءالمسلمين يصحبون الجيش ويشجعونهم بأصواتهم ويحثونهم على القتال وكن يحاربن مع الرجال فى عدة مواقع ويضمدن جراحهم

كل هذه أسباب هيأت للمسلمين الانتصار وبذلك انتشر الاسلام الذى كان خير نظام اجتماعى وسياسى وخير عقيدة دينية وقد قضى على الخرافات والاضطهادات الدينية والنهب والسلب والفوضى والرقيق كما قضى على الفجور والخمور وسوى بين السيد والمسود ونشر العدل ووطد الأمن وبث روح التعاون والأخوة والتسامح وأمن الذميين على أرواحهم وأموالهم وحافظ على معابدهم ونها عن هدمها والعرض لها بسوء وأطلق لهم حرية الأديان فعاشوا فى صفاء وأمان

فتح مصر

١٩ – ٢٠ هـ (٦٤٠ – ٦٤١ م)

كان عمرو بن العاص يرحل إلى مصر للتجارة قبل الاسلام فلما زار عمر بن الخطاب الشام لقسمة المواريث بعد طاعون عمواس اختلى به عمرو وقال ائذن لى أن أسير إلى مصر فانا إن فتحناها كانت قوة للمسلمين وعونا لهم وهى أكثر الأرض أموالا وأعجزهم عن القتال والحرب. فتخوف عمر من ذلك وقال هذا تغرير بالمسلمين لأن قدمهم لم تكن رسخت فى البلاد التى فتحوها حديثا، وكانت جيوشهم موزعة فى الشام والعراق وأرمينيا وغيرها وقد مات منهم بالطاعون عدد عظيم. وما زال عمرو بن العاص يحرضه على فتح مصر ويعظم أمرها لديه ويهون فتحها عليه حتى ركن إلى قوله وأذن له فى المسير

وقد كانت مشورة عمرو حسنة لأن مصر كانت تمون روما بالغلال وكانت الاسكندرية آهله بالسكان ويقصدها الناس من كل فج للاقامة بها حتى صارت المدينة الثانية فى الامبراطورية الرومانية ومركزاً للتجارة والعلوم واختلف إليها الروم والأرمن والعرب والقبط والمسيحيون واليهود والشوام غير أنها كانت مركزا للقلاقل والثورات الداخلية ضد حكامها الأجانب. وبلغ عدد سكانها من الذكور فقط ٦٠٠,٠٠٠ منهم ٤٠,٠٠٠ يهودى

يدفعون الضرائب و ٢٠٠,٠٠٠ رومى فر منهم ٣٠,٠٠٠ قبل الحصار وكان بها ٤٠٠٠ حمام و ٤٠٠ ملهى و ١٢٠٠ سفينة وان كان هذا العدد به شيء من المبالغة . وكانت السفن ترسو فى مينائها للاتجار مع جميع موانىء الدنيا وعلى ذلك كانت مدينة الاسكندرية مدينة أوربية أكثر منها مصرية

وكانت مصر تعانى أشد أنواع الفقر . أما حاصلاتها فكانت ترسل إلى مدن الامبراطورية الرومانية وتبقى هى محرومة منها ولذلك كان الأهالى مستعدين على الدوام للقيام بثورة ضد حكام البلاد وعدا ذلك كان حكام الروم يبذلون المجهودات كى يعتنق الأهالى المذهب الأرثوذوكسى وفر بطريق الأقباط بنيامين إلى الصعيد واختفى فى أحد الأديرة من جراء الاضطهاد الدينى ونصح لأتباعه أن يقتفوا أثره . ولم يعد فى وسع الأهالى احتمال الحكم البيزنطى بسبب الاضطهادات الدينية وقد كان الروم أنفسهم متقسمين إلى أحزاب [١] هذه هى الحالة التى كانت عليها مصر قبل الفتح الاسلامى

ولما استوثق عمر بن الخطاب رضى الله عنه من قول عمرو بن العاص عقد له على ٤٠٠٠ رجل كلهم من قبيلة عك [٢] وقال له : سر

---

(١) راجع فتح مصر فى كتاب الخلافة للاستاذ موير ص ١٥٨ طبعة سنة ١٩٢٤

(٢) ذكر أرفنج ان عدد الجيش كان ٥٠٠٠ مقاتل

وأنامستخير الله فى مسيرك وسيأتيك كتابى سريعاً إن شاء الله تعالى فان أدركك كتابى آمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها أو شيئا من أرضها . وإن دخلتها قبل أن يأتيك كتابى فامض لوجهك واستعن بالله واستنصره . فسار عمرو بن العاص فى جوف الليل ولم يشعر به أحد من الناس . إلا أن عمر تخوف على المسلمين إذ لا بد أنه قدر أنه سيحارب أمة عددها عشرة ملايين . فكتب إلى عمرو بن العاص أن ينصرف بمن معه من المسلمين فأدرك الكتاب عمراً وهو بقرية يقال لها رفح على تخوم سوريا ومصر إلى جنوبى غزة فتخوف عمرو بن العاص إن هو أخذ الكتاب وفتحه يجد فيه الانصراف كما عهد إليه عمر فلم يسلم من الرسول الكتاب وصار يدافعه حتى نزل العريش فسأل عنها وعن أى أرض تكون فقيل له إنها من مصر فدعا بالرسول وقرأ الكتاب على المسلمين ثم قال هيا بنا إطاعة لأمر أمير المؤمنين وقد فتح عمرو العريش بلا كبير عناء لأن حصونها لم تكن منيعة ولقلة الحامية التى كانت بها وكان فتحها فى آخر ديسمبر سنه ٦٣٩ م — الحجه سنة ١٨ هـ . ثم جدوا فى المسير حتى بلغوا الفرما Pelusium [1] فحاصرها المسلمون شهراً

---

(١) الفرما مدينة قديمة وميناء بمصر شرقى بور سعيد على بعد عشرين ميلا منها وقد كانت مفتاح مصر من جهة الشام وكان لها شأن كبير فى الحروب التى نشبت بين الفرس ومصر وكلمة Pelusium معناها باللاتينية « الطين » قال ابن حوقل والمقريزى وبها قبر جاليبوس ووافق بعض المؤرخين سويداس الذى ذهب إلى أن جاليبوس نفى فى رومية بعد زيارته الثانية لها وتوفى بها لكن زمن

وهم يقاتلون الروم ثم افتتحوها فى ٢٠ يناير سنة ٦٤٠ م وواصلوا زحفهم إلى سنهور وتنيس (صان) ثم إلى بلبيس [1] وكانت حصينة وكان بها ابنة المقوقس فأرسلها عمرو إلى ابيها معززة مكرمة فوقع ذلك لديه أحسن موقع وكانت خسارة الروم ببلبيس عظيمة والذى تعرض لجيش المسلمين هناك أرطبون الذى فر من الشام وظلت بلبيس تقاوم شهراً

ذكر الواقدى أن المقوقس زوج ابنته ارمانوسة قسطنطين بن هرقل (وهو قسطنطين الثالث تولى بعد موت أبيه سنة ٦٤١) وجهزها بأموالها وجواريها وغلمانها وحشمها لتسير إليه حتى يبنى عليها فى مدينة قيسارية وهم محاصرون لها فخرجت إلى بلبيس وأقامت بها وبعثت حاجبها الكبير فى ألفى فارس إلى الفرما ليحفظ الطريق ولا يدع أحداً من الروم ولا غيرهم يعبر إلى مصر وبعث المقوقس رسله إلى أطراف بلاده مما يلى الشام أن لا يتركوا أحداً يدخل أرض مصر مخافة أن يتحدثوا بغلبة المسلمين على الشام فيدخل الرعب فى قلوب عساكرهم . فلما قدم عمر بن الخطاب الجابية وسار عمرو بن العاص إلى مصر نزل على بلبيس وبها أرمانوسة ابنة المقوقس فقاتل من بها وقتل منهم زهاء ألف فارس وأسر ثلاثة آلاف وانهزم من بقى إلى المقوقس وأخذت ارمانوسة وجميع مالها

وفاته ومكان قبره مشكوك فيهما

(١) بلبيس بمديرية الشرقية وكان بابليون رهم حصونها لما قدم مصر

وسائر ما كان للقبط فى بلبيس فأحب عمرو ملاطفة المقوقس فسير إليه ابنته ارمانوسه مكرمة فى جميع مالها مع قيس بن أبي العاص السهمى فسر بقدومها

موقعة عين شمس

Battle of Heliopolis

شعبان سنة ١٩ هـ (يولية سنة ٦٤٠ م)

أغفل كثير من المؤرخين موقعة عين شمس على أهميتها كما أنهم أغفلوا تفاصيل الزحف على الفيوم

كانت مدينة عين شمس من اشهر مدن القطر المصرى بيد انه لم تكن لها اهمية حربية عند الفتح الاسلامى غير انها كانت صالحة للقتال فالمياه واصلة إليها ومن السهل تموين الجيش فيها وكانت ممتدة إلى المطرية ولذلك اهتم بها عمرو بن العاص

بلغ عدد جيوش المسلمين فى موقعة عين شمس ١٥٠٠٠ مقاتل اما الروم فقد جمع القائد تيودور جنوده لطرد المسلمين من عين شمس وقد بلغ عددهم ٢٠٠٠٠ عدا جند الحصون وعلى ذلك كانوا يفوقون عدد جنود المسلمين بكثير . وكان عمرو بن العاص يقصد بنزوله عين شمس محاربة الروم فى العراء بعيدا عن الحصون . ولما ايقن تيودور انه اصبح قادرا على الهجوم ، سار نحو عين شمس ومعه الفرسان والمشاة وكان على الفرسان تيورسيوس واناستاسيوس

[وبث عمرو العيون فأخبروه بخطة العدو ومسيره فقسم جيشه إلى ثلاثة اقسام ، قسم عسكر بعين شمس تحت قيادته وقسم بأم دنين (جهة الأزبكية) وقسم بالتلال الواقعة جهة القلعة الآن تحت قيادة خارجة بن حذافة وبذلك انحصر الجيش الرومانى بين قوتين من جيش العرب وذلك للاطباق عليه عند صدور الأوامر وهذه الخطة لم يكن يعلمها الجيش الرومانى وغاية ما عرفوه ان جيش المسلمين زاحف من عين شمس للقائهم وعلى ذلك التقى الجيشان فى العباسية فى منتصف المسافة بين معسكر عين شمس وام دنين فاقتتلا قتالا شديدا علما منهما ان نتيجة هذه الموقعة تقرير مصير مصر

وبينما كانت رحى القتال دائرة بشدة هجمت الفرقة التى تحت قيادة خارجة جهة التلال وانقضت كالصاعقة على الجيش الرومانى الذى وقع بين القوتين فاختل نظامه واضطرب واتجه نحو ام دنين فالتقى بجيش العرب هناك حيث وقعت الكارثة فالتجأ بعضهم إلى الحصن بطريق البر وفر البعض الآخر بقوارب إلى حصن بابليون لكن اكثرهم قتل واستولى المسلمون على ام دنين مرة اخرى وقتلت حاميتها عن آخرها عدا ٣٠٠ نجوا وتمكنوا من دخول حصن بابليون واغلقوا الأبواب عليهم ولكنهم لما سمعوا بما آل إليه امر جيشهم من القتل فروا من الحصن فى القوارب حتى وصلوا نقيوس (١) Nikiou ثم استولى المسلمون على ضفاف النهر شمالى

(١) نقيوس قرية بين الفسطاط والاسكندرية سيأتى ذكرها

الحصن وجنوبه ونقلوا معسكرهم من عين شمس إلى الفسطاط

ولما شاع خبر انتصار المسلمين أخلى الجيش الرومانى الفيوم ليلا وساروا إلى أبواط ومن هناك فروا إلى كريون بالقوارب من غير أن يخبروا أهل أبواط بأنهم اخلوا الفيوم للعدو . ولما علم عمرو بذلك ارسل جيشاً فعبر النيل واحتل الفيوم وأبواط

وكانت موقعة عين شمس فى شهر يولية سنة ٦٤٠ واستمرت حتى فتح الفيوم خمسة عشر يوماً

فتح حصن بابليون

Fortress of Babylon

٢١ ربيع الثانى سنة ٢٠ هـ (٩ إبريل سنة ٦٤١ م)

كتب عمرو بن العاص إلى عمر يخبره بالفتح ويطلب منه المدد والحقيقة أن عمراً لما سار إلى مصر كان يعلم أن جيشه لم يكن كافياً لفتحها وأنه إذا طلب المدد من الخليفة أمده . وعلى ذلك أمده بأربعة آلاف وصار بمده حتى بلغ عدد جيشه ١٢,٠٠٠

وكان قائد حامية بابليون رجلا يسمى الأعيرج وأجمع مؤرخو العرب أن المقوقس كان بالحصن وقت الحصار ويقدر الأستاذ بتلر عدد جنود الحامية من ٥٠٠٠ إلى ٦٠٠٠ مجهزين بكل ما يلزم من المؤن

بدأ عمرو يحاصر حصن بابليون أو قصر الشمع [١] Castle of Beacon في سبتمبر سنة ٦٤٠ م وهو أقوى حصن بعد الاسكندرية بناه الفرس وقت استيلائهم على مصر وكان أمام مدينة منف التي كانت مقراً للمقوقس على شاطىء النيل أمام جزيرة الروضة [٢]

توحد بقايا هذا الحصن في مصر القديمة وهو مبني بالطوب والحجر يبلغ سمك جدرانه نحو ثمانية أقدام وقد كشف الباب العمومي ماكس هرتز باشا حتى ظهر للعيان وهو بالجنوب ويُرى في جنوب الحصن وشرقيه برجان وسطهما ذلك الباب الحديدي العظيم وليس في الجانب الغربي برج. ويوجد باب للحصن من جهة النيل. أما ارتفاع الحيطان فيبلغ ٦٠ قدما حسب مادل عليه الحفر

---

(١) ذكر الواقدي أن الذي بنى قصر الشمع اسمه الريان بن ارسلاون وكان هذا القصر يوقد عليه الشمع في رأس كل شهر وذلك أنه إذا حلت الشمس في برج من البروج أوقد في تلك الليلة الشمع على رأس ذلك القصر فيعلم الناس بوقود الشمع أن الشمس انتقلت من البرج الذي كانت فيه إلى برج آخر غيره .

(٢) لجلال الدين السيوطي كتاب سماه كوكب الروضة أطال فيه القول على هذه الجزيرة . ويؤخذ من قول المقريزي أن هذه الجزيرة كانت تجاه قصر الشمع واليها التجأ المقوقس وماء النيل يحيط بها وسبب استحكامها قربها من العاصمة وبها من الآثار القديمة مقياس النيل وقد تحصن بها الروم وأقاموا بها مدة طويلة وبعد ذلك تركوها فخرب عمرو بعض أبراجها وأسوارها وكانت عامرة بالناس والمزارع

وإن كان الحصن كله الآن تحت الردم على عمق ٣٠ قدما لكن البروج مرتفعة .

لم يكن العرب مجهزين بالمعدات اللازمة لمهاجمة هذا الحصن المنيع فأمده عمر بأربعة آلاف رجل وكتب إليه « إنى قد وجهت معك جماعة من فرسان العرب فيهم كل واحد منهم مقوَّم بمائة فارس فاذا أتاك كتابى هذا فاخطب الناس وحضهم على القتال ورغبهم فى الصبر وابرز للقتال عند زوال الشمس من يوم الجمعة فانها ساعة إجابة »

وكان على رأس كل ألف من الأربعة آلاف الذين أرسلهم عمر رجل وهم الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت ومَسْلَمة بن مخلد وقال له عمر « اعلم أنه صار معك اثنا عشر ألفاً ولا تغلب الاثنا عشر ألفا من قلة »

وهنا نلاحظ اختلاف المؤرخين فبعضهم يقول أن فتح بابليون كان قبل موقعة عين شمس وبعضهم يذكرها بعده . كذلك هم مختلفون فى تاريخ وصول المدد الذى كان فيه الزبير وهل وصل إلى حصن بابليون أو كان أول وصوله إلى عين شمس على انا نرجح أن موقعة عين شمس كانت قبل حصار بابليون وأن المدد الذى أرسله عمر مع الأربعة الذين يقول عنهم إن الرجل منهم مقوم بمائة وصل إلى حصن بابليون

فلما اتى كتاب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص جمع المؤمنين

وقرئ عليهم كتاب الخليفة فبرزوا للقتال وتسلق الزبير الحصن بواسطة سلم على حين غفلة من الروم فلم يشعروا إلا وقد دهمهم المسلمون فأخذوا فى الفرار وعمد الزبير وأصحابه إلى باب الحصن ففتحوا الحصن (١)

وإن تسلق الزبير وأصحابه حصن بابليون يذكرنا بما فعله (دامس) عند فتح حصن حلب فقد تسلقه هو وجماعة من المسلمين بعد اليأس وطول الحصار وقتلوا الحراس فليراجع فى موضعه وقد حدثت مفاوضات للصلح قبل فتح الحصن ولكنها لم تنجح نذكرها فيما يلى

مفاوضات الصلح

اكتوبر سنة ٦٤٠ م

لما حاصر المسلمون حصن بابليون وقاتلوهم شهراً وعليهم المقوقس ورأوا الجد من العرب على فتحه حادث المقوقس جماعة من الرؤساء وتم الاتفاق على الخروج من الحصن فخرجوا والمقوقس معهم وتركوا القائد ويطلق عليه مؤرخو العرب اسم الأعيرج ويقول الأستاذ بتلر ولعله تحريف جورج George ولحقوا بالروضة فارسل

(١) قال الأستاذ بتلر : — اما ما كان يعمله قواد الروم طول فصل الشتاء ولماذا سمحوا للمسلمين بالتلعب شيئا فشيئا على مقاومة حصن بابليون فهذا ما لا يمكن الاجابة عليه

المقوقس إلى عمرو إنكم قوم قد ولجتم فى بلادنا والححتم على قتالنا وطال مقامكم فى أرضنا وإنما أنتم عصبة يسيرة وقد اظلكم الروم وجهزوا إليكم ومعهم من العدة والسلاح وقد احاط بكم هذا النيل وإنما انتم اسارى في ايدينا فابعثوا إلينا رجالا منكم نسمع من كلامهم فلعله أن يأتى الأمر فيما بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب وينقطع عنا وعنكم القتال قبل ان تغشاكم جموع الروم فلا ينفعنا الكلام ولا نقدر عليه ولعلكم ان تندموا إن كان الأمر مخالفا لطلبتكم ورجائكم فابعثوا إلينا رجالا من اصحابكم نعاملهم على ما نرضى نحن وهم به من شيء

فلما أتت عمرو بن العاص رسل المقوقس حبسهم عنده يومين وليلتين حتى خاف عليهم المقوقس . فقال لأصحابه أترون انهم يقتلون الرسل ويستحلون ذلك فى دينهم ؟ وإنما أراد عمرو بذلك ان يروا حالة المسلمين فرد عليهم عمرو مع رسله انه ليس بينى وبينكم إلا إحدى ثلاث خصال إما ان دخلتم فى الاسلام وكنتم إخواننا وكان لكم ما لنا وإن ابيتم فاعطيتم الجزية عن يد وانتم صاغرون وإما ان جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وبينكم وهو خير الحاكمين

فلما جاءت رسل المقوقس إليه قال كيف رايتم هؤلاء؟ قالوا رأينا قوما الموت احب إلى احدهم من الحياة والتواضع احب إلى احدهم من الرفعة ليس لأحدهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة إنما جلوسهم على التراب وأكلهم على ركبهم واميرهم كواحد منهم مايعرف رفيعهم من وضيعهم ولا السيد منهم من العبد ، وإذا حضرت الصلاة لم

يتخلف عنها منهم أحد . يغسلون أطرافهم بالماء ويخشعون فى صلاتهم فقال عند ذلك المقوقس والذى يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها وما يقوى على قتال هؤلاء أحد ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبوا بعد اليوم إذا مكنتهم الأرض وقووا على الخروج من موضعهم . فرد إليهم المقوقس رسله ابعثوا إلينا رسلا منكم نعاملهم ونتداعى نحن وهم إلى ما عساه أن يكون فيه صلاح لنا ولكم .

فبعث عمرو بن العاص عشرة نفر أحدهم عبادة بن الصامت (١) وكان طوله عشرة أشبار وأمره أن يكون متكلم القوم ولا يجيبهم إلى شيء دعوه إليه إلا إحدى هذه الثلاث خصال فان أمير المؤمنين قد تقدم إلى فى ذلك وأمرنى أن لا اقبل شيئا سوى خصلة من هذه الثلاث خصال . وكان عبادة اسود . فلما ركبوا السفن إلى المقوقس ودخلوا عليه تقدم عبادة فهابه المقوقس لسواده وقال نحوا عنى هذا الأسود وقدموا غيره يكلمنى . فقالوا جميعا إن هذا الأسود أفضلنا رأياً وعلماً وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا وإنما نرجع جميعاً إلى

(١) عبادة بن الصامت الأنصارى الخزرجى شهد العقبة الاولى والثانية وكان نقيبا على قوافل بنى عوف بن الخزرج وآخى رسول الله بينه وبين أبى مرثد الغنوى وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله واستعمله النبى صلى الله عليه وسلم على بعض الصدقات وكان يعلم أهل الصفة القرآن ولما فتح المسلمون الشام أرسله عمر بن الخطاب وأرسل معه معاذ بن جبل وأبا الدرداء ليعلموا الناس القرآن ويفقهوهم فى الدين وأقام عبادة بحمص وكان طويلا جسيما جميلا

قوله ورأيه وقد أمره الأمير دوننا بما أمره وأمرنا أن لا نخالف رأيه وقوله . قال وكيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم وإنما ينبغي أن يكون هو دونكم . قالوا كلا إنه وإن كان أسود كما ترى فانه أفضلنا موضعاً وأفضلنا سابقة وعقلا ورأياً وليس ينكر السواد فينا . فقال المقوقس لعبادة تقدم يا أسود وكلمني برفق فاني أهاب سوادك وإن اشتد كلامك على ازددت هيبة . فتقدم عليه عبادة فقال سمعت مقالتك وإن فيمن خلفت من أصحابي ألف رجل أسود كلهم أشد سواداً مني وأفظع منظراً ولو رأيتهم لكنت أهيب لهم منك لي وأنا قد وليت وادبر شبابي وإني مع ذلك بحمد الله ما أهاب مائة رجل من عدوى لو استقبلوني جميعاً وكذلك أصحابي . وذلك إنما رغبتنا وهمتنا الجهاد في الله واتباع رضوانه وليس غزونا عدونا ممن حارب الله لرغبة في دنيا ولا طلب للاستكثار منها إلا أن الله عز وجل قد أحل لنا ذلك وجعل ما غنمنا من ذلك حلالا وما يبالي أحدنا إن كان له قنطار من ذهب أم كان لا يملك إلا درهما لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها يسد بها جوعه لليله ونهاره وشملة يلتحفها فان كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفاه وإن كان له قنطار من ذهب أنفقه في طاعة الله واقتصر على هذا الذي بيده . ويبلغه ما كان في الدنيا لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم ورخاءها ليس برخاء وإنما النعيم والرخاء في الآخرة وبذلك أمرنا الله وأمرنا به نبينا وعهد إلينا أن لا تكون همة أحدنا من الدنيا الا ما يمسك جوعته ، ويستر عورته

وتكون همته وشغله فى رضوانه وجهاد عدوه

فلما سمع المقوقس ذلك منه ، قال لمن حوله . هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط ؟ لقد هبت منظره وإن كلامه لأهيب عندى من منظره . إن هذا وأصحابه أخرجهم الله لخراب الأرض . ما اظن ملكهم إلا سيغلب على الأرض كلها ثم اقبل المقوقس على عبادة بن الصامت فقال له : ايها الرجل الصالح قد سمعت مقالتك وما ذكرت عنك وعن اصحابك ولعمرى ما بلغتم ما بلغتم إلا بما ذكرت وما ظهرتم على ماظهرتم عليه إلا لحبهم الدنيا ورغبتهم فيها وقدتوجه إلينا لقتالكم من جمع الروم مالا يحصى عدده . قوم معروفون بالنجدة والشدة ما يبالى احدهم من لقى ولا من وإنا لنعلم أنكم لم تقدروا عليهم ولم تطيقوهم لضعفكم ولقلتكم وقد أقمتم بين أظهرنا أشهراً وأنتم فى ضيق وشدة من معاشكم وحالكم ونحن نرق عليكم لضعفكم وقلتكم وقلة ما بين أيديكم ونحب تطيب انفسنا أن نصالحكم على ان نفرض لكل رجل منكم دينارين دينارين ولأميركم مائة دينار ولخليفتكم ألف دينار فتقبضونها وتنصرفون إلى بلادكم قبل أن يغشاكم ما لا قوام لكم به . فقال عبادة بن الصامت : « يا هذا لا تغرن نفسك ولا أصحابك . أما ماتخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وانا لا نقوى عليهم فلعمرى ما هذا بالذى تخوفنا به ولا بالذى يكسرنا عما نحن فيه وان كان ما قلتم حقا فذلك والله أرغب ما يكون فى قتالهم وأشد لحرصنا عليهم لأن ذلك أعذر لنا عند ربنا اذا قدمنا عليه

ان قتلنا عن اخرنا كان امكن لنا فى رضوانه وجنته وما شىء أقر لأعيننا ولاأحب لنا من ذلك . وانا منكم حينئذ لعلى احدى الحسنيين إما ان تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا إن ظفرنا بكم أو غنيمة الآخرة ان ظفرتم بنا ولانها احب الخصلتين الينا بعد الاجتهاد منا وان الله عز وجل قال لنا فى كتابه (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) وما منا رجل الا وهو يدعو ربه صباحاً ومساء ان يرزقه الشهادة وان لا يرده الى بلده ولا الى ارضه ولا الى اهله وولده وليس لأحد منا هم فيما خلفه وقد استودع كل واحد منا ربه اهله وولده وانما همنا ما امامنا . واما قولك انا فى ضيق وشدة من معاشنا وحالنا ، فنحن فى اوسع السعة لو كانت الدنيا كلها لنا ماأردنا منها لأنفسنا اكثر مما نحن عليه فانظر الذى تريد فبينه لنا فليس بيننا وبينك خصلة نقبلها منك ولانجيبك اليها الا خصلة من ثلاث فاختر أيتها شئت ولا تطمع نفسك فى الباطل . بذلك أمرنى الأمير وبها امره امير المؤمنين وهو عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل الينا . أما ان اجبتم الى الاسلام الذى هو الدين القيم الذى لا يقبل الله غيره وهو دين أنبيائه ورسله وملائكته امرنا الله تعالى ان نقاتل من خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه . فان فعل كان له ما لنا وعليه ما علينا وكان أخانا فى دين الله . فان قبلت ذلك انت واصحابك فقد سعدتم فى الدنيا والآخرة ورجعنا عن قتالكم ولم نستحل اذا كم ولا

التعرض لـكم وإن أبيتم الا الجزية فأدوا الينا الجزية عن يد وانتم صاغرون وان نعاملـكم على شيء نرضى به نحن وانتم فى كل عام ابداً ما بقينا وبقيتم ونقاتل عنـكم من ناوأكم وعرض لـكم فى شيء من أرضكم ودمائـكم واموالـكم ونقوم بذلك عنـكم إذا كنتم فى ذمتنا وكان لـكم به عهداً علينا . وان ابيتم فليس بيننا وبينـكم إلا المحاكمة بالسيف حتى نموت عن آخرنا او نصيب منكم ما نريد . هذا ديننا الذى ندين الله تعالى به ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره فانظروا لأنفسـكم »

فقال المقوقس : هذا ما لا يـكون ابداً . ما تريدون إلا ان تتخذونا عبيداً ما كانت الدنيا. فقال له عبادة : هو ذاك فاختر لنفسك ما شئت . فقال المقوقس : الا تجيبونا إلى خصلة غير هذه الثلاث خصال ؟ فرفع عبادة يديه إلى السماء . فقال لا ورب هذه السماء ورب هذه الأرض . ورب كل شيء مالـكم عندنا خصلة غيرها فاختاروا لأنفسـكم

فالتفت المقوقس عندذلك الى اصحابه فقال : قد فرغ القوم . فما ترون؟ فقالوا : أويرضى أحد بهذا الذل . أما ماأرادوا من دخولنا فى دينهم فهذا لا يكون ابداً ان نترك دين المسيح ابن مريم وندخل فى دين غيره لا نعرفه . واما ما أرادوا أن يسبونا ويجعلونا عبيداً فالموت أيسر من ذلك لو رضوا منا ان تضعف لهم ما اعطيناهم مراراً كان اهون علينا

فقال المقوقس لعبادة : قد أبى القوم فما ترى ؟ فراجع صاحبك على ان نعطيكم فى مرتكم هذه ما تمنيتم وتنصرفون . فقال عبادة وأصحابه : لا . فقال المقوقس عند ذلك لأصحابه — أطيعونى وأجيبوا القوم إلى خصلة من هذه الثلاث فوالله ما لكم بهم طاقة ولئن لم تجيبوا إليها طائعين لتجيبنهم إلى ماهو أعظم كارهين . فقالوا وأى خصلة نجيبهم إليها ؟ قال إذن أخبركم . أما دخولكم فى غير دينكم فلا آمر به . وأما قتالهم فأنا أعلم أنكم لن تقووا عليهم ولن تصبروا صبرهم ولا بد من الثالثة . قالوا فنكون لهم عبيداً ابداً . قال نعم . تكونون عبيداً مسلطين فى بلادكم آمنين على انفسكم واموالكم وذراريكم خير لكم من ان تموتوا عن آخركم وتكونوا عبيداً تباعوا وتمزقوا فى البلاد مستعبدين أبداً أنتم واهليكم وذراريكم قالوا فالموت اهون علينا (١)

لما يئس المقوقس ومن فر معه إلى الروضة من الاتفاق على الصلح ورفض جنود الروم التسليم رفضاً باتاً ، أمروا بقطع الجسر الذى بين الروضة والحصن وكان من سفن متلاصقة بجانب بعضها واستمر المسلمون يحاصرون الحصن سبعة أشهر حتى فتحوه ويقال ان الذين قتلوا من المسلمين دفنوا فى أصل الحصن ثم اضطر المقوقس والروم ان يمضوا شروط الصلح التى بقيت على ما هى عليه ولم يغيرها

(١) راجع المقريزى ، باب حصار المسلمين للقصر وهذه هى الرواية التى اعتمدها الاستاذ بتلر ونقلها فى كتابه

عمرو بن العاص ورضوا بالجزية ثم رحل المقوقس إلى الاسكندرية تاركاً بابليون وارسل إلى الامبراطور بما تم آسفاً على اضطراره إلى عقد الصلح مع العرب والتمس منه الموافقة على الصلح حتى تخلص البلاد من شرور الحرب فارسل اليه هرقل يوبخه على ما كان منه وقال فى كتابه (إنما اتاك من العرب اثنا عشر الفاً وبمصر من بها من كثرة عدد القبط مالا يحصى فان كان القبط كرهوا القتال وأحبوا أداء الجزية إلى العرب واختاروهم علينا فان عندك بمصر من الروم وبالاسكندرية ومن معك اكثر من مائة ألف معهم العدة والقوة والعرب حالهم وضعفهم على ما قد رايت فعجزت عن قتالهم ورضيت أن تكون ومن معك من الروم فى حال القبط أن لا تقاتلهم أنت ومن معك من الروم حتى تموت او تظفر عليهم الخ)

فلما ورد كتاب الامبراطور إلى المقوقس لم يرض أن يخرج مما دخل فيه من الصلح وقال لعمرو إنما سلطانى على نفسى ومن أطاعنى وقد تم الصلح فيما بيننا وانا متم لك على نفسى والقبط متمون لك على الصلح الذى صالحتهم عليه ثم طلب من عمرو بعض امور منها أنه إن مات يأمر بدفنه فى كنيسة أبى خنش بالاسكندرية فأجابه عمرو إلى ما طلب

رأى الاستاذ واشنجتون أيرفنج

فى فتح حصن بابليون

ومناقشته

يرى الأستاذ أيرفنج ان القصد من إطالة مدة الحصار كان إجاعة المحصورين فى الحصن لحملهم على التسليم . وقال ان المدد الذى أرسل إلى عمرو بن العاص لم يكن مع ذلك كافياً للاستيلاء على الحصن لولا خيانة المقوقس وهو رجل مصرى الأصل او قبطى المولد ، ذو مقام رفيع وعريق فى النفاق! وكان من اليعاقبة كأغلب أقباط مصر ينكران للمسيح طبيعتين وقد استتر وراء مذهبه ومع هذا خدع الامبراطور هرقل وتظاهر بالولاء له ليكون رئيساً على قومه وحاكما على المدينة . وكانت غالبية سكان منفيس أقباطا من اليعاقبة المسيحيين يكرهون مواطنيهم الروم الذين كانوا كاثوليكى المذهب تابعين لكنيسة القسطنطينية . وقد جمع المقوقس مدة حكمه مبالغ طائلة أودعها الحصن . ولما رأى أفول نجم الامبراطور فى مقاطعته فكر فى هذه الفرصة فى الاحتفاظ بأمواله فكاتب قائد المسلمين سراً واتفق معه على تسليم الحصن على شرط ان يأخذ أمواله مكافأة له وفى موعد معين نقل أكثر الحامية من الحصن إلى جزيرة فى النيل فاقتحم عمرو الحصن فى الحال بالمدد الجديد الذى وصل إليه . فبوغت الأقباط إذ قد تركوا بلا معين وفر الروم إلى السفن ومنها

إلى البر لما رأوا خفوق علم المسلمين على الحصن بعد أن أدركوا الخيانة وكان المقوقس سلم الأرض وصالح المسلمين الخ

***

هذا هو رأى الأستاذ أيرفنج فى فتح حصن بابليون وهو يحتاج الى مناقشة ونظر . فالمسلمون لم يطيلوا مدة الحصار بقصد إجاعة اهل الحصن فقط وإن كان قد ترتب على طول المدة انقطاع وصول المؤن للحصن بسبب الحصار ولكن السبب الأهم هو ان الحصن كان منيعاً ومحاطا بالخنادق ومياه النيل ولا سيما زمن الفيضان وقد كان أمنع حصن بعد الاسكندرية . أضف إلى ذلك قلة عدد المسلمين وعدتهم .

أما المقوقس فانه لم يسلمّ بسهولة بل سلّم بعد أن قطع الرجاء ولم يرد أى مدد خارجى من الجيش الرومانى لانقاذه من الحصار . وأخيراً اضطر إلى التسليم بشروط ملائمة وتمكن من نقل اكثر الحامية وامواله . ثم ان المقوقس إذا كان قد اظهر ميلا إلى المسلمين فالسبب فى ذلك يرجع إلى ان الروم اثقلوا كواهل الشعب بالضرائب المتعددة واضطهدوا الأقباط اضطهادا دينيا حتى ان بنيامين بطريق اليعاقبة فر منهم إلى الصعيد واختفى فى أحد الأديرة ونصح لقومه باقتفاء اثره

ولا بد ان المقوقس وهو الذى بعث بالهدايا إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم كان يعلم بتسامح العرب وعدلهم وحسن معاملتهم للذميين ومنحهم حرية الأديان للبلاد التى فتحوها بالشام . واقرب دليل على ذلك ان عمرو بن العاص لما أسر ابنة المقوقس ببلبيس ارسلها معززة مكرمة الى أبيها فكان لذلك وقع حسن فى نفسه

وهناك مسألة جديرة بالنظر وهى ان المدد الى المسلمين وصل مرة بعد أخرى الى ان بلغ عددهم ١٢,٠٠٠ قطع هذه المسافة الشاسعة من الشام الى عاصمة مصر من غير أن يقاتلهم او يصدهم أو يناوشهم جيش رومانى فى الطريق وهذا يدل من غير شك على اهمال القيادة الرومانية وعدم توحيد كلمتها لأن المدد الذى كان يرسله عمر كان يصل سالما وكان من السهل إعاقتهم فى الطريق ولو كان جيش عمرو بن العاص عظيماً لقلنا إنهم خلّفوا وراءهم جيشاً لتأمين الطريق . هذا ما فكرت فيه طويلا ومن حسن الحظ ان الأستاذ رفيق بك العظم فى كتابه اشهر مشاهير الاسلام يلاحظ ذلك ايضا فقد قال:

« والذى يظهر للمتأمل فى اخبار فتح بابليون أن نظام الدفاع فى البلاد المصرية كان مختلا جداً اذ ان عمرو بن العاص كان قليل الجند ولا يسعه ترك حامية من جنده فى البلاد التى افتتحها فى دخوله الى مصر لتحفظ خط الاتصال بينه وبين جيوش المسلمين بالشام فهو بالضرورة جاء بكل جيشه الى بابليون وأصبح فى قلب البلاد . فلو كان ثمة نظام حسن للدفاع عند الروم كما كان ذلك فى

سورية لانكفأوا عليه من أطراف البلاد وحاصروه فى مستقره حصاراً لا مناص له بعده من الموت او التسليم ولعل السلطة العامة لم تكن يومئذ متوفرة للمقوقس وكان عمال الأطراف كل واحد منهم مستبداً على الآخر يعد اسباب الحيطة لنفسه دون غيره »

عمرو بن العاص

يصف مصر لأمير المؤمنين

لما تم الصلح أرسل عمرو بن العاص الى عمر يعلمه بالفتح فأجابه داعياً له وسأله أن يصف له مصر فكتب اليه :

ورد الىّ كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه يسألنى عن مصر اعلم يا امير المؤمنين أن مصر قرية غبراء · وشجرة خضراء . طولها شهر وعرضها عشر . يكتنفها جبل اغبر . ورمل اعفر . يخط وسطها نهر مبارك الغدوات ، ميمون الروحات . تجرى فيه الزيادة والنقصان كجرى الشمس والقمر. له أوان يدر حلابه ويكثر عجاجه وتعظم أمواجه فتفيض على الجانبين فلا يمكن التخلص من القرى بعضها الى بعض الا فى صغار المراكب . وخفاف القوارب وزوارق كأنهن المخائل أو ورق الأصائل . فاذا تكامل فى زيادته نكص على عقبه ، كأول ما بدأ فى جريته . وطمى فى درته . فعند ذلك تخرج ملة محقورة : وذمة مخفورة . يحرثون بطون الأرض ويبذرون بها الحب . يرجون بذلك النماء من الرب . لقيهم ما سعوا

من كدهم فناله عنهم بغير جدهم فاذا أحدق الزرع وأشرق سقاه الندى وغذّاه من تحت الثرى . فبينما مصر يا أمير المؤمنين لؤلؤة بيضاء إذ هى عنبرة سوداء . فاذا هى زمردة خضراء . فاذا هى ديباجة زرقاء فتبارك الله الخالق لما يشاء . والذى يصلح هذه البلاد ويقر قاطنها فيها أن لا يقبل قول خسيسها فى رئيسها ولا يستأدى خراج ثمرة إلا فى أوانها وأن يصرف ثلث ارتفاعها فى عمل جسورها وترعها فاذا تقرر الحال مع العمال على هذه الأحوال تضاعف ارتفاع المال والله الموفق إلى حسن المآل

شروط الصلح

قال الطبرى : « لما نزل عمرو على القوم بعين شمس وكان المُلك بين القبط والنوب ونزل معه الزبير عليها قال أهل مصر لملكهم ما تريد إلى قوم فلوا كسرى وقيصر وغلبوهم على بلادهم صالح القوم واعتقد منهم ولا تعرض لهم ولا تعرضنا لهم وذلك فى اليوم الرابع فأبى وناهدوهم فقاتلوهم وارتقى الزبير سورها فلما أحسوه فتحوا الباب لعمرو وخرجوا إليه مصالحين فقبل منهم ونزل الزبير عليهم عنوة حتى خرج على عمرو من الباب معهم واعتقدوا بعد ما أشرفوا على الهلكة فأجروا ما أخذوا عنوة فجرى ما صالح عليه فصاروا ذمة »

أورد الطبرى هذه المقدمة قبل إيراد شروط الصلح رواية عن

سيف وإنا قبل أن نذكر الشروط نلاحظ أن هذه المقدمة مضطربة فان عين شمس لم يكن بها حصن ولم يرتق الزبير سورها إنما تسلق الزبير حصن بابليون كما تقدم . وهذا نص العقد :

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصُلُبهم وبرهم وبحرهم لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقض ولا يساكنهم النوب وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف وعليهم ماجنى لصوتهم فان أبى أحد منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزاء بقدرهم وذمتنا ممن أبى بريئة وإن نقص نهرهم من غايته إذا انتهى رفع عنهم بقدر ذلك ومن دخل فى صلحهم من الروم والنوب فله مثل مالهم وعليه مثل ماعليهم . ومن أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه او يخرج من سلطاننا عليهم ما عليهم أثلاثا فى كل ثلث جباية ثلث ما عليهم على ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمته وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذمم المؤمنين وعلى النوبة الذين استجابوا إنه يعينوا بكذا وكذا رأسا وكذا وكذا فرساً على أن لايغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة . شهد الزبير وعبد الله ومحمد ابناه وكتب وردان وحضر[1] »

---

(١) قال الاستاذ بتلر أن هذا العقد الذى أورده الطبرى هو عقد صلح الاسكندرية

وهذا العقد مقتضب فقد فرض على جميع من بمصر أعلاها وأسفلها من القبط ديناران ديناران عن كل نفس شريفهم ووضيعهم من بلغ منهم الحلم ليس على الشيخ الفاني ولا على الصغير الذى لم يبلغ الحلم ولا على النساء شيء وعلى ان للمسلمين عليهم النزل بجماعتهم حيث نزلوا ومن نزل عليه ضيف واحد من المسلمين أو أكثر من ذلك كانت لهم ضيافة ثلاثة أيام مفترضة عليهم وان لهم أرضهم وأموالهم لا يتعرض لهم فى شيء منها فشرط ذلك كله على القبط خاصة . وأحصوا عدد القبط يومئذ من بلغ منهم الجزية وفرض عليهم الديناران . رفع ذلك عرفاؤهم بالايمان المؤكدة فكان جميع من أحصى يومئذ بمصر أعلاها وأسفلها ستة آلاف ألف نفس (يعنى ستة ملايين) فكانت فريضتهم يومئذ اثنى عشر ألف ألف دينار (١٢,٠٠٠,٠٠٠) وهذا بناء على ما جاء بالمقريزى وعلى ذلك يكون عدد سكان أهل مصر بحسب هذا التقدير أربعة وعشرين مليونا وهو عدد مبالغ فيه كثيراً

المسير إلى الاسكندرية

وفتحها

فرغ المسلمون من حصار بابليون فى ٩ إبريل سنة ٦٤١م بعد أن استمر سبعة أشهر

وقد اختلف المؤرخون هل افتتحت مصر عنوة أو صلحاً ، أما

من جهة فتح بابليون فان هناك أساساً صحيحاً لاختلاف الآراء كما قال الأستاذ بتلر لأننا إذا ذهبنا إلى أن بابليون فتح عنوة فذلك لأن الزبير بن العوام هاجم الحصن وبذلك وضع حداً لمقاومة الرومان والقائلون بالفتح صلحا يرون استعمال القوة بالمعنى الصحيح لم يكن سبباً فى الصلح

قال الليث عن يزيد بن أبى حبيب . مصر كلها صلح إلا الاسكندرية فانها فتحت عنوة . وقال ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة ان مصر فتحت عنوة . وقال ابن شهاب كان فتح مصر بعضها بعهد وذمة وبعضها عنوة فجعلها عمر بن الخطاب رضى الله عنه جميعها ذمة وحملهم على ذلك فمضى ذلك فيهم الى اليوم

هذا ومع أن معاهدة الصلح كانت محلية فقد شعر بنتائجها جميع الأمبراطورية الرومانية . وأن عمرو بتغلبه على الفرما وبلبيس وعين شمس استولى على شرق الدلتا وبفتح بابليون استولى على قمة الدلتا وقبض على جميع وادى النيل من الوسط وبذلك أتم فتح نصف مصر .

أمر عمرو بعد فتح بابليون باعادة الجسر الذى كان مصنوعا من سفن متلاصقة من الروضة إلى بابليون بعد أن قطعه الروم ورمم جدران الحصن ووضع فيه حامية تحت قيادة حارثة بن حذيفة

(فسطاط عمرو)

كان عمرو بن العاص نصب فسطاطه فى موضع الدار المعروفة باسرائيل على باب زقاق الزهرى ، فبعد ان فتح الحصن أجمع على المسير الى الأسكندرية وأمر بفسطاطه ان يقوّض فاذا بيمامة قد باضت فى أعلاه فقال لقد تحرمت بجوارنا . أقروا الفسطاط حتى تنقف وتطير فراخها - فأقر فسطاطه ووكل به من يحفظه أن لا تهاج وقد ذكر حكاية اليمامة ياقوت فى معجمه ونقلها الأستاذ بتلر وعلق عليها قائلا : (نقلت هذه القصة من ياقوت وهى تناسب تماما الوقت الذى غادر فيه عمرو بابليون وهو آخر شهر ابريل ولذا فان لها نصيباً من الصحة)

ولا شك أن عمرو قصد من زحفه على الأسكندرية أن يسير الى نقيوس [1] وهى مدينة كان لها أهمية عظيمة لمناعتها من الوجهة الحربية وهى على فرع رشيد ولهـا شهرة تاريخية قديمة فى زمن الفراعنة وقد أراد عمرو بالمسير من جهة الفرع الغربى للنيل أو الصحراء أن لا يكون فى طريق فرسانه اى عائق يمنعهم عن التقدم أو الارتداد لأن الفرع الشرقى متشبك بالترع فى الدلتا

وقد أسند القـائد الرومانى (تيودور) قيادة القوة التى كانت

---

(١) قامت على أطلال هذه المدينة قرشبشير الواقعة إلى الشمال والغرب من منوف

بنقيوس إلى دومنتيانوس Domentianus[1] الذى كان لديه اسطول كبير من القوارب، أعدها للدفاع عن البلد. فلما اقترب المسلمون فر هذا القائد بقارب إلى الاسكندرية من شدة الخوف (وكان على مايقال ضعيفا جبانا) فلما رأت الحامية خيانة القائد ألقى الجند السلاح واندفعوا إلى القناة بحالة فزع شديد لعبورها والوصول إلى القوارب وكان كل جندى فى ذلك الوقت لا يفكر الا فى النجاة بنفسه والهرب إلى بلده. وفى هذه الأثناء وافاهم العرب وأعملوا فيهم السيف وقتلوهم عن آخرهم ودخل المسلمون البلد بلا مقاومة وكان ذلك فى ١٣ مايو سنة ٦٤١

لم يذكر مؤرخو العرب هذه الموقعة وانما ذكرها يوحنا اسقف نقيوس وعنى بذكرها بتلر فى كتابه

مكث عمرو بعض أيام فى نقيوس وقبل أن يسير إلى الاسكندرية أرسل قوة فى أثر العدو بقيادة شريك بن سمى ثم سار عمرو حتى وصل الدلنجات ومن ثم سار نحو الشمال فى تجاه دمنهور فالتقى بالروم فى سُلْطَيس على ستة أميال جنوبى دمنهور فاقتتلوا قتالا شديدا انهزم فيه الروم واستولى عمرو على دمنهور بلا عناء ثم التقوا بالكِرْيون[2] فاقتتلوا بها بضعه عشر يوماً وكان عبد الله بن عمرو على المقدمة وحامل اللواء يومئذ وردان مولى عمرو فأصابت عبد الله

(١) راجع فتح مصر للاستاذ بتلر طبع سنة ١٩٠٢ ص ٢٨٣ — ٢٨٤

(٢) موضع قرب الاسكندرية

ابن عمرو جراحات كثيرة . وكانت كريون آخر سلسلة الحصون بين بابليون والاسكندرية ومشهورة بتجارة القمح ومع أن الروم قد حصنوها لكنها كانت أقل شأنا ومناعة من بابليون ونقيوس

كانت وقعة الكريون من أصعب مالقى المسلمون من الحروب لأن الجيش الرومانى كان قد وصل إليه المدد من القسطنطينية وتولى القيادة تيودور بنفسه وصلى عمرو بالمسلمين صلاة الخوف ثم ظفر المسلمون بالفتح واستولوا على البلد والحصن وطردوا الروم بعد أن قتل من الطرفين عدد كبير

بعد أن تم الاستيلاء على كريون صار الطريق إلى الاسكندرية سهلا فاستراح عمرو وأراح جيشه قليلا مما عاناه من القتال الشديد ثم سار إلى الاسكندرية وتقدم إليها من الجنوب الشرقى وكانت حاميتها لا تقل عن ٥٠,٠٠٠ مقاتل وأسوارها منيعة وبالبحر أسطول رومانى ولم يكن للعرب سفينة واحدة

أما عدد جيش المسلمين فلم يتجاوز ١٢,٠٠٠ وليس لديهم من معدات القتال مايستطيعون به هدم أسوار المدينة وحصونها . وأما الأقباط فقد كانوا يعاونون المسلمين فى جلب المؤن لكنهم لم ينضموا إليهم لمحاربة الروم بالسلاح . استأسدت العرب وألحت بالقتال على أهل الاسكندرية فقاتلوهم قتالا شديدا وخرج طرف من الروم من باب حصن الاسكندرية فحملوا على الناس فقتلوا رجلا من مهرة واحتزوا راسه ومضوا به فجعل المهريون يتغضبون وقالوا لا ندفنه

الا براسه فقال عمـرو . تتغضبون كأنـكم تتغضبون على من يبـالى بغضبكم. احملوا على القوم إذا خرجوا فاقتلوا منهم رجلا ثم ارموا برأسه يرمونكم برأس صاحبكم . فخرجت الروم إليهم فاقتتلوا فقتل من الروم رجل من بطارقتهم فاحتزوا رأسه ورموا به الروم فرمت الروم برأس المهرى اليهم فقال دونكم الآن فادفنوا صاحبكم ثم اشتد القتال حتى اقتحموا حصن الاسـكندرية فقاتلهم العرب فى الحصن ثم جاشت الروم حتى أخرجوهم جميعامن الحصن الا اربعة نفر تفرقوا فى الحصن واغلقوا عليهم باب الحصن، أحدهم عمرو بن العاص والآخر مسلمة بن مخلد وحالوا بينهم وبين اصحابهم ولا يدرى الروم من هم فلما رأى ذلك عمرو بن العاص واصحابه التجأوا إلى ديماس من حماماتهم فدخلوا فيه فاحترزوا به فأمروا روميا ان يكلمهم بالعربية فقال لهم انكم قد صرتم فى ايدينا اسارى فاستأسروا ولا تقتلوا أنفسكم فامتنعوا عليه ثم قال لهم ان فى ايدى اصحابكم منا رجالا اسروهم ونحن نعطيكم العهود نفادى بكم اصحابنا ولا نقتلـكم فأبوا عليه . فلما رأى ذلك الرومى منهم ، قال لهم : هل لكم إلى خصلة وهى نصف فان غلب صاحبنا صاحبكم استأسرتم لنـا وامـكنتمونا من انفسكم وان غلب صاحبكم صاحبنا خلينا سبيلـكم إلى اصحابـكم فرضوا بذلك وتعاهدوا عليه وعمرو ومسلمة وصاحبهما فى الحصن فى الديماس فتداعوا إلى البراز فبرز رجل من الروم وقد وثقت الروم بنجدته وشدته وقالوا يبرز رجل منكم لصاحبنا فأراد

عمرو ان يبرز فمنعه مسلمة وقال ماهذا تخطى مرتين تشذ من اصحابك وأنت أمير وانما قوامهم بك وقلوبهم معلقة نحوك لا يدرون ما امرك ولا ترضى حتى تبارز وتتعرض للقتل فان قتلت كان ذلك بلاء على اصحابك . مكانك وانا اكفيك ان شاء الله. فقال عمرو دونك فربما فرجها الله بك فبرز مسلمة للرومى فتجاولا ساعة ثم اعانه الله عليه فقتله ، فكبر مسلمة واصحابه ووفى لهم الروم بما عاهدوهم عليه ، ففتحوا لهم باب الحصن فخرجوا ولا يدرى الروم ان امير القوم فيهم حتى بلغهم بعد ذلك فأسفوا على ذلك

هذا ما رواه ابن عبد الحكم وهى اشبه بالقصص منها بالتاريخ

وكان فتح الاسكندرية فى محرم سنة ٢١ هـ

***

بينما كانت الحوادث تسير على هذا المنوال فى مصر نعى هرقل فى أواخر حصار بابليون[1] وقد كان يريد الخروج إلى الاسكندرية حتى يباشر قتالها بنفسه غير ان المنية عاجلته ، وكان يقول لئن ظهرت العرب على الاسكندرية ففى ذلك انقطاع الروم وهلاكهم لانه ليس للروم كنائس أعظم من كنائس الاسكندريه

كانت وفاة الأمبراطور يوم السبت ١١ فبراير سنة ٦٤١ بعد أن حكم ٣١ سنة وكان عمره عند وفاته ٦٦ عاما ، وذلك قبل

(١) قال جيبون ان هرقل مات بمرض الاستسقاء

فتح حصن بابليون بشهرين وقد أوصى ابنه قسطنطين ان يعامل جميع المسجونين والمنفيين بالرفق وان يعيد المنفيين إلى بلادهم. فقام قسطنطين بعد موت ابيه بتنفيذ وصيته وأرسل اسطولا كبيراً لاعادة المقوقس. أما المكان الذى نفى اليه المقوقس والمدة التى قضاها فى النفى فغير معروفة. ثم استدعى الامبراطور الجديد القائد تيودور من مصر ليستشيره وبقى اناستاسيوس قائداً على الاسكندرية وعلى البلاد التى لم يستول عليها المسلمون بعد وصدرت الأوامر إلى الجيوش بالتأهب للسفر غير ان قسطنطين أصيب منذ تولية العرش بمرض شديد فمات فى شهر مايو سنة ٦٤١ بعد ان حكم (١٠٣) أيام وتولى بعده ابنه كونستانس الثاني Constans II وكان المقوقس قد سافر إلى مصر ويقال ان الامبراطور فوّض اليه ان يعقد الصلح مع العرب ويضع حداً لكل مقاومة فى البلاد ويتولى ادارة مصر ادارة حسنة لأن المقوقس كان لا يزال يأمل فى اعادة السيادة الامبراطورية إلى مصر [١] والسبب فى تفويضه عقد الصلح راجع إلى ان مارتينا Martina الزوجة الثانية لهرقل كانت من أنصار الصلح فنال المقوقس عطفها ورضاها

لم يعد المقوقس إلى مصر مجرداً من القوة بل عاد ومعه قوة حربية يعتمد عليها فى حالة ما إذا رفض العرب شروط الصلح وأرسل معه قائد جديد من الرديف اسمه قسطنطين

---

(١) راجع بتلر ص ٣٠٥

أما الحالة فى مصر فكانت فى غاية الاضطراب إذ اندلعت فيها نيران الفتن ونشبت الحروب الداخلية لا بين الاقباط والروم بل بين جنود الامبراطورية فانهم انقسموا أحزاباً وتقاتلوا وانشغلوا عن محاربة المسلمين. وفى ١٤ سبتمبر سنة ٦٤١ وصل المقوقس والقائد تيودور إلى الاسكندرية

ولما علم أهالى الاسكندرية بعودة المقوقس ابتهجوا وحمدوا الله على وصول البطرق سالما واحتشد الرجال والنساء والاطفال لتحيته وتقديم واجب الاحترام له وازدحمت شوارع الاسكندريه على سعتها وقد عانى المقوقس مشقة عظيمة حتى وصل إلى الكنيسة

وفى أواخر شهر اكتوبر ابان فيضان النيل سافر المقوقس إلى بابليون واجتمع بعمرو بن العاص وتفاوضوا فى شأن الصلح عدة أيام وبعد ان اتفقا على شروط عقد الصلح ووقعا عليه فى ٨ نوفمبر سنة ٦٤١ وهو يقضى بتسليم الاسكندرية وذلك بعد حصار دام أربعة عشر شهراً

ثم أراد عمرو ان تكون الاسكندرية مقراً للملك فلم يرض الخليفة بذلك فعاد إلى الصعيد واشتغل بحرب النوبة فأخضع أهلها بعد أن حاربهم طويلا . واحتلت قوة من العرب الجيزة وأنشأ عمرو فسطاطه بالقرب من منف واخذت تتسع سريعا وصارت عاصمة مصر وهناك بنى عمرو جامعه العظيم الذى سمى باسمه

ولما كتب عمرو إلى عمر بن الخطاب يستأذنه فى سكنى الاسكندرية

كتب اليه عمر لا تنزل بالمسلمين منزلا يحول بيني وبينهم فيه نهر ولا بحر . فقال عمرو لاصحابه : أين تنزل ؟ فقالوا نرجع أيها الأمير إلى فسطاطك فرجعوا وجعلوا يقولون نزلت عن يمين الفسطاط وشماله فسميت البقعة الفسطاط لذلك (١)

ولما فتحت مصر التمس أكثر المسلمين الذين شهدوا الفتح ان تقسم بينهم فقال عمرو لا أقدر على قسمنها حتى أكتب إلى امير المؤمنين فكتب اليه عمر لا تقسمها وذرهم يكون خراجهم فيئا للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم . فأقرها عمرو وأحصى أهلها وفرض عليهم الخراج دينارين على كل رجل لا يزاد على أحد منهم فى جزية رأسه أكثر من دينارين الا أنه يلزم بقدر ما يتوسع فيه من الارض والزرع الا أهل الاسكندرية فانهم كانوا يؤدون الجزية والخراج على قدر ما يرى من وليهم لأن الاسكندرية فتحت عنوة

إرسال معاوية بن خديج

إلى عمر بن الخطاب بفتح الاسكندرية

ارسل عمرو بن العاص معاوية بن خديج وافداً إلى عمر بن الخطاب بشيراً بالفتح . فقال له معاوية : ألا تكتب معى ؟ فقال له

---

(١) كلمة الفسطاط اصلها لاتينى Fossatum

عمرو وما أصنع بالكتاب ؟ ألست رجلا عربيا تبلغ الرسالة وما رأيت وحضرت ؛

فلما قدم على عمر أخبره بفتح الاسكندرية فخر عمر ساجداً وقال الحمد لله

وقال معاوية بن خديج : بعثني عمرو بن العاص إلى عمر رضي الله عنه بفتح الاسكندرية فقدمت المدينة في الظهيرة فأنخت راحلتي بباب المسجد ثم دخلت المسجد فبينا أنا قاعد فيه اذ خرجت جارية من منزل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرأتني شاحباً عليَّ ثياب السفر فأتتني وقالت من أنت ؛ فقلت أنا معاوية بن خديج رسول عمرو بن العاص . فانصرفت عني . ثم أقبلت تشد اسمع حفيف إزارها على ساقها حتى دنت مني . ثم قالت . قم فأجب امير المؤمنين يدعوك فتبعتها . فلما دخلت فاذا بعمر يتناول رداءه باحدى يديه ويشد إزاره بالأخرى . فقال ما عندك ؛ فقلت خير ياامير المؤمنين فتح الله الاسكندرية . فخرج معي إلى المسجد . فقال للمؤذن اذن في الناس الصلاة جامعة . فاجتمع الناس . ثم قال لي قم فأخبر اصحابك فقمت فاخبرتهم ثم صلى ودخل منزله واستقبل القبلة فدعا بدعوات ثم جلس فقال ياجارية هل من طعام ؛ فأتت بخبز وزيت . فقال كل فا كلت حياء . ثم قال المسافر يحب الطعام فلو كنت آكلا لأ كلت معك فأصبت على حياء . ثم قال ياجاريه هل من تمر ؛ فأتت بتمر في طبق . فقال كل فأ كلت على حياء . ثم قال ماذا قلت يامعاوية حين أتيت

المسجد ، وقال قلت أمير المؤمنين قائل [١]. قال بئس ما قلت أو بئس ما ظننت لئن نمت النهار لأضيعن الرعية ولئن نمت الليل لأضيعن نفسى فكيف بالنوم مع هذين يامعاوية ! [٢]

هذه كانت حال عمر فى تقشفه ويقظته وسهره على الرعية وقد بقى كذلك مدة خلافته مع انه كان قد قهر الفرس والروم وملك مصر ولم يرو لنا معاوية بن خديج أن عمر حدثه بأكثر من ذلك أو سأله عن حال عمرو بن العاص وجيشه ومجرى الحوادث فى مصر بل اكتفى منه بما سمعه عن فتح الاسكندرية

ثم كتب عمرو بن العاص بعد ذلك إلى عمر بن الخطاب :

« أما بعد فانى فتحت مدينة لا أصف مافيها غير انى أصبت فيها أربعة آلاف حمام واربعين ألف يهودى عليهم الجزية واربعمائة ملهى للموك »

فتح دمياط

كان بدمياط رجل من أخوال المقوقس يقال له الهاموك فامتنع بها واستعد لمحاربة المسلمين . فأرسل إليه عمرو بن العاص المقداد بن الاسود فى طائفة من المسلمين فحاربهم الهاموك وقُتل ابنه فى الحرب

(١) قال يقيل قيلا وقيلولة نام نصف النهار فهو قائل

(٢) خطط المقريزى

فاستشار أصحابه فى أمره . فأشار إليه حكيم قد حضر الشورى ان يعقد مع المسلمين صلحا فغضب منه الهاموك ويقال إنه قتله وكان له ابن عاقل يسمى شطا وله دار ملاصقة للسور فخرج ليلا ودل المسلمين على عورات البلد فاستولى المسلمون عليها وتمكنوا منها وبرز الهاموك للحرب فلم يشعر بالمسلمين الا وهم يكبرون على سور البلد . فعندما رأى شطا بن الهاموك المسلمين فوق السور لحق بهم ومعه عدة من أصحابه ففت ذلك فى عضد أبيه واستأمن للمقداد فتسلم المسلمون دمياط واستخلف المقداد عليها وسير بخبر الفتح إلى عمرو بن العاص

وخرج شطا وقد أسلم إلى البرلس والدميرة وأشموم طناح فحشد أهل تلك النواحى وقدم بهم مدداً للمسلمين وسار بهم بفتح تنيس وقاتل اهلها قتالا شديداً حتى قتل رحمه الله فى المعركة شهيداً . فحمل من المعركة ودفن فى مكانه المعروف به خارج دمياط

عروس النيل

قال ابن عبد الحكم : لما استقر عمرو بن العاص بمصر جاء إليه القبط وقالوا له أيها الأمير إن لنيلنا سُنة كل سنة لايجرى إلا بها . فقال لهم وما هى ؟ فقالوا إذا كان ليلة اثنتى عشرة من شهر بؤونة من الشهور القبطية عمدنا إلى جارية بكر وأخذناها من ابويها غصباً او رضا وجعلنا عليها الحلى والحلل ثم نلقيها فى بحر النيل فى مكان معلوم .

فلما سمع عمرو بن العاص ذلك ، قال لهم هذا الامر لا يكون فى الاسلام ابداً . فأقام اهل مصر شهر بؤنة وابيب ومسرى وتوت من الشهور القبطية ولم يجر فيها النيل لا قليلا ولا كثيراً . فهم أهل مصر بالجلاء . فلما أن رأى عمرو بن العاص ذلك كتب كتابا إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وارسله على يد نجاب فلما وصل امير المؤمنين عمر بن الخطاب كتب بطاقة وارسلها إلى عمرو بن العاص وأمره ان يلقيها فى بحر النيل . فلما وصلت إلى عمرو بن العاص فتح تلك البطاقة وقرأ ما فيها وإذا مكتوب فيها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر بن الخطاب الى نيل مصر المبارك . اما بعد فان كنت تجرى من قبلك فلا تجر وان كان الله تعالى الواحد القهار يجريك فنسأل الله تعالى ان يجريك »

فلما وقف عمرو على ما فى البطاقة القاها فى النيل كما أمره أمير المؤمنين عمر . وقد القاها فى النيل قبل عيد الصليب بيوم وكان قد اجلى غالب اهل مصر من عدم جريان الماء . فلما اصبح الناس يوم عيد الصليب راوا النيل زاد فى تلك الليلة ستة عشر ذراعا فى دفعة واحدة وقد قطع الله تلك السنة السيئة عن اهل مصر ببركة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه

نقل هذه الرواية بن اياس فى كتابه تاريخ مصر بلا تعليق ونقلها ايضا المقريزى فى خططه وأضاف اليها ما يأتى :

(وذكر بعضهم ان جاحلاً الصدفى هو الذى جاء ببطاقة عمر

رضى الله عنه إلى النيل حين توقف فجرى باذن الله تعالى) وبمراجعة اسد الغابة وجدت جاحل الصدفى مذكوراً فيه وذكره ابن منده فى جملة الصحابة لكن ابا نعيم ينكر صحبته

وكتب على مبارك باشا فى خططه :

« ثم أن المؤرخين قد ذكروا أنه كان للمصريين عوائد كثيرة يجرونها عند وفاء النيل فمن ضمنها تغريق بنت بكر من اجمل البنات بعد أن يجملوها بأحسن الملابس وأفخر الحلى ويعملوا لذلك فرحاً وبقيت هذه العادة جارية الى زمن قسطنطين على ما يقال فأمر هذا القيصر بابطالها وأصدر أوامره بذلك لأجل ان لا تعاد ومع ذلك يظهر ان هذه العادة غلبت على أوامر هذا القيصر لأن المنقول عن مؤرخى العرب أن هذه العادة كانت جارية عند دخول المسلمين الديار المصرية لأن الأقباط المصريين طلبوا من عمرو بن العاص التصريح باجرائها لأجل أن يجرى النيل وكان قد توقف إلى آخر شهر مسرى فلم يرخص لهم بذلك » ثم أورد على باشا مبارك رواية ابن عبد الحكم نقلا عن المقريزى . وجاء فى الجزء الأول من كتاب حقائق الاخبار عن دول البحار ص ١٨٣ :

« وأبطل — عمرو — عادة قبيحة كان يجرى عليها أهل مصر من القديم وهى أنهم يلقون فى النيل عند زيادته بنتا يزينونها بأفخر زينة وغير ذلك من البدع القبيحة »

والذى نراه بعد ذلك أن عادة إلقاء بنت فى النيل كانت جارية

فأبطلها عمرو لأنها تخالف الاسلام بل تخالف الانسانية وأقر الخليفة رأى عمرو . والذى يؤيد ذلك ما جاء فى خطط على مبارك باشا من أن قسطنطين كان قد أبطلها ثم إنها عادت لاستحكامها ولاعتقادهم أن النيل لا يجرى إلا إذا ألقيت فيه بنت كانت تذهب ضحية اعتقاد فاسد . ولم يتضح بطلان هذه العقيدة إلا بعد إبطالها . ثم ان المقرزى ذكر أن جاحل الصدفى هو الذى أتى بكتاب أمير المؤمنين وجاحل هذا شخص له وجود بدليل أنه مذكور فى أسد الغابة . غير ان رواية ابن عبد الحكم فيها شيء من المبالغة ، ذلك انه قال « وكان قد أجلى عالب أهل مصر » ولا نظن ذلك لأنهم لا يجلون بسبب تاخر الفيضان إذ ليست هذه أول مرة يتأخر فيها الفيضان . وقوله « فلما أصبح الناس يوم عيد الصليب رأوا النيل زاد فى تلك الليلة ستة عشر ذراعاً فى دفعة واحدة » وهذا غير معقول لأن النيل لا يمكن أن يزيد ستة عشر ذراعاً فى ليلة واحدة ولا بد أن الزيادة حدثت تدريجاً وعلى العموم فللاسلام فضل عظيم في ابطال تلك العادة الوحشية وإراحة الناس من إلقاء بناتهم ومشاهدتهم هذا المنظر الفظيع

حريق مكتبة الاسكندرية

إن الذى ذكر أن مكتبة الاسكندرية قد أحرقها عمرو بن العاص هو أبو الفرج الملطى [١] فى كتاب مختصر الدول . وهو غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون المعروف بابن العبرى ولد سنة ١٢٢٦ م وتوفى سنة ١٢٨٦ م

وهذه قصة حريق المكتبة كما رواها أبو الفرج :

« كان وقت الفتح رجل اكتسب شهرة عظيمة عند المسلمين يسمى يوحنا النحوى كان قسيسا قبطيا من أهل الاسكندرية وفى هذا الزمان اشتهر بين الاسلاميين بيحيي المعروف عندنا بغرماطيقوس أى النحوى وكان اسكندريا يعتقد اعتقاد النصارى اليعقوبية ويشيد عقيدة ساورى ثم رجع عما يعتقده النصارى فى التثليث . فاجتمع إليه الأساقفة بمصر وسألوه الرجوع عما هو عليه فلم يرجع فأسقطوه من منزلته وعاش إلى أن فتح عمرو بن العاص مدينة الاسكندرية ودخل على عمرو وقد عرف موضعه من العلوم فأكرمه عمرو وسمع من ألفاظه الفلسفية التى لم تكن للعرب بها أنسة ماهاله ففتن به وكان عمرو عاقلا حسن الاستماع صحيح الفكر فلازمه وكان لا يفارقه . ثم قال له يحي يوماً . إنك قد أحطت بحواصل الاسكندرية وختمت على كل الأشياء الموجودة بها فمالك

(1) Abulfargius (Bar - hebraeus)

به انتفاع فلا أعارضك فيه وما لا انتفاع لك به فنحن أولى به . فقال له عمرو . وما الذى تحتاج اليه ؟ قال كتب الحكمة التى فى خزائن الملوكية . فقال له عمرو لا يمكننى ان آمر فيها إلا بعد استئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . وكتب إلى عمر وعرفه قول يحيى فورد عليه كتاب عمر يقول فيه : وأما الكتب التى ذكرتها فان كان فيها ما يوافق كتاب الله ففى كتاب الله عنه غنى . وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة إليه فتقدم باعدامها . فشرع عمرو بن العاص فى تفريقها على حمامات الاسكندرية وإحراقها فى مواقدها فاستنفدت فى ستة أشهر فاسمع ما جرى واعجب »

لم يرد ذكر هذه الرواية فى تاريخ الطبرى وابن الاثير واليعقوبى والكندى وابن عبد الحكم والبلاذرى وابن خلدون انما كتبها أبو الفرج فى منصف القرن الثالث عشر الميلادى وأوائل القرن السابع الهجرى من غير أن يذكر مصدرها والظاهر انه نقلها من عبد اللطيف البغدادى الذى ذكر حريق مكتبة الاسكندرية حوالى سنة ١٢٠٠م وقد ظل أمر المكتبة مجهولا منذ الفتح إلى هذه السنة

وقد بحث الاستاذ بتلر عن يوحنا النحوى[1] الذى قيل انه تحادث مع عمرو فى شأن إعطائه الكتب . فقال انه لم يكن حياً فى سنة ٦٤٢ م (أى السنة التى احترقت فيها المكتبة) وقال ولو انه كان حياً فى سنة ٦٤٢ لكان عمره ١٢٠ سنة . فمن الواضح أن يوحنا

---

[1] (ohnhPiloponus (John the Brammarian)

كان قد مضى على وفاته ثلاثون أو أربعون عاماً عند دخول عمرو بن العاص الاسكندرية . وذكرت دائرة المعارف البريطانية أن يوحنا كان حياً فى أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس الميلادى ومعلوم ان فتح مصر كان فى أوائل القرن السابع . وعلى ذلك فقد صدق الاستاذ بتلر بانه كان وقتئذ ميتاً . ثم إن دائرة المعارف البريطانية الطبعة الحادية عشرة ذكرت فى آخر ترجمة حياة يوحنا الذى نحن بصدده : (وربما كان يوحنا هذا هو الذى حاول انقاذ مكتبة الاسكندرية من الخليفة عمر بعد غزو عمرو سنة ٦٣٩ م) وبمراجعة دائرة المعارف الطبعة الرابعة عشرة وجدنا أن هذه العبارة قد حذفت منها وهذا دليل على أن هذا الاحتمال كان خطأ فحذف فى الطبعة الحديثة

بعد ذلك نبحث عن مكتبة الاسكندرية وهل كان لها وجود فى ذلك الوقت ؟ كان بالاسكندرية فى عهد البطالسة مكتبتان فلما أمر قيصر باحراق الاسطول امتدت النيران فأحرقت إحداهما ثم حاول أنطونى أن يعوض هذه الخسارة فقدم لكيلوباترة مكتبة كانت بدار كتب مدينة بيرجام ثم صارت مكتبة سيرابسيوم هى المكتبة العامة وفى سنة ٣٨٩ أو ٣٩١ أمر تيودوسيوس باتلافها فنهبها المسيحيون وقد نقل الدكتور حسن ابراهيم حسن فى رسالته تاريخ عمرو بن العاص عن الاستاذ اسماعيل رأفت بك حيث قال : انه فى هذا الوقت لم تكن دار كتب الاسكندرية موجودة وأن قسما كبيراً من قسميها

أحرقته جنود يوليوس قيصر من غير قصد سنة ٤٧ ق . م وان قسمها الثانى تلاشى كذلك بعد الزمن المذكور بنحو أربعة قرون أى فى سنة ٣٩٠ ب . م بامر الاسقف تيوفيل ولا ندهش لهذا الأمر لأسباب اخصها ان الآداب والفلسفة الوثنية كانت منعت وقضى عليها قضاء تاماً طول تلك المدة فى كل مكان حتى ان جوتنيانوس أمر باغلاق مدارس أتينا . اه

وقال الأستاذ بتلر بعد ان لخص الاسباب التى استند إليها فى تكذيب حرق المكتبة بيد العرب :

« لا بد ان يعترف الانسان ان قصة أبى الفرج إنما هى خرافة مجردة من كل أساس تاريخى »

ثم إن عبارة أبى الفرج فيها مبالغات مضحكة لا يقبلها العقل كقوله إن حرقها استنفد ستة أشهر وإنها وزعت على الحمامات مع ان عمرا لو أراد لحرقها دفعة واحدة فى مدة قصيرة ولو أنها احترقت فى ستة أشهر لكان من المتيسر تهريب جزء عظيم منها ولم يعرف عن العرب أنهم أتلفو شيئا . قال جيبون :

« إن تعاليم الاسلام تخالف هذه الرواية لأن تعاليمه أن الكتب الدينية اليهودية والنصرانية الماخوذة فى الحرب لا يجوز إحراقها أما كتب العلم والفلسفة والشعر وسواها من العلوم غير الدينية فانه يجوز الانتفاع بها »

وإذا كان المسلمون لم يتعرضوا فى البلاد التى فتحوها للكنائس

ولم يمسوها هي وما حوته باى سوء وأباحوا للذميين حرية الأديان فهل يعقل أن يأمر امير المؤمنين باحراق مكتبة الاسكندرية؟ اللهم إن هذا افتراء محض ودسيسة على الاسلام قد أتعبت العلماء فى تحقيقها على انا والحمد لله لم نجد عالما مسلما أو مسيحياً يؤيدها فكلهم أجمعوا على إنكارها بالأدلة التاريخية

غزو فارس من البحرين

العلاء بن الحضرمى يبارى سعداً

كان النبي صلى الله عليه وسلم ولى العلاء بن الحضرمى البحرين وتوفى النبي صلى الله عليه وسلم وهو عليها فأقره أبو بكر خلافته كلها ثم أقره عمر ثم عزله وجعل قدامة بن مظعون مكانه ثم عزل قدامة ورد العلاء

(عزل قدامة)

وانا قبل أن نذكر مباراة العلاء لسعد بن أبي وقاص وما كان من غزو فارس من البحرين نكتب السبب الذى دعا عمر إلى عزل قدامة من البحرين ليتبين للقارى تمسك عمر بالشرع والعدل

قدامة بن مظعون هو أخو عثمان بن مظعون وخال حفصة وعبد الله ابنى عمر بن الخطاب وكان تحته صفية بنت الخطاب وهو من السابقين إلى الاسلام. هاجر إلى الحبشه مع أخويه وشهد بدراً وأحداً

وسائر المشاهد مع رسول الله صلى عليه وسلم

استعمل عمر قدامة على البحرين فقدم الجارود العبدى من البحرين على عمر فقال ياأمير المؤمنين ان قدامة شرب فسكر وإنى رأيت حداً من حدود الله حقاً علىّ أن أرفعه إليك

قال عمر من شهد معك ؟ قال أبو هريرة . فدعا أبا هريرة فقال بم تشهد ؟ فقال لم أره يشرب ولكنى رأيته سكران يقئ . فقال عمر « لقد تنطعت فى الشهادة » . ثم كتب إلى قدامة ان يقدم عليه من البحرين . فقدم . فقال الجارود لعمر . اقم على هذا كتاب الله . فقال عمر أخصم انت ام شهيد ؟ فقال شهيد . قال « قد اديت شهادتك » فسكت الجارود ثم غدا على عمر فقال . اقم على هذا حد الله عز وجل فقال عمر « لتمسكن لسانك اولأسوأنك » فقال يا عمر والله ماذلك بالحق . يشرب ابن عمك الخمر وتسؤنى ! فقال ابو هريره ان كنت تشك فى شهادتنا فارسل إلى ابنة الوليد امراة قدامة فسلها . فأرسل عمر إلى هند بنت الوليد ينشدها . فأقامت الشهادة على زوجها . فقال عمر لقدامة « انى حادك » قال لو شربت كما يقولون ا كان لكم ان تحدونى فقال عمر لم ؟ قال قدامة : قال الله عز وجل (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات) فقال عمر : اخطأت التأويل . ولو اتقيت الله اجتنبت ما حرم الله . ثم أقبل عمر على الناس فقال ماذا ترون فى حد قدامة ؟ فقال القوم لا نرى ان تجلدة ماكان مريضا . فقال عمر لان يلقى الله

تحت السياط أحب إليّ من ان ألقاه وهو فى عنق. ائتونى بسوط تام» فأمر عمر بقدامة فجلد . فغاضب قدامة عمر وهجره فحج عمر وقدامة معه معاضباً له . فلما قفلا من حجهما ونزل عمر بالسقيا نام فلما استيقظ من نومه قال عجلوا عليّ بقدامة فوالله لقد أتانى آت فى منامى فقال سالم قدامة فانه أخوك فعجلو عليّ به . فلما أتوه أبى ان يأتى فأمر به عمر إن أبي ان يجروه إليه . فكلمه عمر واستغفر له فكان ذلك أول صلحهما [1]

هذا ما كان من حد قدامة على سكره وعزله ولاية البحرين ولنعد إلى العلاء بن الحضرمى فانه كان يبارى سعد بن أبى وقاص . فلما كانت حروب الردة اشتهر العلاء فلما انتصر سعد بالقادسية وتغلب على الاكاسرة أراد العلاء ان يصنع شيئا يكون له به من الشهرة ما لسعد وكان عمر نهاه عن البحر لشدة حذره وخوفه على المسلمين فلم يقدر العلاء الطاعة والمعصية وعواقبهما فندب أهل البحرين إلى فارس فتسرعوا إلى ذلك وفرقهم أجناداً فحملهم فى البحر إلى فارس بغير إذن عمر وكان عمر لا يأذن لأحد فى ركوب البحر غازيا . فعبرت تلك الجنود من البحرين إلى فارس فخرجوا فى إصطخر [2] وبازائهم

(١) أسد الغابة

(٢) اصطخر كورة وبلدة فى بلاد فارس . أما الكورة فهى أكبر وأجل كور فارس وقاعدتها مدينة اصطخر وبها كثير من المدن والقرى وبها كانت خزائن الملوك قبل الاسلام وهي واقعة على تل صخرى قرب نهر بندمير فى اصطخر

أهل فارس فحالوا بين المسلمين وبين سفنهم فلما رأى المسلمون ذلك قاتلوهم قتالا شديداً وتغلبوا عليهم ثم خرجوا يريدون البصرة وقد غرقت سفنهم ثم لم يجدوا إلى الرجوع فى البحر سبيلا (وهذا ما كان يخشاه عمر) ثم وجدوا شَهْرَك قد أخذ على المسلمين بالطرق فعسكروا فى موطنهم وامتنعوا

فلما بلغ عمر ذلك اشتد غضبه على العلاء وكتب إليه يعزله وتوعده وأمره بأثقل الأشياء عليه وأبغض الوجوه اليه بتأمير سعد عليه وقال ألحق بسعد بن أبى قاص فيمن قبلك . فخرج بمن معه نحو سعد وكتب عمر إلى عتبة بن غزوان أمير البصرة ان يسير جنداً لتخليص من أرسلهم العلاء فجند عتبة ١٢,٠٠٠ مقاتل وعليهم ابو سبرة ابن أبي رهم فساحل بالناس لا يلقاه أحد حتى ادركوا شهرك وهو آخذ على جنود البحرين طريقهم فقاتلوه وهزموه وانقذوا اخوانهم ثم عادوا بما أصابوا وذهب أهل البحرين عائدين إلى بلادهم من طريق البصرة

وضع هيستاسب كتاب زرادشت نبي المجوس لما كانت أصطخر فى عظمتها واسمها القديم برسيوليس Persepolis

فتح الاهواز

وانهزام الهرمزان

الاهواز كورة بين البصرة وفارس وسوق اهواز من مدنها

لما انهزم الهُرمُزان يوم القادسية توجه إلى خوزستان فملكها بعدان قاتل أهلها وأغار على أهل ميسان ودَستُميسان [١] من وجهين من مَناذر [٢] ونهر تيرى فاستمد عتبة بن غزوان (أمير البصرة) سعد بن ابى قاص (امير الكوفة) فأمده بنعيم بن مقرن ونعيم ابن مسعود وامرهما ان يأتيا اعلى ميسان ودستميسان حتى يكونا بينهم وبين نهر تيرى [٣] ووجه عتبة بن غزوان سلمى بن القين، وحرملة بن مريطة وكانا من المهاجرين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما من بنى العدوية من بنى حنظلة فنزلا على حدود ارض ميسان ودستميسان بينهم وبين مناذر ودعوا بنى العم فخرج إليهم غالب الوائلى وكليب بن وائل الكليبي فتركا نعيما وأتيا سلمى وحرملة وقالا أنتما من العشيرة وليس لكما مترك فاذا كان يوم كذا وكذا

(١) ميسان اسم كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط قصبتها ميسان . ودستميسان كورة جليلة بين واسط والبصرة والاهواز وهى إلى الاهواز أقرب

(٢) مناذر بلدتان بنواحى خوزستان مناذر الكبرى ومناذر الصغرى

(٣) نهر تيري من نواحى الاهواز

فانهدوا للهرمزان فان أحدنا يثور بمناذر والآخر بنهر تيرى فنقتل المقاتلة ثم يكون وجهنا إليكم فليس دون الهرمزان شيء إن شاء الله ورجعا وقد استجابا واستجاب قومهما بنو العم بن مالك وكانوا ينزلون خوزستان [(١)] قبل الاسلام فأهل البلاد يأمنونهم فلما كان تلك الليلة ليلة الموعد بين سلمى وحرملة وغالب وكليب وكان الهرمزان يومئذ بين نهر تيرى وبين دُلُث وخرج سلمى وحرملة صبيحتها فى تعبية وأنهضا نعيما ومن معه فالتقوا هم والهرمزان بين دُلُث ونهر تيرى وسلمى بن القين على أهل البصرة ونعيم بن مقرن على أهل الكوفة فاقتتلوا . فبينما هم على ذلك أقبل مدد من قبل غالب وكليب وأتى الهرمزان الخبر بأن مناذر ونهر تيرى قد أخذا فكسر ذلك قلب الهرمزان ومن معه هزمه الله وإياهم . فقتل المسلمون منهم ماشاؤا وأصابوا ماشاؤا واتبعوهم حتى وقفوا على شاطىء دُجَيْل [(٢)]

---

(١) ولاية من بلاد فارس اسمها القديم شوشنة يحدها شمالاوشمالا بشرق لرستان وإلى الجنوب الشرقى فارس وجنوبا خليج العجم وغرباً ولاية بغداد مساحتها نحو ٣٩٠٠٠ ميل مربع . وشط العرب وهو مجتمع نهرى دجلة والفرات قسم من حدها الغربى وبعض فروع هذا النهر التى تتألف منها دلتاه تصب فى خليج العجم مارة بهذه الولاية واعظم الانهر التى تمر فى وسطها هي الكرخ والكارون وفى خوزستان مراع متسعة ترعي فيها قطعان كبيرة من المواشى ومن حاصلاتها الأرز والدرة والشعير والقطن وقصب السكر والتمر . قال ياقوت والغالب على أخلاق أهلها سوء الخلق والبخل المفرط والمناقشة فيما بينهم في النزر الحقير

(٢) اسم نهر فى موضعين أحدهما مخرجه من أعلى بغداد بين تكريت وبينها

وأخذوا مادونه وعسكروا بحيال سوق الاهواز وعبر الهرمزان جسر سوق الاهواز وأقام وصار دجيل بين الهرمزان والمسلمين. فلما رأى الهرمزان مالا طاقة به طلب الصلح . فاستأمروا عتبة فأجاب إلى ذلك على الاهواز كلها ومِهرَجان قُذَف [١] ما خلا نهر تيرى ومناذر وماغلبوا عليه من سوق الاهواز فانه لا يرد عليهم . وجعل سلمى على مناذر مسلحة وأمرها إلى غالب وحرملة على نهر تيرى وامرها إلى كليب فكانا على مسالح البصرة . وهاجرت طوائف من بنى العم فنزلوا البصرة . ووفَّد عتبة وفداً الى عمر منهم سلمى وجماعة من اهل البصرة فأمرهم عمر ان يرفعوا حوائجهم . فكلهم قال اما العامة فأنت صاحبها. وطلبوا لأنفسهم الأحنف بن قيس فانه قال (يا امير المؤمنين إنك كما ذكروا ولقد يعزب عنك ما يحق علينا إنهاؤه اليك مما فيه صلاح العامة وإنما ينظر الوالى فيما غاب عنه بأعين اهل الخبر ويسمع بآذانهم فان إخواننا من اهل الكوفة نزلوا فى مثل حدقة البعير الغاسقة من العيون العذاب والجنان الخصاب فتأتيهم ثمارهم ولم تخضد وإنا معشر اهل البصرة نزلنا سبخة هشاشة زعقة نشاشة طرف لها فى الفلاة وطرف لها فى البحر الأُجَاج يجرى اليها

مقابل القادسية ثم تصب فضلته فى دجلة أيضا . ودجيل الآخر نهر بالاهواز ومخرجه من أرض أصبهان فى بحر فارس

(٢) مهرجان معناه بالفارسية فرح النفس قد يسقط من الكورة المذكورة آنفا قذق فيقال مهرجان فقط وفى الطبرى (قذف) بالفاء وهو تصحيف بالطبعة المصرية قال ابو سعد مهرجان قرية باسفرايين

ما جرى فى مثل مرىء النعامة . دارنا فعمة ووظيفتنا ضيقة وعددنا كثير واشرافنا قليل واهل البلاء فينا كثير . درهمنا كبير وقفيزنا صغير وقد وسع الله علينا وزادنا فى ارضنا فوسع علينا ياامير المؤمنين وزدنا وظيفة توظف علينا ونعيش بها)

فلما سمع عمر قوله احسن اليهم واقطعهم مما كان فيئا لأهل كسرى وزادهم ثم قال هذا الفتى سيد اهل البصرة . وكتب إلى عتبة فيه بأن يسمع منه ويرجع إلى رايه وردهم إلى بلدهم

وبينا الناس كذلك من ذمتهم مع الهرمزان وقع بين الهرمزان وغالب وكليب فى حدود الأرضين اختلاف فحضر سلمى وحرملة لينظرا فيما بينهم فوجدا غالبا وكليبا محقين والهرمزان مبطلا فحالا بينهما وبينه فكفر الهرمزان ومنع ما قبله واستعان بالاكراد وكثف جنده وكتب سلمى ومن معه إلى عتبة بذلك . فكتب عتبة إلى عمر فكتب إليه عمر يأمره بقصده وأمد المسلمين بحرقوص بن زهير السعدى كانت له صحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره على القتال وعلى ما غلب عليه وسار الهرمزان ومن معه وسار المسلمون إلى جسر سوق الأهواز وأرسلوا إليه إما أن تعبر إلينا أو نعبر إليكم فقال اعبروا إلينا . فعبروا فوق الجسر فاقتتلوا مما يلى سوق الأهواز حتى هزم الهرمزان ووجه نحو رامهرمز (١) فأخذ على قنطرة أربك

---

(١) رامهرمز . معنى رام بالفارسية المراد والمقصود وهرمز أحد الاكاسرة فكأن هذه اللفظة مركبة معناها مقصود هرمز أو مراد هرمز . وهي مدينة

بقرية الشغرا حتى حل برامهرمز وافتتح حُرْقوص سوق الأهواز فأقام بها ونزل الجبل واتسقت له بلاد سوق الأهواز إلى تُسْتَرَ (١) ووضع الجزية وكتب بالفتح والاخماس إلى عمر ووفّد وفداً بذلك فحمد الله ودعا له بالثبات والزيادة

هذا ما ذكره الطبرى وابن الأثير عن فتح الأهواز . فالهرمزان هو من أمراء العجم وقد كان اشترك فى حرب القادسية التى مر ذكرها سنة ١٦ هـ — ٦٣٧ م لكنه انهزم وفر إلى مملكته خوزستان وأخذ يهاجم المسلمين فجرد عتبة جيشا من الكوفة لقتاله وضم إليه القبائل العربية وبذلك تمكن من إجلاء الهرمزان وجيشه من الأهواز وطرده من نهر كارون فطلب الهرمزان الصلح وتخلى عن الأهواز فدخلها جيش عتبة وبعد ذلك حدث ما حدث من النزاع بشأن الحدود فقاتله العرب وألجاؤه إلى الفرار

صلح الهرمزان

لما انهزم الهرمزان يوم سوق الأهواز وافتتح حرقوص (٢)

مشهورة بنواحى خوزستان فى جنوب شرق الاهواز

(١) تستر أعظم مدينة بخوزستان

(٢) حرقوص بن زهير السعدى ذكره الطبرى فى قتال الهرمزان كانت له صحبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم . بقى إلى أيام على وشهد صفين ثم صار من الخوارج ومن أشدهم على على بن ابى طالب وكان مع الخواج لما قاتلهم على

سوق الأهواز أقام بها وبعث جزء بن معاوية [١] فى أثره بأمر عمر إلى سُرّق [٢] فخرج جزء فى أثر الهرمزان والهرمزان متوجه إلى رامهرمز هاربا . فما زال يقاتلهم حتى انتهى إلى قرية الشغر فأعجزه بها الهرمزان . فمال جزء إلى دورق من قرية الشغر فأخذها وكتب بذلك إلى عمر وعتبة فكتب عمر إلى جزء وحرقوص بالمقام فيما غلبا عليه حتى يأتيهما أمره . ثم استأذن جزء أن يعمر البلاد فأذن له عمر . فشق الأنهار وأحيا الموات وهذه همة جليلة من جزء لأنه لم يقتصر على فتح البلاد بالسيف بل نظر إلى العمران والاصلاح وترقية الزراعة

ثم أرسل الهرمزان حرقوصا وجزءاً فى الصلح . فكتب حرقوص إلى عمر فأمره أن يقبل منه على ما لم يفتحوا منها (على رامهرمز وتستر والسوس وجندى سابور والبنيان ومهرجا نقذق) فأقام أمراء الأهواز على ما اسند إليهم وأقام الهرمزان على صلحه يجبى إليهم ويمنعونه من الاكراد إذا أغاروا عليه

(وفد جند البصرة إلي عمر)

لما رأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن الذميين ينقضون العهد ويثورون على المسلمين أراد ان يعرف هل نقضهم العهد بسبب

فقتل يومئذ سنة ٣٧ هـ

(١) جزء بن معاوية بن حصين اختلف فى صحبته

(٢) سرق أحدى كور الاهواز

سوء معاملة المسلمين لهم او بسبب آخر ، فكتب إلى عتبة أن أوفد علىّ وفداً من صلحاء جند البصرة عشرة. فوفد إلى عمر عشرة فيهم الأحنف بن قيس (١). فلما قدم على عمر قال :

« إنك عندى مصدق وقد رأيتك رجلا فاخبرنى أأن ظلمت الذمة ، ألمظلمة نفروا أم لغير ذلك ؟ »

فقال الاحنف : « لا بل لغير مظلمة والناس على ما تحب »

قال « فنعم اذن انصرفوا إلى رحالكم »

فانصرف الوفد إلى رحالهم. فنظر فى ثيابهم فوجد ثوبا قد خرج طرفه من عيبة فشمه. ثم قال : لمن هذا الثوب منكم ؟» فقال الاحنف. لى قال. فبكم اخذته ، فذكر ثمنا يسيراً. ثمانية او نحوها ونقص مما كان اخذه به وكان قد اخذه باثنى عشر. فقال : « هلا بدون هذا ؟ ووضعت فضلته موضعاً تغنى به مسلماً. حصوا وضعوا الفضول مواضعها تريحوا أنفسكم واموالكم ولا تسرفوا فتخسروا انفسكم واموالكم. إن نظر امرؤ لنفسه وقدم لها يخلف له »

وكتب إلى عتبة : « ان اعزب الناس عن الظلم واتقو واحذروا

---

(١) فى اسد الغابة الاحنف كان احد الحكماء الدهاة العقلاء. وقدم على عمر فى وفد البصرة فرأى منه عقلا ودينا وحسن سمت فتركه عنده سنة ثم أحضره وقال يا أحنف أتدرى لم احتبستك عندى ؟ قال لا يا امير المؤمنين قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حذرنا كل منافق عليم فخشيت ان تكون منهم ثم كتب معه كتابا إلى أمير البصرة يقول له الاحنف سيد اهل البصرة فما زال يعلو من يومئذ

أن يدال عليكم لغدر يكون منكم أو بغى . فانكم انما ادركتم بالله ما ادركتم على عهد عاهدكم عليه وقد تقدم إليكم فيما أخذ عليكم فأوفوا بعهد الله وقوموا على أمره يكن لكم عوناً وناصراً »

وبلغ عمر ان حرقوصا نزل جبل الاهواز والناس يختلفون إليه والجبل كؤود يشق على من رامه . فكتب إليه :

« بلغنى انك نزلت منزلاً كؤوداً لاتؤتى فيه إلا على مشقة فأسهل ولا تشق على مسلم ولا معاهد وقم فى أمرك على رجل تدرك الآخرة وتصف لك الدنيا ولا تدركنك فترة ولا عجلة فتكدر دنياك وتذهب آخرتك »

يزدجرد يعود إلى قتال المسلمين

٢٠ هـ - ٦٤١ م

أسر الهرمزان

كان يزدجرد فر من وجه العرب إلى مرو فلم يزل وهو بها يثير أهل فارس أسفا على ما خرج من ملكهم فتحركوا وتكاتبوا وأهل الاهواز وتعاقدوا على النصرة فجاءت الأخبار حرقوص بن زهير وجزء وسلمى وحرملة . فكتبوا إلى عمر بالخبر فكتب عمر إلى سعد ابعث إلى الاهواز جنداً كثيفا مع النعمان بن مقرن وعجل فلينزلوا بازاء الهرامزن ويتحققوا أمره . وكتب إلى أبى موسى الأشعرى

وكان ولاه البصرة بعد عزل المغيرة أن ابعث إلى الاهواز جنداً كثيفا وأمر عليهم سهل بن عدى اخا سهيل فابعث معه البراء بن مالك ومجزأة بن ثور وعرفجة بن هرثمة وغيرهم وعلى اهل الكوفة والبصرة جميعا ابو سبرة بن ابي رهم

جعل عمر رضى الله عنه القيادة العامة فى هذه الغزوة إلى ابي سبرة بن ابى رهم وهو قرشى عامرى قديم الاسلام شهد بدراً واحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين سلامة بن وقش

خرج النعمان بن مقرن فى أهل الكوفة فسار إلى الاهواز على البغال يجنبون الخيل فخلف حرقوصا وسلمى وحرملة وسار نحو الهرمزان وهو برامهرمز فالتقى الهرمزان بأربك[1] فاقتتلوا اقتتالا شديداً فانهزم الهرمزان إلى تستر وسار النعمان إلى رامهرمز ونزلها

ثم اجتمع جنود البصرة والكوفة وجميع القواد وحاصروا الهرمزان بتستر فى الخنادق وكانوا جميعاً تحت قيادة ابو سبرة فحاصروهم اكثر من شهر وأكثروا فيهم وزاحفهم المشركون أيام تستر ثمانين

---

(١) أربك من نواحي الاهواز . بلد وناحية ذات قرى ومزارع وعنده قنطرة مشهورة لها ذكر فى كتب السير وأخبار الخوارج وغيرهم . قال نعمان بن مقرن :

عوت فارس واليوم حام أواره   بمحتفل بين الدكاك واربك
فلا غرو والا حين ولوا وأدركت   جموعهم خيل الرئيس ابن ارمك
وافلتهن الهرمزان موائلا   به ندب من ظاهر اللون اعتك

زحفاً كانت الحرب فيها سجالا يوماً لهم ويوماً عليهم . ثم اقتحم المسلمون خنادقهم ودخلوا مدينتهم بعد جهاد عنيف والتجأ الهرمزان إلى القلعة وتحصن بها ولما رأى انهم ضيقوا عليه نادى متبعيه وقال أضع يدى فى أيديكم على حكم عمر يصنع بي كيف يشاء فأسره المسلمون وأوثقوه وملكوا تستر ثم ارسلوا الطلائع لأخذ ما أحاط بها من البلدان

وزعت الغنائم فكان سهم الفارس ٣٠٠٠ والراجل ١٠٠٠

وقتل من المسلمين أناس كثير . وممن قتل الهرمزان بنفسه مجزأة ابن ثور والبراء بن مالك وانصرف أبو موسى إلى البصرة بأمر عمر

(إرسال الهرمزان إلى المدينة أسيراً)

أرسل أبو سبرة وفداً إلى عمر بن الخطاب معهم الهرمزان فلما دخلوا المدينة هيئوا الهرمزان فى هيئته فألبسوه كسوته من الديباج الذى فيه الذهب ووضعوا على رأسه تاجا يدعى الآذين مكللا بالياقوت وعليه حليته كيما يراه عمر والمسلمون فى هيئته ثم خرجوا به على الناس يريدون عمر فى منزله فلم يجدوه .فسألوا عنه فقيل جلس فى المسجد لوفد قدموا عليه من الكوفة . فانطلقوا يطلبونه فى المسجد فلم يروه فلما انصرفوا مروا بغلمان من اهل المدينة يلعبون . فقالوا لهم : ما تلددكم تريدون أمير المؤمنين فأنه نائم فى ميمنة المسجد متوسداً برنسه . وكان عمر قد جلس لوفد أهل الكوفة فى برنس .فلما فرغ من كلامهم وارتفعوا عنه واخلوه نزع برنسه ثم توسده فقام فانطلقوا

معهم حتى اذا رأوه جلسوا دونه وليس فى المسجد نائم ولا يقظان غيره والدرة فى يده معلقة . فقال الهرمزان : أين عمر ؟ فقالوا : هو ذا وجعل الوفد يشيرون إلى الناس اسكتوا عنه وأصغى الهرمزان الى الوفد . فقال : أين حرسه وحجابه عنه ؟ قالوا ليس له حارس ولا حاجب ولا كاتب ولا ديوان . قال « ينبغى له أن يكون نبيا » فقالوا بل يعمل عمل الانبياء .. وكثر الناس فاستيقظ عمر بالجلبة فاستوى جالساً ثم نظر إلى الهرمزان . فقال الهرمزان ؟ قالوا نعم . فتأمله وتأمل ماعليه وقال :

« أعوذ بالله من النار وأستعين الله . الحمد لله الذى أذل بالاسلام هذا وأشياعه . يامعشر المسلمين تمسكوا بهذا الدين واهتدوا بهدى نبيكم ولا تبطرنكم الدنيا فانها غرارة »

فقال الوفد هذا ملك الاهواز فكلمه

فقال لا حتى لايبقى عليه من حليته شىء — فرمى عنه بكل شىء عليه إلا شيئا يستره وألبسوه ثوبا صفيقاً . فقال عمر :

« هيه ياهرمزان . كيف رأيت وبال الغدر وعاقبة أمر الله ؟ »

قال . « ياعمر إنا وإياكم فى الجاهلية . كان الله قد خلى بيننا وبينكم فغلبناكم اذ لم يكن معنا ولا معكم . فلما كان معكم غلبتمونا »

فقال عمر « إنما غلبتمونا فى الجاهلية باجتماعكم وتفرقنا » ثم قال عمر : « ما عذرك وما حجتك فى انتقاضك مرة بعد مرة ؟ »

فقال « أخاف أن تقتلنى قبل أن أخبرك »

قال «:لاتخف ذلك » واستسق ماء . فأتى به فى قدح غليظ.فقال: لومت عطشاً لم أستطع أن أشرب فى مثل هذا

فأتى به فى إناء يرضاه فجعلت يده ترجف . وقال : «انى أخاف أن أقتل وأنا أشرب الماء »

فقال عمر : « لاباس عليك حتى نشربه » فأ كفأه . فقال عمر « أعيدوا عليه ولا تجمعوا عليه القتل والعطش»

فقال « لاحاجة لى فى الماء . انما أردت أن أستأمن به »

فقال له عمر : «انى قاتلك » قال « قد آمنتنى » قال «كذبت»

فقال أنس «صدق ياأمير المؤمنين قد آمنته »

قال : ويحك يا أنس أنا أومن قاتل مجزأة والبراء : والله لتأتين بمخرج أو لأعاقبنك قال قلت له لا بأس عليك حتى تخبرنى وقلت لابأس عليك حتى تشربه وقال له من حوله مثل ذلك فاقبل على الهرمزان وقال خدعتنى والله لا أنخدع إلا لمسلم فاسلم ففرض له على ألفين وأنزله المدينة

وكان الترجمان المغيرة بن سعبة وكان يفقه شيئا من الفارسية

(طلب الوفد التوغل فى الفتح)

ثم قال عمر للوفد ، لعل المسلمين يفضون إلى أهل الذمة بأذى وبأمور لها ما ينتقضون بكم »

فقالوا : مانعلم إلا وفاء وحسن ملكة

قال : فكيف هذا ، فلم يجد عند أحد منهم شيئا يشفيه ويبصر به مما يقولون إلا ما كان من الاحنف فقال :

« ياامير المؤمنين أخبرك انك نهيتنا عن الانسياح فى البلاد وأمرتنا بالاقتصار على ما فى أيدينا وان ملك فارس حى بين أظهرهم وانهم لا يزالون يساجلوننا مادام ملكهم فيهم ولم يجتمع ملكان فاتفقا حتى يخرج احدهما صاحبه وقد رأيت إنا لم نأخذ شيئا بعد شيء الا بانبعاثهم . وان ملكهم هو الذى يبعثهم ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا . فلنسح فى بلادهم حتى نزيله عن فارس ونخرجه من مملكته وعز أمته ، فهنالك ينقطع رجاء أهل فارس ويضربوا جأشاً »

هذه نصيحة الأحنف لعمر رضى الله عنه لأن سياسة عمر كانت قاضية على الجيش بان يبقى فى البلاد التى فتحها ولا يتوغل فى الفتح تعقباً لآثار العدو وإنما أراد عمر بذلك لم شمل الجيش وعدم تشتته فى البلاد وكان شديد الحذر يخشى ان يقطع العدو على المسلمين خط الرجعة فظل جيش المسلمين فى أماكنه بلا تقدم عملا باوامر الخليفة . غير ان هذه الخطة لم تعد تنفع بعد ان هزم المسلمون الأعاجم فى مواطن كثيرة فصار الزحف لابد منه وقد تمكن الفرس ويزدجرد من لم شملهم ومهاجمة المسلمين فى البلاد التى فتحوها فلو كان قد اذن لهم بالزحف ومطاردة العدو المهزم لما استطاعوا ذلك لهذا طلب الاحنف من أمير المؤمنين ان يغير خطته الاولى ويأذن للمسلمين بالزحف حتى لا يتمكن العدو من جمع الجيوش

فلما سمع عمر قول الاحنف قال :

« صدقتنى وشرحت لى الأمر عن حقه » ونظر فى حوائجهم وسرحهم :

ثم قدمت الكتب على عمر باجتماع أهل نهاوند : فكان ذلك مما جعل عمر يأذن بالانسياح

فتح السوس

وموقعه نهاوند

سنة ٢١ هـ — ٦٤٢ م

السوس بلدة بخوزستان : قيل تعريب الشوش ومعناه الحسن والنزه والطيب اللطيف : ونهاوند مدينة عظيمة فى قبلة همذان بينها ثلاثة أيام : ذكر أبو بكر الهذلى عن محمد بن الحسن كانت وقعة نهاوند سنة ٢١ هـ

نزل أبو سبرة السوس وبها شهريار أخو الهرمزان وأحاط بها المسلمون وقاتلوهم وسار أبو موسى إلى البصرة من السوس وصار مكانه على أهل البصرة المقترب بن ربيعة[١] وجمع الاعاجم يزدجرد بنهاوند وكان النعمان على أهل الكوفة محاصراً اهل السوس مع

(١) وهو الاسود بن ربيعة قدم على رسول الله فقال ما أقدمك ؟ قال اقترب بصحبتك فترك الاسود وسمى المقترب

ابي سبرة وزر [١] محاصرا اهل جنديسابور [٢] فجاء كتاب عمر بصرف النعمان إلى أهل نهاوند فناوشهم قبل مسيره وكان مناف بن صياد مع المسلمين فى خيل النعمان ففتح باب السوس بالقوة وكسر السلاسل والاغلاق ودخل المسلمون فطلب أهلها الصلح فأجيبوا إلى ذلك .

ثم سار النعمان حتى أتى نهاوند وسار المقترب حتى نزل على جند يسابور مع زر فحاصرها المسلمون مدة فلم يفجأهم إلا وأبوابها تفتح وخرج السرح وفتحت الأسواق وانبث أهلها فأرسل المسلمون ان ماخبركم فقالوا إنكم رميتم إلينا بالأمان فقبلناه وأقررنا لكم بالجزاء على أن تمنعونا . فقالوا مافعلنا . فقالوا ما كذبنا . فسأل المسلمون فيما بينهم فاذا عبد يدعى مكنفا كان أصله منها هو الذى بعث لهم الأمان . فقال المسلمون ان الذى كتب إليكم عبد . قالوا لانعرف عبدكم من حركم فقد جاء ونحن عليه قد قبلناه . ولم نبدل فان شئتم فاغدروا فأمسكوا عنهم وكتبوا بذلك إلى عمر رضى الله عنه فأمر بامضائه فانصرفوا عنهم وقال عاصم فى مصداق ذلك .

لعمرى لقد كانت قرابة مكنف   قرابة صدق ليس فيها تقاطع

---

(١) هوزر اوزرين بن عبد الله بن كليب الفقيمي قال الطبرى له صحبة ووفادة وهو الذى كان على جيش فى حصار نيسابور وفتحها صلحاً

(٢) جند يسابور مدينة بخوزستان بناها سابور بن اردشير فنسبت إليه وأسكنها سبي الروم وطائفة من جنده وهى مدينة حصينة واسعة بها نخل وزرع

أجارهم من بعد ذل وقلة وخوف شديد والبلاد بلاقع
فجاز جوار العبد بعد اختلافنا وردّ أموراً كان فيها تنازع
إلى الركن والوالى المصيب حكومة فقال بحق ليس فيه تخالع

(قبر دانيال)

كان بالسوس جسد دانيال وهو من أعظم الأنبياء العبرانيين. قيل اسمه «قاضى الله» ويقال انه كاتب سفر دانيال. نقل إلى بابل سنة ٦٠٦ وبقى على قيد الحياة إلى سنة ٥٣٤ ق.م قيل أمر عمر بالصلاة عليه وبدفنه فى موضع لايقدر عليه أهل السوس اكراما له. وكان فى خزانة مقفلة داخلها حجر طويل محفور على مثال الحوض وفيه الميت بكفنه فأمر أبو موسى بعد ان كتب اليه عمر بأن يكفوا نهرهم إلى موضع آخر وأمر أن يحفر قبر له فى وسط النهر ثم دفنه وأجرى عليه النهر. فيقال ان دنيال عليه السلام فى نهر السوس والماء يجرى عليه إلى وقتنا هذا. وفى معجم البلدان بخت نصر نقله (دانيال) اليها (إلى السوس) لما فتح بيت المقدس وانه مات هناك فكان أهله يستسقون بجثته إذا قحطوا الخ.

وكان المسلمون يسمون فتح نهاوند «فتح الفتوح» لأنه لم يكن بعده حرب ولم يقم للفرس بعد هذه الوقعة قائمة واستشهد فيها النعمان فلما جاء عمر البريد بالفتح وباستشهاد النعمان بكى عليه بكاء شديداً واليك سبب إرساله إلى نهاوند.

سكن النعمان بن مقرن البصرة وتحول عنها إلى الكوفة وقدم المدينة ففتح القادسية ولما ورد على عمر رضى الله عنه اجتماع الفرس بنهاوند كتب إلى أهل الكوفة والبصرة ليسير ثلثاهم وقال لاستعملن عليهم رجلا يكون لها فخرج إلى المسجد فرأى النعمان بن مقرن يصلى فأمره بالمسير والتقدم على الجيش فى قتال الفرس . وقال إن قتل النعمان فحذيفة وان قتل حذيفة فجرير فخرج النعمان ومعه حذيفة والمغيرة بن شعبة والأشعث بن قيس وجرير وعبد الله بن عمر . فلما أتى نهاوند قال النعمان : « يامعشر المسلمين شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس . اللهم ارزق نعمان الشهادة بنصر المسلمين وافتح عليهم » فأمن القوم . وقال إذا هززت اللواء ثلاثا فاحملوا مع الثالثة وان قتلت فلا يلوى على أحد . فلما هز اللواء الثالثة حمل الناس معه فقتل وأخذ الراية حذيفة ففتح الله عليهم . وقتل النعمان يوم الجمعة . ولما جاء نعيه إلى عمر خرج إلى الناس فنعاه اليهم على المنبر ووضع يده على رأسه وبكى وقال ابن مسعود إن للايمان بيوتا وللنفاق بيوتا وان من بيوت الايمان بيت ابن مقرن .

وكان عدد جيوش المسلمين فى موقعة نهاوند ٣٠٠٠٠ وعدد الفرس ١٥٠٠٠٠ تحت قياده الفيرزان قتل منهم فى ساحة الحرب ٣٠٠٠٠ وفر الباقون إلى الجبال المجاورة وهناك قتل منهم ٨٠٠٠٠ وفر الفيرزان إلى همذان بينها وبين نهاوند ١٥ فرسخاً .

أما تفاصيل معركة نهاوند غير ماذكر فهى أن نهاوند كان قد أحاطها الفرس بالخنادق فحاصرهم المسلمون وصاروا يناوشونهم بقصد إخراجهم من الخنادق لقتالهم فى العراء لكنهم لم يخرجوا اليهم وبقوا في حصونهم فسئم المسلمون طول البقاء والانتظار على هذا الحال بلا جدوى . وأخيراً دبر النعمان خطة لاخراج العدو من مكمنه فأمر جيشه بالارتداد سريعا وخلف أشياء تافهة ليوهم العدو فنجحت الخطة إذهجم الفرس باحتراس مقتفين أثرهم واستمر النعمان فى اليوم الثانى متظاهراً بالارتداد والعدو فى أثره . ولما رأى أنه قد استدرجهم إلى مسافة بعيدة عن حصونهم تكفى لقتالهم أمر جيشه بالهجوم فى النهار لأنهم كانوا وقتئذ فى الليل وفى ثانى يوم اشتبك الجيشان وتقاتلوا قتالا شديداً أصيب فيه النعمان بسهم فمات شهيداً وحملوه إلى أخيه وفى تاريخ الطبرى :

« وحمل النعمان وحمل الناس وراية النعمان تنقض نحوهم انقضاض العقاب والنعمان معلم ببياض القباء والقلنسوة فاقتتلوا بالسيوف قتالا شديداً ولم يسمع السامعون بوقعة يوم قط كانت أشد منها فقتلوا فيها من أهل فارس فيما بين الزوال والاعتام ماطبق أرض المعركة وما يزلق الناس والدواب فيه وأصيب فرسان من فرسان المسلمين فى الزلق فى الدماء فزلق فرس النعمان فى الدماء فصرعه وأصيب النعمان حين زلق به فرسه وصرع » .

ثم حمل الراية حذيفة كماذكر وفر من لم يقتل من الفرس الى

الجبال المجاورة لهمذان ومنهم الفيرزان . فاقتفى المسلمون أثرهم تحت قيادة القعقاع وقتلوا أغلبهم وقتل الفيرزان معهم وغنم المسلمون غنائم كثيرة واستولى المسلمون على همذان وحينئذ جاءهم رؤساء البلاد من الفرس وصالحوهم على همذان [١]

وبعد انتهاء هذه الموقعة أمر عمر بالانسياح فى بلاد الفرس عملا بمشورة الأحنف بن قيس فعين رؤساء الجنود لافتتاح البلاد وأرسل بالألوية إلى أصحابها وهم :

(١) الأحنف بن قيس إلى خراسان

(٢) مجاشع بن مسعود السلمى إلى أزدشير خُرَّة وسابور [٢]

(٣) عثمان بن أبى العاص الثقفى إلى أصطخر

(٤) سارية بن زنيم الكنانى إلى فسا ودارا بجرد [٣]

(٥) سهيل بن عدى إلى كرمان [٤]

---

(١) كانت مدينة همذان ثانى مدينة فى الفرس وبها عدد عظيم من اليهود لا يوجد فى غيرها

(٢) اردشير خرة . قال ياقوت اسم مركب معناه بهاء أردشير وهى من أجل كور فارس ومنها مدينة شيراز وجور وخبر وصمندو الصيمكان والبرجان أما سابور فكورة مشهورة بارض فارس ومدينتها سابور وبها الادهان الكثيرة لكثرة بساتينها وهى مشهورة بالفواكه ، قريبة من الجبال

(٣) فسا مدينة بفارس بينها وبين شيراز أربع مراحل وأما كورة دارا بجرد فان أكبر مدنها فسا وهى مدينة قديمة ولها حصن وخندق

(٤) كرمان ولاية بين فارس ومكران سجتان وخراسان

(٦) عاصم بن عمرو إلى سِجِسْتَان [١]

(٧) الحكم بن عمير التغلبي مُكْرَان [٢]

وأمدهم عمر بنفر من أهل الكوفة فأمد سهيل بن عدي بعبدالله ابن عتبان وأمد الأحنف بعلقمة بن النضر وبعبد الله بن أبي عقيل وبربعي بن عامر وأمد عاصم بن عمرو بعبد الله بن عمير الأشجعي وأمد الحكم بن عمير بشهاب بن المخارق في جموع

(غنائم المسلمين في موقعة نهاوند)

دخل المسلمون نهاوند يوم الوقعة بعد الهزيمة واحتووا ما فيها من الامتعة وغيرها وما حولها من الاسلاب والأثاث وانتظر من بنهاوند ما يأتيهم من إخوانهم الذين على همذان مع القعقاع ونعيم فأتاهم الهربذ صاحب بيت النار على أمان فأبلغ حذيفة فقال أتومنني

(١) هي ناحية كبيرة وولاية واسعة وهي جنوبي هراة. سهلة لا يرى بها جبل وبها نخل كثير وتمر وفي رجالهم عظم خلق وجلادة ويمشون وفي أسواقهم وبأيديهم سيوف مشهورة ويعتمون بثلاث عمائم وأربع. وكل واحدة لون ما بين أحمر وأصفر وأخضر وأبيض وغير ذلك من الالوان على قلانس لهم شبيهة بالمكوك ويلفونها لفاً يظهر ألوان كل واحدة منها وبين سجستان وكرمان ١٣٠ فرسخا

(٢) هذه الولاية بين كرمان من غربيها وسجستان شمالها والبحر جنوبها والهند في شرقها. قال الاصطخري مكران ناحية واسعة عريضة والغالب عليها المفاوز والضر والقحط

ومن شئت ، على أن أخرج لك ذخيرة لكسرى تركت عندى لنوائب الزمان ؟ قال نعم . فأحضر جوهراً نفيسا فى سفطين فأرسلهما مع الاخماس إلى عمر وكان حذيفة قد نفل منها وأرسل الباقى مع السائب بن الاقرع الثقفى فلما ذهب بهما أدخلهما عمر بيت المال وفى الصباح بعث فى أثر السائب وكان عاد إلى الكوفة فرجع إلى المدينة من فوره فلما رآه عمر قال . إلىّ ومالى وللسائب . قلت ولماذا ؟ قال ويحك والله ما هو إلا أن نمت الليلة التى خرجت فيها فباتت الملائكة تسحبنى إلى السفطين يشتعلان ناراً فيقولون لنكوينك بهما فأقول إنى سأقسمهما بين المسلمين فخذها عنى فبعها فى أعطية المسلمين وأرزاقهم . قال فخرجت بهما فوضعتهما فى مسجد الكوفة فابتاعهما منى عمرو بن حريث المخزومى بـ ٢٠٠٠٠٠٠ درهم ثم خرج بهما إلى أرض الأعاجم فباعهما بـ ٤٠٠٠٠٠٠ درهم وكان سهم الفارس بنهاوند ستة آلاف وسهم الراجل ألفين وقد نفل حذيفة من الأخماس من شاء أهل البلاء

ولما قدم بسبي نهاوند إلى المدينة جعل أبو لؤلؤة فيروز غلام المغيرة بن شعبة لا يلق منهم صغيرا إلا مسح رأسه وبكى وقال أكل عمر كبدى وكان نهاونديا فأسرته الروم أيام فارس وأسره المسلمون بعد فنسب إلى حيث سبي

سعد بن أبي وقاص

والساعون به

في سنة إحدى وعشرين عندما كان يزد جرد يجمع جموعه لمحاربة المسلمين ثار بسعد قوم سعوا به وألبوا عليه ولم يشغلهم مانزل بالناس وكان ممن تحرك في أمره الجراح بن سنان الأسدى فى نفر فقال لهم عمر والله مايمنعنى مانزل بكم من النظر فيما لديكم فبعث عمر محمد بن مسلمة والناس في الاستعداد للفرس وكان محمد صاحب العمال يقتص آثار من شكا زمان عمر . فطاف بسعد على أهل الكوفة يسأل عنه فما سأل عنه جماعة إلا أثنوا عليه خيرا سوى من مالأ الجراح الأسدى فانهم سكتوا ولم يقولوا سوءاً لكنهم تعمدوا ترك الثناء حتى انتهى إلى بنى عبس فسألهم فقال أسامة بن قتادة اللهم انه لا يقسم بالسوية ولا يعدل فى القضية ولا يغزو في السرية . فقال سعد اللهم ان كان قالها رياء وكذبا وسمعة فأعم بصره وأكثر عياله وعرضه لمضلات الفتن . فعمى واجتمع عنده عشر بنات وكان يسمع بالمرأة فيأتيها حتى يجسها فاذا عثر عليه قال دعوة سعد الرجل المبارك . ثم دعا سعد على أولئك النفر فقال . اللهم ان كانوا خرجوا أشرا وبطرا ورياء فاجهد بلادهم فجهدوا واقتطع الجراح بالسيوف يوم بارز الحسن بن على . وقال سعد إنى أول رجل أهرق دما من المشركين ولقد جمع لى رسول الله بين ابويه وماجمعهما لأحد قبلى ولقد رأيتنى خمس الاسلام ونبوا أسد

تزعم اني لاأحسن اصلى وان الصيد يلهينى .

خرج محمد بن مسلمة بعد ان سمع من الناس مايقولونه فى سعد واخذهم إلى المدينة وسعد معه فقدموا على عمر فأخبروه الخبر : فقال كيف تصلى ياسعد ؛ فقال اطيل الأولين واحذف الآخرين فقال هكذا الظن بك ياأبااسحاق ولولا الاحتياط لكان سبيلهم بيناً - وقال من خليفتك ياسعد على الكوفة ؛ فقال عبدالله بن عتبان فأقره وفى زمانه كانت موقعة نهاوند . ان هذه التهم التى وجهت إلى سعد لم تثبت طبعا فمن قال إنه لا يحسن الصلاة فهو مغرض لا يريد إلا النكاية برجل من كبار الصحابة والقادة لكن عمر رضى الله عنه أراد أن يضع حداً للفتنة فى وقت اشتباك جند المسلمين بالحرب فعزله وولى مكانه خليفته على الكوفة . وكان الخليفة يعلم أن هذه التهم دسيسة ضد سعد لأنه قال للجراح ومن نهض معه « الدليل على ما عندكم من الشر نهوضكم فى هذا الأمر وقد استعد لكم من استعد وأيم الله لا يمنعنى ذلك من النظر فيما لديكم وإن نزلوا بكم » لا يخلو إنسان من الحسد وما أكثر حساد العظماء والطاعنين عليهم وما أقل الواصلين إلى مرتبتهم وعلو قدرهم

فتح أصبهان

أصبهان ويقال أصفهان مدينة فى العراق العجمى من بلاد فارس واقعة على ضفة نهر زندروذ من جهة الشمال على مسافة ٢١٠ أميال من طهران إلى الجنوب وهى فى وسط سهل فسيح يسقيه نهر زندروذ

بعث عمر إلى أصبهان عبد الله بن عبد الله بن عتبان وأمده بابى موسى وكان عمر قد عزل عبد الله من الكوفة وولى مكانه عمار بن ياسر . فسار عبد الله نحو أصبهان وقاعدتها جى وعلى جندها الاسيدان وعلى مقدمته شهريار بن جاذويه والملك بها الفاذوسفان وبعد أن حاصرها وقاتلها صالحه الفاذوسفان على أصبهان على أن من شاء أقام ودفع الجزية وأقام على ماله وعلى أن تجرى من أخذتم أرضه عنوة مجراهم ويتراجعون ومن أبى أن يدخل فيما دخلنا فيه ذهب حيث شاء ولكم أرضه . قال لكم ذلك فرضى اهل جى بالصلح إلا ثلاثين رجلا من اهل اصبهان لحقوا بكرمان ودخل عبد الله وابو موسى جيا وكتب بذلك إلى عمر فقدم كتاب عمر إلى عبد الله ان سر حتى تقدم على سهيل بن عدى فتكون معه على قتال من بكرمان . فساروا واستخلف على اصبهان السائب بن الأقرع ولحق بسهيل قبل ان يصل إلى كرمان . وهذا نص كتاب صلح اصبهان :

«بسم الله الرحمن الرحيم . كتاب من عبد الله للفاذوسفان واهل اصبهان وحواليها . إنكم آمنون ما اديتم الجزية وعليكم من الجزية بقدر طاقتكم فى كل سنة تؤدونها إلى الذى يلى بلادكم عن كل حالم ودلالة المسلم وإصلاح طريقه وقراه يوماً وليلة وحملان الراجل إلى مرحلة. لاتسلطوا على مسلم . وللمسلمين نصحكم واداء ما عليكم ولكم الأمان ما فعلتم . فاذا غيرتم شيئاً او غيره مغير منكم ولم تسلموه فلا امان لكم . ومن سب مسلما بلغ منه فان ضربه قتلناه . وكتب وشهد عبد الله بن قيس وعبد الله بن ورقاء وعصمة بن عبد الله »

فتح آذربيجان

بينما نعيم بهمذان فى اثنى عشر الفا من الجند كاتب الديلم واهل الرى آذربيجان واحتشدوا فى واج روذ [1] بين همذان وقزوين فسار اليهم واقتتلوا قتالا شديدا وكانت موقعة عظيمة تعدل بنهاوند فانهزم الفرس هزيمة قبيحة فارسلوا إلى عمر بالفتح فامر نعيما ان يقصد الرى ويقاتل من بها والمقام بها بعد فتحها

---

(١) واج روذ موضع بين همذان وقزوين . قال نعيم أمير الجيش يذكر هذه الموقعة :

صدمناهم فى واج روذ بجمعنا غداة رميناهم باحدى العظائم
فما صبروا فى حومة الموت ساعة لحد الرماح والسيوف الصوارم

فتح الرى وغيرها

سنة ٢٢ هـ — ٦٤٣ م

الرّى بلدة فى بلاد الديلم من العراق العجمى على خمسة كيلو مترات من طهران إلى جنوبى شرقيها . كانت مدينة مشهورة من امهات البلاد واعلام المدن . قال مؤرخو العرب انها قصبة بلاد الجبال بينها وبين نيسابور ١٦٠ فرسخا وبينها وبين قزوين ٢٧ فرسخا وهى محط الحاج على طريق السابلة . قال الأصطخرى انها كانت اكبر من اصبهان لأنه قال وليس بالجبال بعد الرى اكبر من اصبهان ثم قال والرى مدينة ليس بعد بغداد فى المشرق اعمر منها وإن كانت نيسابور اكبر عرصة منها

عوّل عمر بن الخطاب رضى الله عنه على ان يسير جيوش المسلمين فى بلاد الفرس لغزوها بلا توقف وابى يزدجرد يخضع وقد اجتمعت الشعوب التى تقطن جنوب بحر قزوين تحت قيادة اسفندياذ اخى رستم للدفاع عن الرى فسار المسلمون تحت قيادة نعيم لقتالهم فهزموهم وارتد اسفندياذ إلى اذربيجان فانهزم هناك ايضا وأسر . اما يزدجرد فانه فر من الرى إلى اصبهان واسند الدفاع عنها إلى ملك الرى وهو سياوخش بن مهران بن بهرام . فاستمد سياوخش اهل دنباوند وقومس وجرجان فأمدوه خوفا من المسلمين فالتقوا مع المسلمين فى سفح جبل الرى إلى جنب مدينتها فاقتتلوا به

وكان نعيم لما انصرف من واج روذ وقدم الرى لقى رجلا من الرؤساء يقال له الزينبي فطلب من نعيم الصلح مخالفاً لملك الرى وهو سياوخش الذى مر ذكره . وقال له إن القوم كثير وأنت فى قلة فابعث معى خيلا أدخل بهم مدينتهم من مدخل لا يشعرون به وناهدهم أنت فانهم إذا خرجنا عليهم لم يثبتوا لك فبعث معه نعيم خيلا من الليل . عليهم ابن أخيه المنذر بن عمرو فأدخلهم الزينبى المدينة ولا يشعر القوم فقاتلوهم وهزم أهل الرى فلم يزل شرف الرى فى أهل الزينبى وأخرب نعيم مدينتهم وهى التى تقال العتيقة وأمر الزينبي فبنى مدينة الرى الحديثة وكتب نعيم إلى عمر بالفتح وأنفذ الأخماس .

ولما تلقى عمر خبر فتح الرى أرسل إلى نعيم يأمره بارسال أخيه سويد بن مقرن ومعه هند بن عمرو الجملى وغيره إلى قومس[1] فاستولى عليها سويد بلا حرب وصالحه الذين لجأوا إلى طبرستان ثم سار إلى جرجان[2] فصالحه ملكها زرنان على الجزية وكفاية حرب جرجان وأن يعينه سويد إن غلب فأجابه سويد إلى ذلك

---

(١) كورة كبيرة واسعة تشتمل على مدن وقرى ومزارع وهى فى ذيل جبال طبرستان

(٢) جرجان مدينة مشهورة بين طبرستان وخراسان على واد عظيم

(صلح أهل الري)

كتب نعيم لأهل الرى كتاب الصلح وهذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى نعيم بن مقرن الزينبى ابن قُوله الأمان على أهل الرى ومن كان معهم من غيرهم الجزاء طاقة كل حالم فى كل سنة وعلى أن ينصحوا ويدلوا ولا يغلوا ولا يسلوا وعلى أن يقروا المسلمين يوما وليلة وعلى أن يفخموا المسلم فمن سب مسلما أو استخف به نهك عقوبة ومن ضربه قتل ومن بدل منهم فلم يسلم برمته فقد غير جماعتكم وكتب وشهد »

وكتب كتاب صلح إلى أهل قومس وجرجان وطبرستان بهذا المعنى

فتح مدينة الباب

الباب أو باب الأبواب مدينة على بحر طبرستان وهو بحر الخزر وهى أحد الثغور العظيمة وإلى جنبها جبل يعرف بالذئب

رد عمر أبا موسى إلى البصرة ورد سراقة بن عمرو وكان يدعى ذا النور إلى الباب وجعل على مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة وجعل على إحدى المجنبتين حذيفة بن أسيد الغفارى وللاخرى بكير بن عبد الله الليثى وكان بازاء الباب قبل قدوم سراقة بن عمرو عليه فلما جاءت المقدمة وعليها عبد الرحمن كاتبه ملكها يومئذ شهر براز

وهو رجل من أهل فارس واستأمنه ليأتيه فأمنه فجاءه شهر براز وقال له:

« إني بازاء عدو كلب وأمم مختلفة لا ينسبون إلى أحساب وليس ينبغي لذي الحسب والعقل أن يعين أمثال هؤلاء. ولا يستعين بهم على ذوي الأحساب والأصول وذو الحسب قريب ذي الحسب حيث كان ولست من القَبْج في شيء ولا من الأرمن. وإنكم قد غلبتم على بلادي وأمتي فأنا اليوم منكم ويدي مع أيديكم وصفوي معكم وبارك الله لنا ولكم وجزيتنا إليكم النصر لكم والقيام بما تحبون فلا تذلوني بالجزية فتوهنونا لعدوكم »

فقال عبد الرحمن:

« فوقي رجل قد أظلك فسر إليه » فسار إلى سراقة وكلمه بمثل هذا الكلام بقصد إعفائه من الجزية. فقال سراقة:

« قد قبلت ذلك فيمن كان معك على هذا مادام عليه ولا بد من الجزاء فيمن يقيم ولا ينهض »

فقبل ذلك وصار سنة فيمن كان يحارب العدو من المشركين وفيمن لم يكن عنده الجزاء إلا أن يستنفروا فتوضع عنهم جزاء تلك السنة. وكتب بذلك سراقة إلى عمر فأذن له وحسنه. وهذا نص الكتاب الذي كتبه سراقة لشهر براز:

« بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى سراقة بن عمرو عامل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شهر براز وسكان أرمينية والأرمن

من الأمان . أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وملتهم . ألا يضاروا ولا ينتقضوا وعلى أهل أرمينية الطُّرّاء منهم وَالتُّنّاء ومن حولهم فدخل معهم أن ينفروا لكل عارة وينفذوا لكل أمر ناب أو لم ينب رآه الوالى صلاحا على ان يوضع الجزاء عمن أجاب إلى ذلك إلا الحشر . الحشر عوض من جزائهم ومن استغنى عنه منهم وقعد فعليه مثل ما على أهل آذر بيجان من الجزاء والدلالة والنزل يوما كاملا . فان حشروا وضع ذلك عنهم وإن تركوا أخذوا به . شهد عبد الرحمن بن ربيعة ، وسلمان بن ربيعة ، وبكير بن عبد الله ، وكتب مرضى بن مقرن وشهد »

بعد ذلك وجه سراقة جيشا لمحاربة أهل الجبال المحيطة بأرمينية وصالح بكير اهل موقان من جبال القبج على الجزية دينار عن كل حالم أو قيمته ، وموقان ولاية بآذربيجان يمر القاصد من اردبيل إلى تبريز فى الجبال

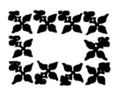
مات سراقه بن عمرو واستخلف عبدالرحمن بن ربيعة فأقره عمر وكان عبد الرحمن يدعى ايضا ذا النور كسراقة

غزو الترك

وامر عمر عبدالرحمن بغزو الترك فخرج بجيشه حتى قطع الباب فقال له شهر براز : ما تريد ان تصنع ؟ قال اريد بلنجر (مدينة ببلاد الخزر خلف باب الأبواب،

قال شهر براز : إنا لنرضى منهم أن يدعونا من دون الباب . قال لكنا لا نرضى منهم بذلك حتى نأتيهم فى ديارهم . وتالله إن معنا لأقواماً لو يأذن لنا أميرنا لبلغت بهم الردم . قال وما هم ؟ قال قوم صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا فى هذا الأمر بنية . كانوا أصحاب حياء وتكرم فى الجاهلية . فازداد حياؤهم وتكرمهم فلا يزال هذا الأمر دائماً لهم ولا يزال النصر معهم حتى يغيرهم من يغلبهم وحتى يلفتوا عن حالهم بمن غيَّرهم

زحف عبدالرحمن بن ربيعة بجيشه فلما دخل عليهم خافهم الترك فى أول الأمر وقالوا إن هؤلاء ملائكة لا يعمل فيهم السلاح . فاتفق أن تركياً اختفى فى غيضة ورشق مسلماً بسهم فقتله فنادى فى قومه إن هؤلاء يموتون كما تموتون . فلم تخافونهم . فاجترؤا عليهم وأوقعوهم حتى استشهد عبد الرحمن بن ربيعة قائد جيش المسلمين وأخذ الراية أخوه ولم يزل يقاتل حتى أمكنه دفن اخيه بنواحى بلنجر ورجع ببقية المسلمين على طريق جيلان



مقتل عمر بن الخطاب

رضى الله عنه

(٢٤ ذى الحجة سنة ٢٣ هـ — ٣ نوفمبر سنة ٦٤٤ م)

روى ان عمر قال فى أواخر حياته «اللهم كبرت سنى وضعفت قوتى وانتشرت رعيتى فاقبضنى إليك غير مضيع ولا مفرط» قال ذلك بمكة وهو يحج فلما قدم المدينة خطب الناس فقال :

« ايها النـاس قد فرضت لـكم الفرائض ، وسنت لـكم السنن وتركتم على الواضحة » ثم صفق يمينه على شماله « الا ان تضـلوا بالناس يميناً وشمالا ثم إياكم ان تهلكوا عن آية الرجم وان يقول قائل لانجد حدين فى كتاب الله . فقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم ورجمنا بعده . فوالله لولا ان يقول الناس احدث عمر فى كتاب الله لـكتبتها فى المصحف فقد قرأناها « والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة »

وروى ان عمر قال رأيت كأن ديكا نقرنى نقرتين فقلت يسوق الله إلى الشهادة ويقتلنى عجمى [1] وعلى كل حال كان عمر يتوق ان يموت شهيداً . وهذه الرؤيا رويت من مصادر متعددة وقد قصها

(١) طبقات ابن سعد « عمر »

عمر فى العام الذى توفى فيه بعد ان عاد من حجه الى المدينة وذلك بأن خطب النـاس يوم الجمعة وقص عليهم ما رأى وفى رواية ان اسماء بنت عميس هى التى فسرت له رؤياه فان الديك فى الرؤيا يفسر برجل من العجم . واسماء بنت عميس هى زوجة ابى بكر الصديق وقد كان عالمـا بتعبير الرؤيا ولا شك انها استفادت منه

ان الذى طعن عمر هو ابو لؤلؤة فيروز غلام المغيرة بن شعبة والمغيرة صحابى اسلم عام الخندق وكان موصوفا بالدهاء والحلم . قيل انه احصن ثلاثمائة امراة فى الاسلام وقيل اكثر . ولاه عمر البصرة ثم نقله عنها فولاه الكوفة فلم يزل عليها حتى قتل عمر فأمّره عليها عثمان ثم عزله وشهد اليمامة وفتح الشام وذهبت عينه يوم اليرموك وشهد القادسية وفتح نهاوند وهمذان وغيرها

وكان عمر اذا دخل المسجد قام بين الصفوف ثم قال استووا فاذا استووا تقدم فكبر . فلما كبر طعن فقـال قتلنى الـكلب . وطار ابو لؤلؤة فى يده سكين ذات طرفين ما يمر برجل يمينا ولا شمالا إلا طعنه فاصاب ثلاثة عشر رجلا من المسلمين فمات منهم تسعة

فلما راى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا له ليأخذه فلما ظن انه مأخوذ نحر نفسه

لم يكن عمر قد اتم الصلاة فأخذ العبـاس بيد عبد الرحمن بن عوف وقدّمه فصلوا الفجر يومئذ صـلاة خفيفة (١) فاما نواحى

(١) قرأ عبد الرحمن أقصر سورتين فى القرآن والعصر وإنا أعطيناك الكوثر

المسجد فلا يدرون ماالأمر الا انهم حين فقدوا صوت عمر جعلوا يقولون ـ سبحان الله ـ فلما انصرفوا كان أول من دخل على عمر ابن عباس . فقال انظر من قتلني فخرج ابن عباس فجال ساعة ثم اتاه فقال غلام المغيرة بن شعبة الصناع وكان نجارا . قال ماله قاتله الله والله لقد كنت امرت به معروفا . ثم قال « الحمد لله الذى لم يجعل منيتي بيد رجل يدعى الى الاسلام »

(ديونه)

ودعا عمر رضى الله عنه ابنه عبد الله فقال له انظر كم على من الدين فحسبه عبدالله فوجده ٨٦ ألف درهم ، فقال ياعبد الله ، ان وفى لها مال آل عمر فأدها عنى من اموالهم وان لم تف فاسأل فيها بنى عدى بن كعب فان لم تف من اموالهم فاسأل فيها قريشا ولا تعدهم الى غيرهم

(استئذان عائشة فى دفنه بقبر رسول الله)

ثم قال ياعبدالله اذهب الى عائشة ام المؤمنين فقل لها يقرا عليك عمر السلام ولا تقل امير المؤمنين فانى لست لهم اليوم بأمير ، يقول تاذنين له ان يدفن مع صاحبيه ، فأتاها ابن عمر فوجدها قاعدة تبكى فسلم عليها ثم قال ، يستاذن عمر بن الخطاب ان يدفن مع صاحبيه فقالت والله كنت اريده لنفسى ولأوثرنه به اليوم على نفسى فلما

جاء قيل هذا عبد الله بن عمر فقال عمر ارفعانى . فاسنده رجل اليه . فقال ما لديك ؟ فقال اذنت لك . قال عمر ما كان شيء اهم إلى من ذلك المضجع. ياعبدالله بن عمر انظر إذا أنا مت فاحملني على سريرى ثم قف بى على الباب فقل يستأذن عمر بن الخطاب فان اذنت لى فادخلنى وإن لم تأذن فادفنى فى مقابر المسلمين ، فلما حمل فكأن المسلمين لم تصبهم مصيبة إلا يومئذ ، فاذنت له فدفن رحمه الله حيث اكرمه الله مع النبي صلى الله عليه وسلم وابى بكر

(الخلافة شورى)

ولما حضرته الوفاة قالوا له استخلف ، فقال لا اجد احداً أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فأيهم استخلف فهو الخليفة من بعدى ، فسمى عليا وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص فان اصابت سعداً فذاك وإلا فايهم استخلف فليستعن به فانى لم اعزله عن عجز ولا خيانة ، وجعل عبد الله معهم يشاورونه وليس له من الأمر شيء ، وقيل انه قال للانصار ادخلوهم بيتا ثلاثة ايام فان استقاموا وإلا فادخلوا عليهم فاضربوا أعناقهم

(اختيار الخليفة)

لما اجتمع هؤلاء الذين ذكرهم عمر ، قال عبد الرحمن اجعلوا

امركم الى ثلاثة نفر منكم ، فجعل الزبير امره الى على ، وجعل طلحة امره الى عثمان ، وجعل سعد امره الى عبد الرحمن

فائتمر اولئك الثلاثة حين جعل الأمر إليهم فقال عبد الرحمن ايكم يبرأ من الأمر ويجعل الأمر الى ولكم الله على الا آلوكم عن أفضلكم وخيركم للسلمين فاسكت الشيخان على وعثمان فقال عبدالرحمن تجعلانه الى وانااخرج منها فوالله لا آلوكم عن افضلكم وخيركم للسلمين ! قالوا نعم فخلا بعلى فقال إنلك القرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والقدم والله عليك لئن استخلفت لتعدلن ولئن استخلف عثمان لتسمعن ولتطيعن ؟ فقال نعم ، وخلا بعثمان فقال مثل ذلك ، فقال عثمان فنعم ، قال ابسط يدك ياعثمان فبسط يده فبايعه على والناس

بذلك تم اختيار عثمان للخلافة وها يجدر بي ان الاحظ ان عمر بالرغم من حصره الشورى فى هؤلاء الستة اظهر ميله الى اختيار سعد بن ابى وقاص لأنه قال « فان اصابت سعدا فذاك » ثم رد على ماقد يعترض عليه من انه عزل سعدا بان قال «فانى لم اعزله عن عجز ولا خيانة » الا انهم لم يتأثروا بتصريحه وقد تم اختيار عثمان بمهارة عبد الرحمن بن عوف فانه لما اخرج نفسه لم يبق غير على وعثمان وقد فوضا اليه امر اختيار احدهما للخلافة ثم انه حسما لما قد يحدث من النزاع اخذ من كل منهما عهدا بالطاعة اذا اختير احدهما وعلى ذلك بايع عثمان ، والذى دعا عبد الرحمن الى مبايعة

عثمان هو أنه استشار خلال هذه الليالى الثلاث أصحاب رسول الله ومن وافى المدينة من أمراء الأجناد وأشراف الناس فأشاروا عليه بعثمان غير أن بعضهم كان يميل إلى على كما سيأتى . وقد جاء فى طبقات ابن سعد ان عبد الرحمن اختلى بعلى ثم بعثمان ثم بايع عثمان وهو ما ذكرناه آنفاً والأقرب إلى الصواب أن البيعة كانت علانية كما جاء فى الطبرى وهو أنهم لما صلوا الصبح جمع عبدالرحمن الرهط وبعث إلى من حضره من المهاجرين وأهل السابقة والفضل من الانصار وإلى امراء الأجناد فاجتمعوا حتى التج المسجد بأهله فقال أيها الناس إن الناس قد أحبوا أن يلحق أهل الأمصار بأمصارهم وقد علموا من أميرهم . فقال سعيد بن زيد إنا نراك أهلا . فقال أشيروا على بغير هذا . فقال عمار إن أردت أن لا يختلف المسلمون فبايع علياً . فقال المقداد بن الأسود صدق عمار . إن بايعت علياً قلنا سمعنا وأطعنا . قال ابن أبى سرح إن أردت أن لا تختلف قريش فبايع عثمان فقال عبد الله بن ابى ربيعة صدق إن بايعت عثمان قلنا سمعنا وأطعنا . فشتم عمار ابن ابى سرح وقال متى كنت تنصح المسلمين فتكلم بنو هاشم وبنو أمية فقال عمار:

« أيها الناس إن الله عز وجل أكرمنا بنبيه وأعزنا بدينه فَأَنَّى تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم »

فقال رجل لقد عدوت طورك يا ابن سمية . وما انت وتأمير قريش لأنفسها !!

فقال سعد بن ابى وقاص يا عبد الرحمن أفرغ قبل أن يفتتن الناس .

فقال عبدالرحمن إنى قد نظرت وشاورت فلاتجعلن أيهاالرهط على أنفسكم سبيلا

ودعا عليا فقال عليك عهدالله وميثاقه لتعملن بكتاب اللهوسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده . قالأرجو أن افعل واعمل بمبلغ علمى وطاقتى

ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعلى . قال نعم فبايعه

فقال علىّ حبوته حبو دهر . ليس هذا اول يوم تظاهرتم فيه علينا ، فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك والله كل يوم هو فى شأن

فقال عبد الرحمن ياعلى لا تجعل على نفسك سبيلا فانى نظرت وشاورت الناس فاذا هم لا يعدلون بعثمان ، فخرج على وهو يقول سيبلغ الكتاب أجله

فقال المقداد : ياعبد الرحمن اما والله لقد تركته وإنه من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون

فقال يا مقداد والله لقد اجتهدت للسلمين ، ان كنت اردت بذلك الله فاثابك ثواب المحسنين . فقال المقداد ما رايت مثل ما أوتي الى اهل هذا البيت بعدنبيهم . اني لأعجب من قريش انهمتركوا رجلا ما اقول أن أحداً اعلم ولا اقضى منه بالعدل ، اما والله لو

اجد عليه أعوانا

فقال عبد الرحمن يامقداد اتق الله فانى خائف عليك الفتنة

فقال رجل للمقداد رحمك الله من اهل هذا البيت ومن هذا الرجل ؟

قال أهل البيت بنو عبد المطلب والرجل على بن ابى طالب [١]

فقال على ان الناس ينظرون الى قريش وقريش تنظر الى بيتها فتقول ان ولى عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم ابداً وما كانت في غيرهم من قريش تداولتموها بينكم

وقد كان طلحة [٢] غائبا فقدم فى اليوم الذى بويع فيه لعثمان فقيل له بايع عثمان . فقال له عثمان انت على راس امرك ان ابيت رددتها ، قال اتردها ؟ قال نعم . قال اكل الناس بايعوك ؟ قال نعم قال قد رضيت لا ارغب عما قد اجمعوا عليه وبايعه

بايع عبد الرحمن عثمان لأنه كما قال نظر وشاور وهو مع ذلك صهر عثمان ولكن كان لعلى حزب وكان له رجال يؤيدونه فلو كان

(١) المقداد بن الأسود قديم الاسلام والصحبة من السابقين إلى الاسلام قال ابن مسعود أول من اظهر إسلامه بمكة سبعة منهم المقداد بن الاسود وهاجر إلى الحبشة

(٢) طلحة بن عبيد الله أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله بالجنة واحد الثمانية السابقين إلى الاسلام وأحد الخمسة الذين اسلموا على يد أبى بكر وأحد الستة أصحاب الشورى الذين توفى رسول الله وهو عنهم راض وسماه رسول الله طلحة الخير وطلحة الجود وهو من المهاجرين الاولين

هناك نظام للانتخابات كالنظم الحديثة لخضع كل لنتيجة الانتخابات وزال الشك بتجلى رغبة الأمة . نعم إن للنظم الحديثة معايب ومساوى لكنها على كل حال أضمن ولا شك أن لهم الفضل فى تقرير الشورى فى الخلافة، وفى الطبرى رواية مضمونها أن علياً خدع وصرح بذلك بعد اختيار عثمان . خدعه عمرو بن العاص إذ لقيه فى ليالى الشورى فقال إن عبد الرحمن رجل مجتهد وانه متى أعطيته العزيمة كان أزهد له فيك ولكن الجهد والطاقة فانه أرغب له فيك ثم لقى عثمان فقال إن عبد الرحمن رجل مجتهد وليس والله يبايعك إلا بالعزيمة فاقبل فلذلك قال علىّ خدعة وقد كان عمرو بن العاص وقتئذ بالمدينة لأننا نرى أنه هو الذى أخذ السيف من عبيد الله بن عمر كما سيأتى

وإذا صحت رواية الطبرى هذه فيكون على قد خدع بقول عمرو بن العاص لأنه أجاب عبد الرحمن لما دعاه بقوله أرجو أن أفعل وأعمل بمبلغ علمى وطاقتى أما عثمان فانه قال نعم كما تقدم فعلى أجاب بالجهد والطاقة وأجاب عثمان بالعزيمة فبايع عثمان

(وصية عمر للناس)

بعد أن طعن عمر دخل عليه أصحاب رسول الله ثم اهل المدينة ثم أهل الشام ثم أهل العراق . وكلما دخل عليه قوم بكوا وأثنوا عليه فسأله بعضهم الوصية فقال:

« اوصيكم بكتاب الله فانكم لن تضلوا ما اتبعتموه وأوصيكم

بالمهاجرين فان الناس يكثرون ويقلون وأوصيكم بالأنصار فانهم شعب الاسلام الذى لجأ إليه واوصيكم بالأعراب فانهم أصلكم ومادتكم — وفى رواية — وإخوانكم وعدو عدوكم واوصيكم بأهل الذمة فانهم ذمة نبيكم وأرزاق عيالكم . قوموا عنى »

(وصيته للخليفة من بعده)

قال عمر رضى الله عنه يوصى الخليفة من بعده :

« أوصى الخليفة من بعدى بتقوى الله والمهاجرين الأولين أن يحفظ لهم حقهم وان يعرف لهم حرمتهم وأوصيه بأهل الأمصار خيراً فانهم ردء الاسلام وغيظ العدو . وجباة المال . ان لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضى منهم وأوصيه بالأنصار الذين تبوءوا الدار والايمان ان يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم واوصيه بالاعراب خيراً فانهم اصل العرب ومادة الاسلام وان يؤخذ من حواشى اموالهم فيرد على فقرائهم وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله ان يوفى لهم بعهده وان لا يكلفوا إلا طاقتهم وان يقاتل من وراءهم »

هاتان وصيتان لعمر ، الأولى للناس عامة ، والثانية للخليفة خاصة ، وقد بدأ وصيته الأولى « بكتاب الله » والثانية « بتقوى الله » وهذا دليل على تمسكه بعقيدته إلى النهاية . تلك العقيدة التى رسخت فى نفسه ولم تزعزعها ضروف الحدثان . ثم انه على شدته

المعهودة قد مات وليس فى قلبه حقد على احد بل كانت وصيته إلى الخليفة من بعده ان يشفق على الناس ويرعى الفقراء لقوله عن الأنصار « ان يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم » ووصيته بالأعراب « ان يؤخذ من حواشى أموالهم فيرد على فقرائهم. وان لا يكلفوا إلا طاقتهم »

روى جبير بن مطعم قال اخبرت ان عمر قال لعلى ان وليت من أمر المؤمنين شيئا فلا تحملن بنى عبد المطلب على رقاب الناس وقال لعثمان ياعثمان إن وليت من امر المسلمين شيئا فلا تحملن بنى بى معيط على رقاب الناس اه. كذلك قال لعبد الرحمن «فان كنت على شىء من امر الناس ياعبد الرحمن فلا تحمل ذوى قرابتك على رقاب الناس » من هذا يتبين ان عمر كان يخشى ان يحابي الخليفة بعده اقاربه فيضيع الانصاف ويحرم ذوى الكفاآت والمستحقين وقد تهضم حقوق

(ابو لؤلؤة قاتل عمر)

كان عمر لا يأذن لسبي قد احتلم فى دخول المدينة حتى كتب المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يذكر له غلاما عنده صانعا ويستأذنه ان يدخله المدينة ويقول إن عنده اعمالا كثيرة فيها منافع للناس انه حداد ، نقاش ، نجار فكتب اليه عمر فاذن له ان يرسله إلى المدينة وضرب عليه المغيرة مائة درهم كل شهر [1] فجاء إلى عمر

(١) وقيل ١٢٠ درهما فى الشهر اى اربعة دراهم فى اليوم

يشتكى إليه شدة الخراج . فقال له عمر . ماذا تحسن من العمل ؟ فذكر له الأعمال التى يحسنها . فقال له عمر ما خراجك بكثير فى كنه عملك . فانصرف ساخطا يتذمر . فلبث عمر ليالى . ثم ان العبد مر به فدعاه فقال له . ألم أحدثك أنك تقول لو أشاء لصنعت رحى تطحن بالريح ؟ فالتفت العبد ساخطا عابساً إلى عمر ومع عمر رهط فقال « لأصنعن لك رحى يتحدث بها الناس » فلما ولى العبد ، أقبل عمر على الرهط الذين معه فقال لهم أوعدني العبد آنفا . فلبث ليالى ثم اشتمل أبو لؤلؤة على خنجر ذى رأسين نصابه فى وسطه وطعنه كما تقدم وكانت إحدى الطعنات تحت السرة

وكان أبو لؤلؤة من جهة أخرى حاقداً على عمر لأن العرب فتحوا بلاده فكان إذا نظر إلى السبي الصغار يأتى فيمسح رءوسهم ويبكى ويقول « إن العرب أكلت كبدى » وقد كان من سبي نهاوند

(عبيد الله بن عمر وقتله الهرمزان)

لما أضمر أبو لؤلؤة على قتل عمر اصطنع له خنجراً له رأسان وشحذه وسمه ثم أتى به الهرمزان . فقال كيف ترى هذا ؟ قال أرى أنك لا تضرب به أحداً إلا قتلته[1] وكان الهرمزان من قواد الفرس وقد أسره المسلمون بتستر وأرسلوه إلى المدينة فلما رأى عمر سأل: اين حرسه وحجابه ؟ قالوا ليس له حارس ولا حاجب ولا كاتب

(١) أسد الغابة

ولا ديوان . فقال : « ينبغى له أن يكون نبيا » ثم أسلم وفرض له عمر على ألفين وأنزله المدينة

وفى طبقات ابن سعد رواية عن نافع قال رأى عبد الرحمن السكين التى قتل بها عمر . فقال رأيت هذه أمس مع الهرمزان وجفينة فقلت ما تصنعان بهذه السكين فقالا نقطع بها اللحم فانا لا نمس اللحم فقال له عبيد الله بن عمر . أنت رأيتها معهما ؟ قال نعم . فأخذ سيفه ثم أتاهما فقتلهما . فأرسل إليه عثمان فأتاه فقال ما حملك على قتل هذين الرجلين وهما فى ذمتنا فأخذ عبيد الله عثمان فصرعه حتى قام الناس إليه فحجزوه عنه . وكان حين بعث إليه عثمان تقلد السيف فعزم عليه عبد الرحمن أن يضعه فوضعه

وعن سعيد بن المسيب : ان عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق قال حين قتل عمر . قد مررت على أبى لؤلؤة قاتل عمر ومعه جفينة والهرمزان وهم نجى . فلما بغتهم ثاروا فسقط من بينهم خنجر له راسان ونصابه وسطه . فانظروا ما الخنجر الذى قتل به عمر فوجدوه الخنجر الذى نعت عبد الرحمن بن أبى بكر . فانطلق عبيد الله بن عمر حين سمع ذلك من عبد الرحمن بن أبى بكر ومعه السيف حتى دعا الهرمزان فلما خرج إليه قال انطلق معى حتى ننظر إلى فرس لى وتأخر عنه حتى إذا مضى بين يديه علاه بالسيف قال عبيد الله فلما وجد حر الصيف قال لا إله إلا الله . قال عبيد الله : ودعوت جفينة وكان نصرانيا من نصارى الحيرة وكان ظهيراً لسعد بن أبى وقاص

أقدمه المدينة للصلح الذى كان بينه وبينه وكان يعلم الكتابة بالمدينة فلما علوته بالسيف صلب بين عينيه ثم انطلق عبيد الله فقتل ابنة لأبي لؤلؤة صغيرة تدعى الاسلام وأراد عبيد الله ان لا يترك سبيا بالمدينة يومئذ إلا قتله . فاجتمع المهاجرون الأولون عليه ونهوه وتوعدوه فقال والله لأقتلنهم وغيرهم وعرض ببعض المهاجرين فلم يزل عمرو ابن العاص به حتى دفع اليه السيف ثم أتاه سعد بن ابى وقاص فأخذ كل واحد منهما برأس صاحبه يتناصيان حتى حجز بينهما ثم أقبل عثمان قبل أن يبايع له فى تلك الليالى حتى واقع عبيد الله فتناصيا وأظلمت الأرض يوم قتل عبيد الله جفينة والهرمزان وابنة أبى لؤلؤة على الناس ثم حجز بينه وبين عثمان وكان عثمان يقول له « قاتلك الله قتلت رجلا يصلى وصبية صغيرة وآخر من ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ما فى الحق تركك »

(مؤامرة الهرمزان وجفينة على قتل عمر)

ذكرنا السبب الذى دفع أبا لؤلؤة الى قتل عمر والروايات التى عندنا تدل على ان هناك كانت مؤامرة لقتله رضى الله عنه دبرها الهرمزان منتهزاً فرصة حقد أبى لؤلؤة على عمر وكلاهما عجمى ثم أن الهرمزان لما أسر وارسل إلى المدينة اسلم مرغما خشية ان يقتله الخليفة . ففى رواية نافع المذكورة فى طبقات ابن سعد أن عبد الرحمن رأى السكين التى قتل بها عمر وفى رواية سعيد ابن المسيب أن عبد الرحمن بن أبى بكر رأى الخنجر سقط من بين أبي لؤلؤة

والهرمزان وجفينة عند ماباغتهم أثناء سيرهم فلما سمع ذلك عبيدالله
من عبدالرحمن انطلق فى الحال وقتلهما ولم يقتصر على ذلك بل قتل
ابنة أبى لؤلؤة مدفوعا بعامل الانتقام ثم ان الخنجر الذى وصفه
عبد الرحمن ينطبق على الخنجر الذى قتل به عمر ولولا تسرع عبيد
الله بقتل الهرمزان وجفينة لكان فى الامكان استدعاؤهما للتحقيق
معهما وعندها كان يظهر سر المؤامرة وقد ورد فى الشعرالذى رثى
به حسان بن ثابت او عاتكة ابنة زيد اسم الهرمزان حيث قال :

فجعنى فيروز لا در دره بأبيض يتلو المحكمات منيب

لذلك كله نعتقد بأن هناك مؤامرة مدبرة وإنما الذى نفذالقتل
هو ابو لؤلؤة

(دفنه رضى الله عنه)

كان عمر قد نقل إلى بيته بعدأن طعن وفى صباح يوم الأحد
خرجوا به فدفن فى بيت عائشة مع النبى صلى الله عليه وسلم وأبى
بكر وتقدم صهيب فصلى عليه وتقدم من قبل ذلك رجلان من
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على وعثمان واحد من عند
راسه والآخر عندرجليه . فقال عبدالرحمن . لاإله إلاالله ماأحرصكما
على الامرة !! أما علمتما انه امير المؤمنين؟ قال ليصل بالناس صهيب
فصلى صهيب عليه ونزل فى قبره عثمان وعلى والزبير وعبد الرحمن
بن عوف وسعد وعبد الله بن عمر

(تم الكتاب والحمد لله)

فهرس بأسماء الرجال والنساء والقبائل

(الأرقام تشير إلى صفحات الكتاب)

(أ)

(غ)

(ف)

(ن)

تصحيح الخطأ

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤٩	٢٠	خورستان	حوزستان
٦٤	١	زاعت	زاعت
٦٧	١١	شهاب ان حرقة	شهاب بن حرقة
٩٦	٣	القعقاع بن عمر	القعقاع بن عمرو
١٠٤	٨	دحول أبو عبيدة	دحول أبى عبيدة
١١٢	٩	على اليمين	على اليمن
١١٥	١٢	يمحوا	يمحو
١٣٣	١٠	بيت	بيته
١٥٩	١٤	وعل كل حال	وعلى كل حال
١٥٩	١٥	بأذن	بإذن
١٦٣	٨	نهرسير	بهرسير
١٧٢	٩	وكانو	وكانوا
١٧٦	١٤	أحدهما	إحداهما
١٨٢	١٨	نصبين	نصيبين
١٩٧	١٤	حاراهم	حاذاهم
١٩٧	١٥	وعلى البطرق	وعاد البطرق
٢٠٩	٦	إقامه	إقامة
٢١٢	٩	رامس	دامس
٢٢٦	٢٠	أرفنج	أيرفنج
٢٣٩	١٩	تيورسيوس	تيودسيوس
٢٨٢	١٦	برسيوليس	برسبوليس
٢٨٤	٤	خوزسنان	خوزستان

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٨٥	١٩	(٢)	(١)
٢٩١	١	ابعت	ابعث
٢٩١	٣	عرفجةبن هزثمة	عرفجة بن هرثمة
٢٩٤	١٥	المغيرة بن سعبة	المغيرة بن شعبة
٢٩٧	١١	بعت	بعث
٣٠١	٩	أر دشير	أردشير
٣٠١	١١	سارية بن رنيم	سارية بن زنيم
٣٠١	٢١	سجتان	سجستان
٣٠٢	٢	مكران	الى مكران
٣٠٤	١٩	وبنوأسد	ونبو أسد

تطلب هذه المطبوعات وغيرها من المكتبة المحمودية التجارية بميدان الجامع الأزهر الشريف: صندوق بوستة رقم (٥٠٥) مصر والمكتبة ترسلها لجميع الجهات لمن يرسل الثمن مقدما .

١ - كتاب المدهش : للواعظ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي في علوم القرآن ، والتفسير والحديث ، واللغة وعيون التاريخ ، والوعظ . الخ مجلد عال طبع بغداد ، ثمنه ٣٠ قرش .

٢ - روض القلوب المستطاب: تصوف ومواعظ وحكم لحسن رضوان ، ثمنه ٢٥ قرش

٣ - استحالة المعية بالذات : ببيان مذهب السلف والخلف في المتشابه والصفات للمحدث محمد الخضر الشنقيطي ، ثمنها ١٢ قرش ورق أبيض عال و ١٠ ورق أصفر

٤ - مبارق الأزهار : شرح لكتاب مشارق الأنوار المحتوي على ٢٢٤٦ حديثا من البخاري ومسلم لعبد اللطيف بن ملك جزآن ، ثمنه ٢٥ قرش طبع اسلامبول

٥ - المجازات النبوية : يشتمل على المجازات والآثار . والأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ - طبع بغداد ورق جيد للشريف الرضي ، ثمنها ١٥ قرش .

٦ - مختصر شعب الايمان : للامام البيهقي مشكول الحديث تأليف أبي جعفر القزويني بشرح مطول للشيخ حافظ احمد ، ثمنه ٦ قروش .

٧ - سر الروح : والبحث بالآيات والأحاديث في حقيقتها ومعرفة النفس وهل هي محدثة أو قديمة . . الخ للحافظ أبي بكر البقاعي ، ثمنه ٦ قروش

٨ - تحفة الأكياس في حسن الظن بالناس ، آيات ، وأحاديث نبوية ، وآثار الأولياء والعلماء والصالحين ونصائح دينية للولي علي بن محمد المصري . ثمنها ٥ قروش

٩ - طبقات الأولياء : والصالحين والعلماء في بلاد السودان للفقيه محمد ضيف الله ولها هامش مفيد يفسر بعض الغامض منها ، ثمنه ٢٠ قرش .

١٠ - الرسائل السلفية في إحياء سنة خير البرية . للامام الحافظ المجتهد شيخ الاسلام محمد بن علي الشوكاني ، ثمنه ١٠ قروش .

١٠ - الفوائد الصناعية والأسرار الكيميائية ٧٠٠ فائدة لحسني يوسف

٣ - غاية السول شرح العشرة فصول في الربع المقنطر .

٣ - الألفية الوردية معها جملة رسائل في الفلك والروحاني والزايرجة للطوخي